نزيه أبو نضال

مذكرات

من أوراق ثورة مغدورة

حاوره: زياد منى



مذكرات نزيه ابو نضال: من أوراق ثورة مغدورة، حاوره: زياد منى

تصميم الغلاف والإخراج: طارق صبح

الطّبعة الأولى: كانون الثاني (2013م)

شركة قدمس للنشر والتوزيع ش م م
شارع الحمرا، بناء رسامني
ص ب 6435/113
بيروت، لبنان
هاتف: 750054 / 01 فاكس 750053 / 01

ISBN: 978-9953-417-55-4

التوزيع في سورية: قدمس للنشر والتوزيع
شارع ميسلون، دار المهندسين 0905
ص ب 6177
الفردوس، دمشق، سورية
هاتف: 2229836 / 011 فاكس: 2324472 / 011

الموزعون ولابتياع نسخ إلكترونية وورقية انظر:
http://www.cadmusbooks.net

عدد كلمات الكتاب: 80691 كلمة.

نزيه أبو نضال

مذكرات

من أوراق ثورة مغدورة

حاوره: زياد منى

المحتوى

الجزء الثالث: ملاحق

الجزء الأول

نزيه أبو نضال:
من أوراق ثورة مغدورة

بدلاً من التقديم

| زياد منى: أعرف نزيه أبو نضال منذ أكثر من أربعين عامًا، ولكن، منذ سنوات قليلة فقط عرفت أن اسمه الحقيقي غطاس جميل صويص، وأنه مسيحي أردنـي من مدينة السلط. فقد كان من تقاليد العمل السري في حركة فتح، أن نتعامل فقط بالأسماء الحركية، ولعلنا نبدأ من هنا: كيف تحوّل غطاس صويص إلى نزيه أبو نضال؟.

|| **نزيه أبو نضال:** يمكن القول إن التحول الحقيقي، قد بدأ حين التحقت مباشرة، بعد هزيمة حزيران 1967، في صفوف حركة فتح مقاتلاً، وبالتحديد في جناحها العسكري (قوات العاصفة)، ولكن بالطبع، كانت ثمة بدايات مبكرة أسست لهذا التحول، وسبقت ذلك بكثير، ولعل تلك البدايات تضيء الخيارات اللاحقة. قبل أن أبدأ هذه المذكرات، أود الإشارة إلى لقاء مع الصديق موسى برهومة رئيس تحرير جريدة «الغد» الأردنـية، أوائل حزيران من عام 2009، حين فاجأنـي من دون انتظار: لماذا لا تكتب مذكراتك، وتسجل فيها تجربتك في صفوف الثورة الفلسطينـية لنشرها على حلقات في صحيفة «الغد» الأردنـية؟.

هذا الاقتراح تكرر مرارًا، وبطرق مختلفة، من أصدقاء آخرين في السنوات الاخيرة، فهل أبدو إلى هذا الحد قريبًا من خط النهاية، ما يجعلنـي أشعر وكأن السائل يستحثني: هيا! هذه التجربة ليست ملكك اكتبها للناس قبل فوات الاوان، فلعل فيها ما هو جديد ومفيد.

بدايةٍ ليست لدي أدنى رغبة بتقديم ما هو خاص أو شخصي. فقط أريد أن أستلّ من هذا الخاص ما يتصل بالعام، وأقدم شهادتـي في محاولة للإجابة

على السؤال: لماذا هزمنا في كل المعارك التـي خضناها، قوميين وأمميين ونقابات شعبية؟، وخاصة، كفدائيين وثورة فلسطينـية مسلحة؟ . . لأجد نفسي، أنا المولود سنة 1943، وبعد 67 عامًا من تجربة حياة حافلة، في المربع الأول، أصلي مع جماعة المؤمنـين بأن يهبنا الله من لَدُنَهْ نصرًّا!.

لاحظوا كيف يتطابق العمر (67) مع سنة الهزيمة (67) وكيف يجمع الرقمان 7 و 6 على رقم سعدنا (13)، فكان أن وقّعنا، في (13) أيلول 1993، اتفاق أوسلو، فأدخلنا رؤوسنا في أنشوطة موتنا المهين، فضيعنا الثورة، وضيعنا دماء الشهداء، وضيعنا فلسطين.

وأود هنا التنويه إلى أننـي لا أقدم دراسة تحليلية عن تجربة المقاومة الفلسطينـية، وإنما أروي تفاصيل التجربة التـي عشتها في العديد من المواقع، وقد يبدو اللون الذي أكتب به داكناً ومؤلماً، فأنا أبحث في أسباب هزائمنا، ولا أسجل ما تحقق من إيجابيات، وهي كثيرة، في هذه المسيرة الطويلة، ذلك أننـي لست في وارد تعداد مزايا الفقيد، ولكننـي معنـيٌّ بمعرفة أسباب الوفاة. ثم أن جوقة السلطان ما زالت تشيد بالمحاسن والمنجزات، من أوسلو إلى مقاطعة الحصار والمذلة.

وتبقى كلمة:

إننـي هنا أسجل فقط تجربتـي الحية في المواقع التـي شهدتها بأم عينـي، ولعلنا بحاجة إلى آخرين يضيئون من مواقعهم مختلف الزوايا ومساقط الرؤية، لمعاينة هذه التجربة. فيكتمل مشهد مسيرة الثورة المضرّج بالتضحيات وبالخيبات.

الفصل الأول:
البدايات

| زياد منى: من أين تبدأ؟

|| **نزيه أبو نضال:** ربما بتسجيل اكتشاف ذات الحقيقة البسيطة والعميقة: إن الإنسان هو ابن شرطه الثقافي والاجتماعي، بقدر ما هو ابن مكوناته الذهنـية والنفسية والمعرفية، ولهذا، أجدنـي الآن، وأنا أرقب بهدوء رحلة العمر وخياراته ومؤشراته، معنـيا بالبحث عن أجوبة لأسئلة حددت خارطة الطريق لحياتـي:

- ما الذي دفع الطالب الصغير (غطاس جميل صويص، ابن مدينة عمان والمولود فيها عام 1943 والممتدة أصوله إلى مدينة السلط)، إلى أن يشارك نهاية عام 1955، بمظاهرات واشتباكات عنـيفة مع قوات الأمن ضد زيارة تمبلر، الذي جاء لإدخال الأردن في حلف بغداد؟.
- وما الذي جعل الطالب المسالم، والمتفوق في دروسه، وهو في الثالثة عشرة، حين وقع العدوان الثلاثي على بور سعيد، في 1956/10/29، يندفع مع بعض زملائه نحو السفارة المصرية بجبل عمان، ليتطوع للقتال على جبهة القنال؟

| زياد منى: لعل المختبر الاجتماعي الذي يتشكل فيه الإنسان، هو الذي يلعب الدور الحاسم في تكوينه، كالعائلة والمدرسة والمحيط العام، فهل يمكن أن تحكي لنا عن هذه المكونات ثم نذهب إلى بداياتك

الشخصية في الأردن، ثم بدايات التّماسّ مع القضية الفلسطينية؟.

| | **نزيه أبو نضال**: نعم، لكنْ أرجو أن أنجح بتجريد الحالة من جانبها الشخصي، ونقرأ التجربة في سياقها الاجتماعي والتاريخي.

ثمة طالب مدرسة ابتدائية صغير، انتقل في بداية الخمسينيات، من مدرسة الطائفة، وهي اللاتين أو الكاثوليك في طلوع المصدار، إلى مدارس الحكومة، لأن أسرته لا تستطيع دفع قسط المدرسة، الذي تقرر لأول مرة في ذلك العام، رغم أن أمي ذهبت إلى خوري الطائفة، نعمة السمعان (البطريرك لاحقًا) و(ترجّته) إعفائي من القسط المدرسي، فهو يعلم الحال، لكنه رفض، حتى بعد أن هددته بأن نصبح مسلمين.

ثم ولا أدري كيف وجدت نفسي أنحدر من بيتنا شرقًا باتجاه مدرسة للأونروا، رغم أنها للاجئين الفلسطينيين، ولكنني بقيت في مدرسة اللاجئين بصورة مؤقتة إذ لم ألبث أن بت أتسلق حي الحينات غربًا . . لأنحدر بعدها إلى شارع ناعور نحو المدرسة العباسية الحكومية، وهناك تشكلت، وعيًا وسياسة وثقافة، من الصف الثاني إلى السادس الابتدائي، قبل أن أنتقل إلى مدرسة الأمير حسن في الأشرفية، ومنها إلى مدرسة الأحنف بن قيس في الجوفة . . وأخيرًا إلى جبل الحسين البعيد حيث مدرسة رغدان، ثم لأنهي شهادة الثانوية في كلية الحسين.

وبالطبع كان الوصول إلى كل هذه المدارس سيرًا على الأقدام، وهذا تعبير دقيق فلم يكن سيرًا على الأحذية، وإن كان أحيانا على الصنادل . . هكذا كانت عمان بالنسبة لنا . . نلامس طرقاتها ونراها بأقدامنا العارية وبحواسنا الخمسة، ولا نعبر فوق شوارعها بأوتوكار أو تكسي أو باص.

كنا بمقاييس ذلك الزمان، أسرة متوسطة أو حتى دون المتوسطة، بل اسرة أقرب إلى الفقر، عندها قليل من البيوت البائسة تؤجرها، والأب عنده دكان صغير، لكنّ هناك سبعة أفواه (3 أولاد و4 بنات)، يلتهمون كل ما تنتجه الدكان التـي افلست مرارًا.

في زمن التشكل الأول كانت عمان الخمسينيات في مركز الزلزال تستقبل مئات الوف اللاجئين من فلسطين (السليبة) وتعانـي سنوات المجاعة السوداء وهجمات الجراد والاحلاف والمشاريع: حلف بغداد ومشروع آيزنهاور وزيارة تمبلر. كان الناس في حالة غضب قصوى.

كانت تلك سنوات الجوع التـي امتدت من عام 1948 إلى عام 1953، فكان

الوالد يضطر للعمل في مشاريع النافعة والنقطة الرابعة لشق الطرقات، كحارس، وهي المهنة المفضلة عند الأردنـيين الذين لا يتقنون عملاً، ويتجنبون أن يكونوا عمالاً يدويين، وكان خالي فريح الزعمط، يعمل آنذاك مراقبًا في تلك المشاريع، فكان (يدبّر) عمل حارس لوالدي، لكن بلا سلاح، بل بجرد عصا غليظة يخبطها على البراميل الحديدية في سكون الليل، إذا اقترب منه ضبع أو كلب جائع، أو أحد اللصوص لسرقة فأس أو كيس إسمنت.

| زياد منى: أين سكنت العائلة وهل تتذكر مرحلة الطفولة الأولى أعنـي قبل المدرسة؟.

|| **نزيه أبو نضال:** كان بيتنا ولايزال على سفح جبل النظيف، جنوب عمان، في أول صعوده باتجاه حي الحينات الشركسي ثم بعده نحو جبل المريخ . . وأذكر أن الحارة آنذاك كانت تعج بالأطفال الأشقياء الذين لا تتسع بيوتهم الصغيرة لانفجارات طاقاتهم ولهوهم وصراخهم. فكنا نهرب من «عقال» الأب وأحيانا من «حزامه» لأننا نزعج قيلولته بعد الغداء. ثم اعتدنا على الحارة حتى بعد انتقل عمل الوالد بعيدًا عن عمان.

لقد تربينا في الحارة، ولكن إلى جانبها كان هناك مكان طفولة آخر لا يقل أهمية هو بستان دار خالي فريح الزعمط، في حي المهاجرين، وكان مشهورًا بسيل عمان الذي يمر على امتداد حافة البستان، وكنا نسبح فيه ونصطاد السمك، وفي الواقع نحن الصغار كنا فقط نكش السمك باتجاه شباك إخوتنا الكبار التـي كانت بجرد أكياس خيش.

وبستان دار خالي مشهور كذلك بشجرة توت عملاقة كانت تظلل عشرات العائلات ممن كانوا يقصدونه للنزهة، حتى من علية القوم، بما فيهم الأمير عبد الله، وهو يصطحب ابنه الصغير الأمير طلال، وكان خالي فريح يلعب معه، فأنا كما ترون ابن أخت البيه.

حين كبرنا قليلاً اتسعت دوائر شقاوتنا باتجاه شارع الملك طلال، سوق عمان الرئيس، وربما الوحيد، باتجاه الجامع الحسينـي، ومقابله سوق البخارية.

أبرز ما شكل علامات طفولتنا (كلمة طفولة هنا تبدو ناعمة وبريئة ولا تلائمنا في ذلك الزمن الخشن) كان شارع الملك طلال وثلاث دور سينما: سينما دنـيا التـي شاهدت فيها أول فيلم في حياتـي «القرصان الأحمر» وهو فيلم مغامرات لبرت لانكستر، وفيلم حربي اسمه «دورية باتان»، ثم جاءت بعدها سينما الكواكب، ولكن قبلهما كانت سينما البتراء التـي أخبرتنا أمي

مرارًا كيف حضرت فيها، هي وصاحباتها، قبل الزواج بالطبع، فيلم «الوردة البيضاء» لمحمد عبد الوهاب، مقابل قطعة قماش حمراء كانت مشروع فستانها على العيد. آنذاك كانت النقود عملة نادرة وربما مفقودة.

من بيتنا في النظيف كنا كل صباح، وقبل المرحلة الابتدائية، نتحدر باتجاه مدرستنا القريبة في دير اللاتـين، أول طلوع المصدار، وكان اسمه صف البستان وهو الروضة لاحقًا.

| زياد منى: ولكن الأصل من أين؟

|| **نزيه أبو نضال:** الأسرة كلها، بما فيها أمي من مواليد عمان، ولكن والدي من السلط، من عشيرة الصويصات، التـي تمتد جذورها إلى الفحيص، وقد انتقل والدي، قبل أن يتزوج، إلى عمان، في ثلاثينـيات القرن الماضي، كما انتقل والده من قبل من الفحيص إلى السلط.

كان لوالدي محل بقالة في شارع الملك طلال قبل أن تهدمه بلدية عمان، فكان أن جعنا ولكن تحسن منظر المدينة.

جدي صالح كان صيادًا، هوى به حصانه عن صخرة عالية في عراق الأمير قرب وادي السير فمات، أما جدي يعقوب الزعمط فكان من الأشقياء المعادين لسلطة الأتراك، طاردوه ذات مرة، كما تروي أمي بفخر، فاختبأ في كفن ميت بأحد المغاير فنجا. وتروي أيضًا كيف أن أفعى سامة قد قرصت إبهام قدمه فأخرج الشبرية وقطعه، لكن يبدو أن بعض السم قد تغلغل في الجسم فما لبث أن مات بعد فترة.

| زياد منى: بالعودة إلى السؤال، ما الذي جعل الطالب الصغير، على عكس شباب جيله، من ذات الوسط وحيث استمر الآخرون، يغرد منفردًا خارج ذلك السياق؟.

|| **نزيه أبو نضال:** حين صحوت على الدنـيا في أواخر الأربعينـيات وبداية الخمسينـيات، وجدت في بيتنا مكتبة . . المكتبة لم تكن موجودة في الأغلبية الساحقة من بيوت عمان، ولكن أخي راتب كان قد ورثها عن خالي، بعد وفاته بداية الخمسينـيات، ثم طورها بنفسه، من دخله الزهيد كميكانـيكي.

هذه المكتبة أخذتنـي إلى طريق المعرفة، إذا شئت، طبعًا المعرفة بمعناها البسيط، في البداية، تقرأ أي شيء، قصصًا، شعرًا، روايات لكتاب مهمين أو مجهولين، كتب تراث، لم يكن التمييز سهلاً لكي تختار، الذي يقع بين يديك تقرأه.

ثم دخلت إلى المدرسة العباسية الحكومية، وايضًا فيها مكتبة متواضعة، التهمتها بلا هوادة. وكنت أذهب إلى مكتبة واحد اسمه «روحي» يؤجر كتبًا عند الجامع الحسيني بعمان، كنت أستاجر الكتاب بتعريفة (نصف قرش)، وفي طريق عودتي إلى البيت كنت أقرأ الكتاب وانا امشي على الرصيف، واحيانًا اكون قد أنهيته قبل أن أصل إلى البيت، فارجع لروحي وأستاجر كتابًا ثانيًا، كانت على الأرجح قصصًا بوليسية: أرسين لوبين، شرلوك هولمز. روايات أجاثا كريستي، ولكنني كنت أكثر ميلاً إلى كتب المغامرات، مثل سلسلة الفرسان الثلاثة، ورابعهم دارتنيان، لاكسندر دوما. وأظن أن هذه المغامرات بالذات قد صاغت لي منظومةً من القيم والأخلاقيات الرومانسية، وعلمتني معنى الصداقات الحميمة، كتلك التي جمعتني منذ ذلك الزمن إلى الآن، مع أصدقاء العمر نزيه خوري، الذي استعرت منه اسمي الحركي، ومنيب حداد، الذي رحل وعيسى بطارسه، وفخري قعوار، وعاطف قعوار، ولاحقًا نبيل بطارسه وإخلاص، ويعقوب خوري الذي يساوي بنظري قبيلة أصدقاء.

وفي الجامعة فوزي بيترو وهشام هنيدي وجهاد الكبيسي ومحمد الشنطي. ومن زمن الثورة القاسي والجميل: محمد أبو ميزر ومي صايغ وماجد أبو شرار الجميل وأبو نائل.

| زياد منى: أي الروايات كانت الأكثر تأثيرًا في وجدانك؟.

| | **نزيه أبو نضال:** أظن أن من بين تلك الروايات التي ساهمت في تشكيل وعينا ووجداننا آنذاك «البؤساء [البانسون]» لفكتور هوغو، و«قصة مدينتين» لتشارل ديكنز، ثم سحرتنا الرواية الروسية وبالذات ديستوفسكي وتولستوي، وقصص تشيخوف، و«الأم» لمكسيم جوركي، و«الفولاذ سقيناه» لستروفسكي، ثم روايات وقصص أميركية لجون شتاينبك، وأو هنري، ومارك توين، لكن اعجبني اكثر، جاك لندن في «العقب الحديدية»، ومارغريت ميتشل في «ذهب مع الريح»، وبيرل باك صاحبة «الأرض الطيبة»، وقرأت ماساة السود في «كوخ العم توم» لهرييت بيتشر ستاو، و«أبناء العم توم» لهوارد فاست، وكل هذا وغيره كثير، إضافة إلى روايات عربية لنجيب محفوظ والسباعي وعبد الحليم عبد الله وعبد الرحمن الشرقاوي صاحب «الأرض»، وإحسان عبد القدوس مع انفجار سن المراهقة، ثم انفجار الوعي مع الأدب الوجودي لسارتر، والعبثي لكامو، واللامنتمي لكولن ولسون . . إلخ. إلى هذا

الحد كنت نهمًا ومتعلقًا بالكتاب وبالقراءة . . خاصة الرواية التـي شكلت، كما يقول كولن ولسون، وعي أوربة أكثر من كل العلوم الأخرى مجتمعة.

في المدرسة العباسية، كانت المكتبة مرجعًا لكتب أكثرَ غنىً وتنوعًا، تقرأ بحدود وعيك أنذاك، روايات وكتبًا دينـية وفكرية لأعلام معروفين، كأن تحاول قراءة كتاب ضخم وصعب اسمه «إميل» أو «التربية» لجان جاك روسو. بالطبع أنت لن تفهم كل شيء في هذه الكتب، ولكنك تحصل على كم من المعرفة. من هذه الكتب الجديّة، استعرت من مكتبة المدرسة، وقرأت «قصة الحضارة» لوول ديورانت.

| زياد منى: في أي مرحلة دراسية كنتَ وقتها؟.

| | **نزيه أبو نضال:** كنت في أواخر المرحلة الابتدائية، وكأن كل هذه القراءات، راكمت قِيمًا ومفاهيم معرفية كمية ونوعية واهتمامات عامة بهذه الدنـيا، وصولاً إلى تحديد خياراتك المبكرة. مثلاً، بعد قراءة كتاب «قصة الحضارة»، أو أجزاء منه على الأرجح غادرت الفكر اللاهوتـي إلى الفكر العلمانـي . . فقد اكتشفت، وكنت وقتها بالطبع أقرأ فقط من باب التسلية والمتعة والمعرفة، بأن كل تاريخ الأديان مترابط ومتشابه، الأرضية منها والسماوية، الحكاية نفسها تتكرر في أمكنة وأسماء أخرى. وجدت أن كل هؤلاء من جماعة الله، هم قلة قليلة في الزمن، وفي العالم، قبلنا، أي قبل المسيحية واليهودية والإسلام، حيث كانت توجد ديانات لا حد لها، وبجانبنا الآن في العالم ديانات لا حد لها أيضًا، فلمَ نكون نحن الذين على حق ويكون الآخرون مخطئين؟، فأوصلنـي ذلك الشك إلى يقين مغاير للسائد. أصبحت حرًا خارج المتداول والمألوف، وخارج المسلمات، وقادرًا على بلورة ما أقتنع به من قرارات.

هذا الانصراف إلى مكتبات البيت والمدرسة، و«روحي»، جعلنـي أذهب نحو مجموعة علاقات مع زملاء يهتمون بالكتاب وبالقراءة، بل ويستعيرون من مكتبتنا ما يقرؤون. وقد أوصلنا ذلك إلى نوع من الجدية في أحاديثنا واهتماماتنا المبكرة.

| زياد منى: لكن ألم تكن هذه الأفكار سائدة في المجتمع المثقف؟.

| | **نزيه أبو نضال:** طبعًا كل ذلك لم يكن معزولاً عن المناخ العام في البلد، وخصوصًا في المدرسة التـي درست فيها وهي العباسية. تخيل أنه في

الخمسينيات، كان يدرّسني في مرحلة واحدة، أستاذ رياضيات اسمه عبد الفتاح تولستان، وهو شيوعي أردني من أصول شركسية، وقد اعتقل وقَضَى تحت التعذيب، وربما كان الوحيد الذي مات تحت التعذيب. كما كان يدرسني اللغة العربية أستاذ شيوعي ثانٍ اسمه نايف صوالحة، من مادبا، وأستاذ ثالث بعثي من نابلس، اسمه صلاح الخَفش، ثم لاحقًا أستاذ من «حزب التحرير» الإسلامي، كان يدرسنا اللغة العربية، اسمه أحمد الداعور، وكذلك أستاذ تاريخ شيوعي من أقاربي، اسمه سليم صويص. حتى مدير المدرسة من بيت الخفش كان بعثيًا. إذن أنت في مدرسة كان أساتذتها بغالبيتهم الساحقة، عقائديين وحزبيين منظمين، وكانت المدرسة كلها حين يقع أي حدث، كزيارة تمبلر، أو محاولة إدخال الأردن في حلف بغداد، أو زيارة وزير تركي للأردن، كنا على الفور جاهزين للتحرك، وطبعًا وفق تعليمات حزبية، يقول المعلمون لنا: هيًا يا شباب. وكنا بالطبع نتجمع ونندفع إلى حيث لا ندري، ونهتف بشعارات غامضة، ونحن نجمع الحجارة، وغضبي نتعارك مع الشرطة في الشوارع، وهكذا دخلت العمل العام من خلال هذه المظاهرات والصدامات.

كان ذلك في الخمسينيات. أنا بقيت في المدرسة العباسية لغاية عام 58/57.

| زياد منى: في هذه الفترة تقريبًا وقعت حرب السويس، الأدق: العدوان الثلاثي.

| | **نزيه أبو نضال**: نعم واستمرت من 29 تشرين أول 1956 إلى آذار 1957. كان حماسنا وقتها بلا حدود، والناس صارت مثل النار، واندلعت في الأردن والوطن العربي المظاهراتُ وعملياتٌ عنيفة، كنسف أنابيب التابلاين البريطانية في سورية.

وقتها قلت لنفسي: لا يصح أن أبقى قاعدًا أتفرج، ومصر تتعرض للعدوان الثلاثي، فانطلقنا ركضًا أنا ومجموعة من الشباب في المدرسة، طلاب أعمارنا 14 و15، إلى السفارة المصرية، نريد أن نتطوع للحرب في بور سعيد.

(يومها خرج علينا السفير المصري، ربما كان أحد الموظفين، فشكرنا، وطلب تسجيل أسمائنا وعناويننا في سجل المتطوعين، وأبلغنا بأنه سيتم استدعاؤنا عند الحاجة، ولم ينسوا في السفارة تقديم هدية لكل منا، خرجنا مبهورين بها! كانت صورة ملونة لجمال عبد الناصر).

| زياد منى: ما الذي كان يدفع نزيه أبو نضال إلى مثل هذه الخيارات؟.

| **نزيه أبو نضال:** دعنـي أعد إلى سؤالك عن تأثير البيت والمناخ العام. كما قلت لك قبلاً، كانت لدينا بعض البيوت نؤجرها. ولكنّ كلمة تأجير بيوت، فضفاضة؛ بيوت بسيطة وفقيرة كانت تؤجر بدنانيرَ زهيدة، لعائلات أو لأشخاص . . إلخ. آنذاك، استأجر عندنا شاب اسمه سالم من عجلون، أذكره إلى الآن، ولو رأيته الآن لعرفته، كان شيوعيّا مطلوبًا، وكان مطاردًا من المخابرات، فجاء واستأجر عندنا غرفة، وأخطرَنا بشكلٍ ما، أنه مطلوب، فإذا جاءت الشرطة تسأل عنه أن لا نخبرَهم بوجوده. صار هناك تواطؤ ضمني بيننا، بأن نتستر عليه، ومن أمي تحديدًا، لأن أبي كان في شغله من الصباح ويرجع في الليل، ونحن لا نزال صغارًا. وأتذكر أنه عندما كانت تأتي «كبسية» الشرطة أو المخابرات للقبض عليه، كان سالم ينزل فورًا تحت السرير، فتخرج أمي إليهم، وتسألهم: ماذا تريدون؟.

يقولون: نريد سالم. مطلوب للدولة.

أمي كانت سريعة البديهة وجريئة وخفيفة الظل جدًا، فتجيبهم: آه صحيح، أين سالم هذا؟. نحن نريده كذلك، لم يدفع أجرة الغرفة منذ ثلاثة أشهر، جاء واستأجر البيت واختفى، نريد منه أجرة البيت!. أتمنى منكم إذا عرفتم مكان هذا النصاب، أن تخبرونا لنحصّل نقودنا منه، فيذهبون مطمئنين. فلا يمكن لواحدة مثلها أن تكون متسترة على نصاب وسارق ولا يدفع إيجار البيت، وعندما يذهبون، يخرج سالم من تحت السرير، شاكرًا أمي على إنقاذه من السجن.

بعد ذلك، حين كانت أمي تراهم قادمين، تسبقهم هي بالسؤال: هل عثرتم على هذا النصاب؟، فيرتدون خائبين.

أذكر واقعة أخرى: كان شخص اسمه هانـي دبابنة، شقيقًا لجارة تستأجر عندنا اسمها أم موسى، وكان هاربًا من ناعور، ويختفي عند أخته، ومعه كمية كبيرة من المناشير. ولأنها أخته فمن الممكن أن تصل «كبسية» إلى بيتها وهم يفتشون عنه، وعن أي شيء معه، فأحضر هانـي لأمي المناشير لتخفيها عندها.

قال لها: أنت لا أحد سيبحث عندك، لأنك لا تلفتـي النظر. أخذت أمي المناشير، ولفتها، ووضعتها داخل صرر وأخفتها. كانت تجد طرائق متعددة للحماية.

| زياد منى: لكن من اين أتتها هذه الشجاعة، عادة في ظل هكذا نظام قمعي، الناس يخافون.

| | **نزيه أبو نضال:** لا في الخمسينـيات لم تكن الناس تخاف من الدولة. ذلك الخوف جاء في سنوات لاحقة.

| زياد منى: هل كان هناك في العائلة كراهية للنظام؟.

| | **نزيه أبو نضال:** في العائلة لا، ليست كراهية للنظام بالمعنى السياسي أو الأيديولوجي، المسألة أكثر تعقيدًا، فهذا الشاب سالم، أستاذ مدرسة من عجلون، أستاذ راقٍ جدًا ومهذب، فأنت هنا تحمي شخصًا يستجير بك، هل فهمتنـي؟.

| زياد منى: النخوة!.

| | **نزيه أبو نضال:** بالضبط النخوة العربية، بالعلاقات، بالعادات، تحمي الناس الذين يحتاجون إلى حماية، ويستجيرون أو يحتمون بك. وبالمقابل، وكما ترى، هذا شخص لم يفعل شيئًا خاطئًا، وعائلته أو عشيرته معروفة لنا. وهذه المناشير وهذه الأحزاب كانت من أجلنا. الفكرة لم تكن واضحة تمامًا، على الأقل لأمي، لكنها كانت تحترم هؤلاء الناس.

كان الحزبيون عمومًا، يحظون باحترام كبير، لأنهم كانوا في الشارع يدافعون عن حقوق الناس والفقراء وفلسطين، وما شابه هذه التفاصيل. ثم إنهم أبناء عائلات تتصل معنا بأشكال من المعرفة والقرابة . . فالعائلات المسيحية في شرق الأردن، يوجد بينها صلات نسب وقربى عاليةً جدًا، وهؤلاء يعرفون بعضهم؛ الحزبيون أولاد ناس، ويضحون من أجل قضية، وبالتالي يحمون بعضهم ويساعدون بعضهم. في إطار هذا الفهم، وبعيدًا من الانحياز الطائفي أو الأيديولوجي والسياسي والفكري، الذي يمكن الآن أن يثير الالتباس، ويكون الكلام كبيرًا على حدود الوعي عند الناس في ذلك الوقت. المجتمع المسيحي بالمناسبة، كان مشتملاً على مقدار مرتفع من الحزبيين، وأنت حين تتحدث عن ناعور، أو مادبا، أو الكرك، أو حتى الوسط المسيحي في عمان، ستجدها تنغل بالشيوعيين والبعثيين والقوميين، وبشكل كبير وواضح.

أما «الأخوان المسلمون»، فقد كان تواجدهم ضعيفًا ومحدودًا، خاصة وأنهم كانوا تابعين للدولة في مكتبهم الرسمي، بلافتته الخضراء، القريب من مطاعم جبري، في شارع السلط بعمان. لم يكونوا يحظون بشعبية، ولا أتكلم هنا عن المسيحيين، بل عن المجتمع الأردنـي. أنذاك، لم يكن لهم حضور شعبي واسع؛ الحضور كان للفكر القومي الناصري الاشتراكي والشيوعي. ويمكن القول إن ولاء غالبية الناس كان لجمال عبد الناصر وصوت العرب وفلسطين.

وهكذا عشنا نحن هذا الجو الذي فيه مزيج من المغامرة ومن الاستعداد

للتضحية . . فوجدنا أنفسنا، إذا صح التعبير، متورطين، كجزء من دائرة الصراع.

| زياد منى: يبدو ذلك جزءًا من الجو العام في تلك الفترة، فترة الخمسينيات والستينيات، مرحلة الصعود الوطني والقومي والحراك السياسي العالي؟.

|| **نزيه أبو نضال:** تمامًا. نحن كنا محمولين على مرحلة صعود، قومي ووطني عالٍ جدًا، مظاهرات في الشوارع ضد حلف بغداد، وتمبلر، وحرب بور سعيد، وعبد الناصر، وأحمد سعيد. كل شيء كان يغلي من حولنا، وكنا جزءًا من حالة الغليان، ونعمل بحدود وعينا وإمكانياتنا وقدراتنا.

في سياق هذا التطور، انتقلت من «المدرسة العباسية»، إلى مدرسة ثانية اسمها صلاح الدين، في جبل الأشرفية، لمدة عام، ثم إلى مدرسة الأحنف بن قيس بالجوفة في الثالث الإعدادي، وفيها انتميت للقوميين العرب.

مع حركة القوميين العرب

| زياد منى: كيف انتميت إلى حركة القوميين العرب؟.

|| **نزيه أبو نضال:** في مدرسة الأحنف، تعرفت على شاب قومي عربي، اسمه عدنان صالح، وهو الآن، ومنذ سنوات طويلة في كندا. آنذاك، كل ناصري كان قوميًا عربيًا، وكل قومي عربي هو ناصري. وأنا كنت شديد الحماس للناصرية وللفكر القومي، وصرنا أنا وعدنان صديقين حميمَين. فعرض عليَّ الانخراط في حركة القوميين العرب، فوافقت، وصرت عضوًا منظّمًا في الحركة، أحضر اجتماعات الخلية أسبوعيًا، ثم نتفق سرًا على موعد اجتماع الخلية التالي ومكانه، ثم نخرج وكل واحد منا معه البيان أو النشرة الحزبية، فأخفيها بحرص داخل ملابسي، لأقرأها خلسة فيما بعد. أذكر مرة حين التقيت مع أحد رفاق الخلية صدفة أمام سينما الحسين بعمان، أنه تجنبني بسرعة وهو يغمز بطرف عينه، منبهًا وهامسًا: حذار! فهذا القادم نحونا مخبر! فساورني على الفور، إحساس غامض بالأهمية والخطورة.

| زياد منى: في اي سنة كان ذلك؟.

|| **نزيه أبو نضال:** كان ذلك عام 1959 أو 1960، بهذه الحدود. كنت وقتها في الصف الثالث الإعدادي. أي قبل التوجيهي بثلاث سنوات. أنا كنت

أكبر من صفي بسنة تقريبًا، بسبب الانتقالات من مدرسة إلى مدرسة، في هذه الفترة، صرت كما قلت، عضوًا منظمًا، وفي أحد الاجتماعات، عرفنا من رئيس خليتنا، واسمه سعد، بوجود تنظيم عسكري سري، اسمه «شباب الثأر»، في حركة القوميين العرب، وبأن خلايا هذا التنظيم، تتدرب الآن كي تبدأ المقاومة المسلحة من أجل تحرير فلسطين، فتحمست جدًا، وطلبت أن أدخل هذا التنظيم، فأنا أريد أن أقاتل، لا أن نظل نحكي ونقرأ فقط. لكن يبدو أن الانضمام إلى «شباب الثأر»، كان يتطلب عمرًا مختلفًا، أو وعيًا مختلفًا، وربما درجة تنظيمية مختلفة، وأيًا كان الوضع، المهم أنه لم يُستَجَبْ لطلبي.

في هذه الفترة، بدأت أتطور فكريًا وسياسيًا، من الفكر القومي إلى الفكر الماركسي، ووجدت المسافة تتسع بيني وبين حركة القوميين العرب، أولًا لأنه لا مكان لي في الممارسة المسلحة كما أريد، وثانيًا، لأنني بدأت أتحول إلى الماركسية، وأنا عضو في حركة قومية تكاد تكون معادية للماركسية، أي إنني - إلى جانب إيماني العميق بالفكر القومي الوحدوي والناصري - صرت أؤمن بالماركسية اللينينية، بالمعنى النظري والفكري، لكنني لم أكن في أي يوم شيوعيًا بالمعنى الحزبي، أو الولاء لموقف موسكو من قضايا الصراع: مسألة تحرير فلسطين، والموقف من الاعتراف بإسرائيل، شكلا حاجزًا بالنسبة لي. وكنا (نعاير) الشيوعيين بأن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة اعترفت بإسرائيل، ولاحقًا القرار 242؛ فمن غير الممكن أن أكون في حزب شيوعي معترف بدولة إسرائيل من حيث المبدأ، ولا يناضل من أجل وحدة الأمة العربية.

| زياد مني: ألم تكن لديك طموحات شخصية في ذلك الوقت؛ أن تكون طبيبًا أو محاميًا مثلًا؟.

| | **نزيه أبو نضال:** يبدو أن رغباتي كانت جزءًا من ثقافتي. أنا كنت هاوي أدب، وغاوي كتابة، وهذا الاهتمام جزءٌ من عالمي، أي عالم الثقافة والأدب والكتابة. مثلًا، أذكر أني كنت الأول في المدرسة في كل المواد تقريبًا، لكنني كنت متميزًا في اللغة العربية على نحو خاص، مواضيع الإنشاء التي أكتبها تُقرأ في باحة المدرسة، وكثيرًا ما كنت أكتب وأقدم جريدة الصباح أمام طابور المدرسة. كنت كما يبدو أكتب مواد متقدمة عن عمري، حتى إنني بدأت، مبكرًا أيضًا، أكتب مقالات وأنشرها في الصحف الأردنية، لهذا كنت وأنا لا أزال في الإعدادي، مصممًا أن أدرس الأدب العربي، وفي القاهرة

بالذات، حيث عالم الأدب والأدباء والفنون. وحين أنهيت الإعدادية للانتقال إلى الثانوية، كان علي أن أختار الفرع العلمي أو الأدبي، وكان معدلي يؤهلني لدخول الفرع العلمي. ولكنني اخترت الأدبي، وحصلت على الأول تقريبًا في المملكة في مادة اللغة العربية، بينما معدلي العام كان حوالي 70%، معدل متواضع، لكن في ذلك الوقت لم يكن سيئًا كثيرًا، نحن نتحدث عن عام 63/62.

المهم، كان هذا الخيار، الأدب والكتابة، وهما جزء من السياسة والثقافة عمومًا، أنت حين تقرأ رواية فكأنك تقرأ تقريبًا كتابًا في الفكر أو السياسة أو حتى الفلسفة، فهم أولاد عم. أو كما يقول الآن صديقنا د هشام غصيب، إذا أردت أن تفتش عن الفلسفة الروسية، فتش عنها في الرواية الروسية، عند تولستوي وديستوفسكي وتشيخوف. هناك نجد الفكر والفلسفة الروسيين.

| زياد مني: متى حصلت على الشهادة التوجيهية؟.

|| **نزيه أبو نضال**: العام الدراسي 1963/1962 وكان الاتفاق وقتها مع أخي راتب في الكويت، أن أكمل دراستي الجامعية في القاهرة، لكنني فوجئت بما كاد يدمر تاريخًا من الأحلام: القاهرة كانت حلم حياتي، لأن القاهرة تعني طه حسين والعقاد ونجيب محفوظ والأدب والفن . . هي كل عالمي، وأن أذهب إلى القاهرة يعني أني أستكمل حلمي، وأحقق ذاتي من خلال الدخول في هذا العالم الذي كنت مفتونًا به، وأحبه، وقرأته، وكنت أنتظر، حتى، أن ألتقي شخصيات نجيب محفوظ، إن زرت خان الخليلي، أتوقع مثلاً أن أجد أحمد عبد الجواد في دكانه، أو أقابل في الشارع أولاده كمال وياسين، أتكلم معهم وألمح أختهم عائشة وراء مشربية بيتهم. إلى هذا الحد كنت متقمصاً الحالة القاهرية وحاراتها.

كان أخي آنذاك، يعمل ميكانيكيًا في الكويت، قال لي في رسالة مفاجئة: إنه يشتغل ليجمع المال وليرتب أموره ويتزوج ويبني بيتًا، وهذا يتعارض مع وعود سابقة لي. كان يقول لي: أنا سأرسلك إلى القاهرة. فلما حسبها، أن يرسلني ويصرف علي في القاهرة، وجدها مسألة مكلفة، فهناك تذاكر الطيران، واستئجار بيت، وإقامة، وهو فقط ميكانيكي. كل ذلك لا يتلاءم مع ترتيباته المستجدة في تلك الأيام. فبعث يقول لي: إن الجامعة الأردنية فتحت، ويمكنك أن تسجل فيها. وأريد أن أرسل لك نقودًا كي تفصّل بدلتين عند السقا، وهو انذاك خياط مشهور. وحين أفكر الآن بالأمر أقول لنفسي

لعله كان على حق، لكنْ وقتها، كنت أرى بعين واحدة فقط، فبسبب رسالته تلك، أحسست بخذلان وخيبة أمل مريرة كما لم أشعر بحياتي من قبل ومن بعد. كنت كمن يسير بيقين نحو هذا الاتجاه، وفجأة، وإذا بحائط أسود يغلق كل ما هو أمام. فأرسلت لأخي رسالة عنوانها، «لنضع النقاط فوق الحروف»، كانت، كما يبدو، أشبه بمقال أدبي، فحواها: أنا لا أريد منك شيئًا، أنا أريد أن أشتغل وأكمل دراسة الأدب العربي بالمراسلة، أي بالانتساب، في القاهرة أو دمشق، ولكن ليس في عمان. كانت كما يبدو رسالة حارة وحادة ومؤثرة، وفيها منطق متكامل. المهم، اشتغلت في محل حدادة، بطلعة المصدار، فيه غرفة زجاجية بداخله، ومهمتي أن أسجل ما يدخل من الحديد وما يخرج منه، لأوفر ما يمكنني من السفر وتقديم الامتحانات، وكان البلد المتاح في ذلك الظرف، دمشق أكثر من القاهرة.

حين وصلت الرسالة لأخي راتب، انزعج وتأثر جدًا كما يبدو، فأعطى رسالتي لصديق له كي يقرأها، ويبدو أن صديقه أيضًا قد تأثر كثيرًا بما قرأ، فقال لأخي: ما هذا الذي فعلته بأخيك، أقسم بالله إن لم ترسله للدراسة في القاهرة سأرسله أنا كي يكمل الجامعة على حسابي، ذالك الشاب تعاطف مع الحالة من دون أن يعرفني، فكان أن تحمس أخي وبعث لي برسالة يقول لي فيها أكمل استعداداتك للسفر، فأكملت.

كما اكتشفت مدى التأثير السحري للكتابة الأدبية.

في القاهرة

| زياد مني: لكن مصر كانت معادية للشيوعيين في ذلك الوقت، كيف استطعت أن تحقق الانسجام والتناغم، بين الماركسي اللينيني والدولة التي تضطهد الشيوعيين؟

| | **نزيه أبو نضال:** أنا لم أمارس نشاطًا في تنظيم سياسي شيوعي مصري، فقط تلك كانت قناعاتي الفكرية كماركسي، ومصر كانت مليئة بالماركسيين والتقدميين، وهؤلاء لم يكونوا أعداء لعبد الناصر. كان أكثر من نصف رواد حلقات نجيب محفوظ، من الماركسيين والشيوعيين، طبعًا، كانت تتم حملات في مصر لاعتقال بعض هؤلاء، وكان من المعتاد أن نجدهم معنا اليوم في الندوة، وبعد اسبوع تفتش عنهم ولا تجدهم، يكونون في السجن.

| زياد مني: ولكن، الم تخلق تصرفات الحكومة المصرية أي عداوة لديك؟.

| | **نزيه أبو نضال:** لا، رغم رفضي، وإدانتي، طبعًا للممارسات اللاديمقراطية في مصر عبد الناصر، أنا كنت ناصريًا عروبيًا، وماركسيًا، ولم أكن أرى تناقضًا بين الفكر الناصري والفكر الماركسي، وقد قدمت لاحقًا أطروحات في هذا الموضوع، حول جدل الماركسي والقومي، وهي موجودة في كتابي ‹مواجهات سياسية›. وعبد الناصر، رغم اضطهاده للشيوعيين والماركسيين عمومًا، ظل معاديًا للإمبريالية والرأسمالية، ومن أبطال حركة التحرر الوطني، والشواهد موجودة في التأميم وصفقة الأسلحة التشيكية وبورسعيد والسد العالي، والوحدة القومية مع سورية، ودعم الثورات العربية في الجزائر وعُمان واليمن . . إلخ.

خلال تلك السنوات الذهبية، عشت حياتي الثقافية كاملة. في البداية وانتظارًا لنتائج قبولنا الجامعي، سكنت في مصر الجديدة أنا وفخري قعوار وشقيقه عاطف قعوار (المهندس لاحقًا) ومنير النبر، (الدكتور لاحقًا)، في تلك الفترة تعرّفنا على القاهرة ومعالمها وآثارها ومسارحها وممثليها، والتقيت أنا وفخري قعوار في زيارات شخصية لبيوتهم أو لمكاتبهم بعدد من الكتاب المعروفين آنذاك، منهم نجيب محفوظ، الذي أجريت معه حوارًا مطولاً، نشر آنذاك في مجلة «الأفق الجديد» المقدسية ذائعة الصيت. كان ذلك في عام 1964، ثم التقينا مع عبد الرحمن الشرقاوي ومحمد عبد الحليم عبد الله ومحمود تيمور وثروت أباظة، والكاتب الصحفي اللامع حلمي سلام، والناقد توفيق حنا، ونشرتُ في مجلة «الثقافة» مقالاً نقديًا عن رواية «قصر فوق النيل» لثروت أباظة، كما نشرت قصة في مجلة «القصة»، أظن اسمها «الممثل»، كما نشرت في مجلة الجامعة «الأدب العربي»، قصة الرغيف، وهي تدرَّس الآن في إحدى الجامعات السعودية وكذلك في جامعة جدارا في الأردن، وربما بسبب من انحياز الصديق د محمد الشنطي للقصة أو لكاتبها.

بعد ذلك، داومنا أنا وفخري في مقهى الأوبرا حيث لقاءات نجيب محفوظ الأسبوعية، ثم لاحقًا وحدي في مقهى «ريش»، حيث تعرفت على العديد من أدباء مصر ونقادها، ومازالت تربطني ببعضهم علاقات حميمة حتى الآن، منهم: صبري حافظ، وجمال الغيطاني، ومحمد إبراهيم أبو سنة. وعبد الرحمن أبو عوف، وكان من بينهم الراحل غالي شكري، والروائي والقاص الأردني المعروف غالب هلسا، الذي تواصلت صداقتي معه، في بيروت ودمشق، حتى ليلة وفاته في مشفى الأسدي بدمشق بتاريخ 1989/12/18.

وكان السلطات المصرية، في زمن السادات، قد طردته من مصر إلى العراق، لمناهضته اتفاقات كامب ديفيد.

في جامعة القاهرة

بعد ظهور نتائج مكتب تنسيق الجامعات، لم تكن نتائج القبول مواتـية لأصدقائي فخري وعاطف ومنـير، فأكملوا دراساتهم الجامعية في بلاد أخرى. أما من ناحيتـي فقد جاء قبولي في جامعة القاهرة، فسكنت في شارع الهرم، مع زملائي في كلية الحسين في عمان، هشام يانس، وهشام هنـيدي، اللذين باتا بعد ذلك فنانـين مشهورين ، وطبيب الأسنان الأديب فوزي بيترو، وخالد الحصل، الذي يقيم بوضع غرائي في ألمانـيا، ولاحقًا مع الدكتور نزيه دعيبس المقيم الآن في أميركا.

لم يكن الدِوام الجامعي يعنـيني إلا من ناحية التحصيل الثقافي والمعرفي، فابتعدت مثلاً عن حضور محاضرات النحو واللغات القديمة والأجنبية، وداومت على محاضرات الأدب والنقد، على أيدي أساتذة كبار منهم عبد الحميد يونس، ونبيلة ابراهيم، وشكري عياد، ويوسف خليف، وعبد المنعم تليمة، وغيرهم، وعدا ذلك، فعالم الندوات الأدبية والفعاليات الثقافية، وخاصة المسارح حيث كنت أشاهد مسرحية واحدة على الأقل كل أسبوع.

لقد كنت لسنوات واحدًا من عشاق المسرح المصري، وكان بكل تنويعاته مدرسة كبيرة: المسرح القومي، مسرح الحكيم، مسرح الجمهورية، مسرح الجيب التجريبـي. حتى مسرح الريحانـي ومسارح القطاع الخاص. وكنا عدا ذلك، نتابع الأفلام السينمائية، خاصة الروسية، في سينما أوديون، والسيمفونـيات في دار الأوبرا، والمتاحف والمعارض الفنـية والمكتبات، من مكتبة الموسيقى في «ميدان التحرير»، إلى مكتبة الجامعة، إلى شراء الكتب من على سور الأزبكية . . الخ. ورغم كل ذلك، كنت أنجح في كل عام، مكتفيًا بتقدير جيد، الذي يؤهلنـي لاحقًا للدراسات العليا، في الماجستـير والدكتوراه.

هزيمة حزيران

وفجاة وقع الزلزال الذي عصف بكل شيء:

يوم 5 حزيران 1967 كنت في حي شبرا في القاهرة، مع الصديق البحرينـي

عبد الله العباسي نستعد لامتحانات السنة الأخيرة في الجامعة صباح اليوم التالي. وفجأة، ارتفعت أصوات صفارات الإنذار وهتافات الناس وتهليلهم. فتحنا الراديو لنتابع أنباء تساقط الطائرات الإسرائيلية كالذباب. فصعدنا إلى سطح البناء كي نشهد ما يحدث بأم أعيننا. لم نشاهد طائرة تسقط. لم نشاهد شيئًا. ولكننا صدقنا. كنا محلّقين مع بلاغات النصر، ولهذا كان سقوطنا، بعد أيام، في خيبة الهزيمة، مروعًا.

توقعنا أن يتقدم العدو باتجاه القاهرة، أو يقوم بإنزالات مظلية فوقها. فاندفعنا مع طلبة الجامعة، في دورة عسكرية سريعة، للتدريب على السلاح (فك وتركيب) وفي حي الهرم، حيث كنت أسكن، استلمت بندقية قديمة، وخرجت للحراسة في حالة استنفار عسكري مع أهل الحي لمقاومة الغزاة. لم يكن الوضع العسكري واضحًا، وبدأت الشائعات عما حدث للطيران المصري، وحكايات المشير عبد الحكيم عامر!.

حين أعلن عبد الناصر استقالته بصوته المتهدج، تأكدنا من الهزيمة، فاندفعنا كما يجب، في تظاهرات 9 و10 يونـيو (حزيران) ، في ميدان التحرير، وسط خمسة ملايين مفجوع، وثنـينا القائد عن قرار الاستقالة.

| زياد منى: ثم ماذا؟ كيف حدث التغيير باتجاه الخيار البديل؟.

|| **نزيه أبو نضال:** فكرت بجزم بأن علي أنا شخصيًا أن أفعل شيئًا . . لكن كيف؟.

كنت أسمع بصورة غامضة، في أوساط الطلبة الفلسطينـيين، عن منظمة فدائية اسمها «فتح»، ولها جناح عسكري اسمه «العاصفة»، وبدأت رحلة البحث عن فتح، للالتحاق بالعاصفة:

لن أكون رجلاً إذا لم أقاتل!.

آنذاك كنت في وسط من الأصدقاء الفلسطينـيين، فقد كنا نسكن معًا كما ذكرت، وكان من أقرب الأصدقاء في السكن والجامعة، الدكتور الأكاديمي المتفوق الناقد محمد الشنطي، ومحمد فارس ونزيه دعيبس وآخرون وكانوا جميعًا من أصول فلسطينـية، (ومن صداقات تلك المرحلة، وبعضها لا يزال مستمرًا: جهاد الكبيسي من العراق، وعبد الله العباسي من البحرين، ومن مصر سعيد فوزي وصلاح عامر ونوفل الأسود). وفي تلك الأوساط الفلسطينـية، سمعت عن وجود تنظيم سري لـ«فتح» في القاهرة!.

لكن الوصول إلى من يقودني لقواعد الفدائيين لم يكن سهلاً. وبعد بحث مضن، التقيت بأبو لهب، مسؤول تنظيم «فتح» السري في القاهرة. لست متأكدًا ربما كان مجرد كادر متقدم في التنظيم، عرفت بعد ذلك أنه شقيق عاطف أبو بكر، أول من التقيت من فتح في أحد فنادق دمشق بعد اتصال هاتفي. استمع أبو لهب إلي جيدًا، وكأن خلفيته الفكرية والسياسية كقومي، يساري تلاقت مع منطلقاتي الفكرية، ثم قال: هناك نشرات خاصة لفتح اقرأها أولاً ثم نتناقش في اللقاء القادم؟. قلت له: موافق ومقتنع سلفًا بكل ما فيها. ما يهمني هو أن أحمل بندقية وأقاتل. ومع ذلك أخذتها وقرأتها.

وحين وافق على التحاقي ب«العاصفة»، أعطاني رسالة عرفت فيما بعد أنها موجهة لأبو اللطف، ورقم هاتف شقيقه عاطف أبو بكر، واسم فندق في المرجة بدمشق، أظنه «فندق الجامعة العربية»، كي أنزل فيه.

بدأت ترتيبات السفر إلى دمشق، ولكنني اصطدمت بمشكلة استكمال ثمن تذكرة الطائرة، فبعت كل ما أملك من عفش متواضع، وراديو ترانزستور، وأغراض شخصية وكتب، وربما استعنت بمبلغ من د نبيل بطارسه (الباشا في مدينة الحسين الطبية لاحقًا). ودعت أصدقائي في القاهرة في سهرة حميمة لا تنسى، وسافرت بتذكرة ذهاب بلا عودة.

الفصل الثانـي:
متدرباً في معسكر فتح

| زياد منى: الآن تبدأ تجربة الثورة مع المرحلة السورية، في دمشق والهامة، وفتح.

| **| نزيه أبو نضال:** في اليوم التالي لوصولي إلى دمشق، جاءنـي إلى الفندق عاطف أبو بكر[1]، وأخذنـي إلى مكتب ال23، القريب من «ساحة السبع بحرات»، حيث التقيت بأبو اللطف (فاروق القدومي)، وبقيت في الإعلام بضعة أيام أساعد الشباب، وعلى رأسهم الشاعر فتى الثورة[2] انتظارًا لانتقالي إلى معسكر الهامة، لأبدأ هناك الدورة التدريبية العسكرية.

معسكر الهامة

في شتاء عام 1967، وصلت إلى معسكر الهامة، قرب دمشق، وهناك التقيت بأبو علي إياد[3]، وفي نفس اليوم التقيت في الهامة مع القائد العام أبو

(1) اصبح عاطف ابو بكر بعد ذلك، من اركان قيادة تنظيم «فتح المجلس الثوري»، بزعامة (أبو نضال) صبري البنا. وهو كاتب وشاعر، له اكثر من ديوان.

(2) ابو هشام، او سعيد المزين، كتب العديد من اناشيد فتح، وهو مؤلف النشيد الوطنـي الفلسطينـي «فدائي»، واصبح لاحقًا، ممثل فتح في السعودية، وتوفي فيها عام 1991.

(3) ابو علي إياد، هو وليد احمد نمر، قائد معسكر الهامة، ثم عضو القيادة العامة لقوات العاصفة، الملقب بعمروش، استشهد عام 1971 في احراش عجلون، وكانت اخر برقية وصلتنا منه في دمشق تقول: «سنموت واقفين ولن نركع»، كنت وقتها قد غادرت عمان بعد احداث أيلول 1970، لاشارك بإصدار جريدة «فتح» من دمشق، حيث استلمنا برقيته هناك.

عمار (ياسر عرفات). يبدو أن وجود طالب جامعي وشرق أردني ومسيحي ترك الجامعة في السنة الأخيرة، ليلتحق مقاتلاً بفتح الفلسطينية، وبخلفياتها الإخوانية، كان مثيرًا للفضول وللاهتمام.

| زياد منى: أعجوبة بنظرهم؛ مثل الفيل الأبيض!!.

|| **نزيه أبو نضال:** ثم بدأت الدورة التدريبية العسكرية، بقيادة الرائد خالد[4]، وأطلق على دورتنا اسم «دورة الثلج»، نظرًا لكثافة وحجم الثلوج التي عشنا في صقيعها خلال أشهر الدورة. تدريب عنيف مع نهار طويل يبدأ مبكرًا مع رفع العلم الفلسطيني على سارية المعسكر، وصولاً إلى نوبات الحراسة الليلية المرهقة. وقد أضفنا إلى رفع العلم، نشيد الصباح الذي ألفتُهُ خلال الدورة، ومطلعه:

بـــــــلادي بـــــــلادي   فـــتـــح ثـــــورة عـــالأعـــادي

نشيد بلادي

| زياد منى: أعلم أنك تركت بصمة أدبية دائمة في حركة «فتح»، فأنت كاتب نشيد فتح «بلادي» الذي تربينا عليه في التنظيم في ليبيا، ولم نكن نعرف مصدره. كان كغيره من إنجازات العمل الفدائي السري مجهولة المصدر. فما قصة هذا النشيد؟.

|| **نزيه أبو نضال:** قصته تستحق أن تروى: كنت ليلتها في نوبة حراسة المعسكر، وبالذات حول مخازن السلاح والذخائر، على مرتفع جبلي قرب معسكر الهامة. كانت ليلة صقيع ثلجية، وأنا في ملابسي المدنية العادية التي جئت بها من القاهرة. لم نكن قد تعرفنا بعدُ على ترف التجهيزات العسكرية، مثل البوت العسكري «الغيتر»، والفيلد. كان التوقف خلال نوبة الحراسة، يعني التجمد. بلغت الساعةُ الثانية فجرًا، والثلج يتساقط عاصفًا بكثافة . . وإذن لا بد من المشي خلال الحراسة بالخطوة السريعة . . تذكرت نشيدنا في ميدان التحرير في القاهرة، مع خمسة ملايين مصري، ونحن نهتف:

بـــــــلادي بـــــــلادي   لـــــك حـــبـــــي وفـــــؤادي

هذه الذكرى أشعلت روحي، وجعلت النشيد حاضرًا في تلك الليلة الثلجية،

(4) الرائد خالد، هو فايز محمود حمدان، ضابط من الجيش الأردني، التحق بجبهة النضال الشعبي أولاً، ثم بفتح، استشهد بغارة صهيونية على مرتفعات السلط بتاريخ 1968/8/4.

خاصة بعد أن استحضرت التداعيات ذكرى أخرى مشابهة، وحنونة جدًا: في عام 1966، كنت في الباخرة المتجهة من بيروت إلى بور سعيد، كان عليها كثير من المصريين، منهم فريق كرة سلة على ما أظن، أو شيء من هذا القبيل، ونحن نقف على ظهر الباخرة نمسك بالدرابزين ونتطلع إلى الأفق حتى نرى الأرض المصرية، أو ربما نستعجل اقترابها، وقبل أن يرى الناس الأرض، لعلهم أحسوا بشفيف غامض لها . . فوجئت بالجميع ينشدون معًا وبصوت واحد، وكأن ثمة مايسترو يقودهم، هو أرض الوطن، كل المصريين على الباخرة هتفوا وغنوا بصوت واحد:

بلادي بلادي بلادي	لك حبي وفؤادي

كل هذا الثراء الروحي، وما يعبّر عنه من ارتباط حميم بين المصري ووطنه، ثم مشاركتي مع خمسة ملايين مصري منشدين معًا، كي يعلو صوت التحدي على روح الهزيمة، ومع حضور هذه الذكريات والمعاني، بدأت أردد النغم بكلمات جديدة، على إيقاع لحن الشيخ سيد درويش، ولكن بسرعة أكبر، تتناسب مع خطوة المقاتل:

بلادي بلادي بلادي	فتح ثورة عالأعادي
فلسطين يا أرض الجدود	إليك لا بد نعود
فتح ثورة ستسود	والعاصفة أمل بلادي
بلادي بلادي بلادي	فتح ثورة عالأعادي
فلسطين يا حبي الكبير	أنت غايتي والمصير
إليك لا بد أسير	يصفع الكون عنادي
بلادي بلادي بلادي	فتح ثورة عالأعادي
فلسطين يا مهد المسيح	مسرى محمد يصيح
حرروا بلدي الجريح	طهروه من الأعادي
بلادي بلادي بلادي	فتح ثورة عالأعادي
فلسطين يا أملي الوحيد	إليك لا بد نعيد
عزة الشعب الطريد	تحت رايات الجهاد
بلادي بلادي بلادي	فتح ثورة عالأعادي

فلسطين شعبك لن يموت   وهو لن يرضى السكوت
العاصفة دائمًا تفوت   يدها فوق الزناد
بلادي بلادي بلادي   فتح ثورة عالأعادي
العاصفة تمشي هناك   تملأ الأرض شراك
للردى وإلى الهلاك   كل غاصب لبلادي
بلادي بلادي بلادي   فتح ثورة عالأعادي

هذا النشيد البسيط، صرنا نغنيه جماعةً في أمسيات الهامة، فطلبت قيادة المعسكر مني أن ننشده قبيل رفع علم فلسطين في الصباح، وهكذا كان. صار نشيد الدورة والمعسكر.

بعد أن أنهينا دورة الهامة العسكرية، التحقنا بدورة صاعقة عليا في مصر، فحملنا نشيد «بلادي» معنا، ورددناه هناك مع رفع العلم الفلسطيني كل صباح.

ثم لا أدري كيف وصلت الكلمات واللحن الجديد إلى إذاعة فلسطين في القاهرة، بإدارة الإعلامي الفلسطيني المعروف فؤاد ياسين[5]، حيث تم توزيعه مع الموسيقى بأداء جماعي، وبدأ بثه من الإذاعة، ثم صار ومازال، النشيد الرسمي لحركة فتح. في المقابل يوجد هناك نشيد «فدائي»، لمنظمة التحرير الفلسطينية.

حين عدنا من القاهرة إلى دمشق بعد انتهاء دورة الصاعقة، كانت معركة الكرامة بانتظارنا.

| زياد منى: قبل ذلك، كنت حدثتني مرة عن حكاية مدهشة، عن «النشيد» مرتبط بممارسات «غرائبية» في المعسكر!.

| | **نزيه أبو نضال:** نعم هي فعلاً حكاية مدهشة يجب أن تروى هنا ولها علاقة مباشرة بنشيد «بلادي»، الذي بات المتدربون في معسكر الهامة يبدؤون به صباحاتهم مع رفع العلم الفلسطيني. وكنت قد أخذت أشارك بمهام تدريبية في المعسكر، إلى جانب القيام بعمليات عسكرية من الجولان وجنوبي لبنان.

---

(5) فؤاد ياسين، مدير إذاعة فلسطين من صوت العرب من القاهرة، واول مدير لإذاعة صوت الثورة الفلسطينية، منذ أيار 1968، ثم سفير فلسطين في إسبانيا.

قـرب ساحة المعسكر، حيث يتدرب الشباب، توجد غـرف سجن للجواسيس والمخالفين. وكانت فكرة الجاسوس تثير في صفوفنا غضبًا لا حدود له، فكيف يخون إنسان بلاده! كما يقول بدر شاكر السياب. أحيانًا نكون ساهرين في الليل، يسألنا مسؤول التحقيق: من يحب أن يأجر؟. وطبعًا يعرف الشباب الموجودون في المعسكر أنّ «يأجر» تعنـي أن يدخل ويضرب المساجين المتهمين بالتجسس، أي يضربونهم كي ينفسوا عن حقدهم على هؤلاء الجواسيس، وليس حتى لممارسة الضرب من أجل إجبارهم على الاعتراف.

| زياد مني: سادية فقط؟!.

|| **نزيه أبو نضال:** ليس تمامًا، السادية تعنـي الرغبة بتعذيب الآخرين بالمطلق، هنا الأمر كما قلت مرتبط بالغضب من فكرة الجاسوس، وكان الذين يرغبون، يدخلون فقط من أجل ضرب الجواسيس، وعندما يتعبون، يرجعون ليكملوا شرب الشاي ومواصلة الحديث، وكان أحد هؤلاء الجواسيس، فتى صغيرًا لا يتجاوز عمره ال17 سنة، أستطيع أن أتذكره لو رأيته أمامي (تش) كالكرة متـين، دوّخ المحققين بسلسلة روايات كاذبة كان قد لقنها له الموساد. فكلما كان يُكتشف كذبه في رواية، بفعل التعذيب الشديد، ينتقل إلى رواية أخرى، وهكذا كان يقدم اعترافات كاملة عن كيفية أخذ الصهاينة له، وكيف علموه، وما الذي طلبوا منه، وبتفاصيل التفاصيل، عن كل شيء حدث معه، ولكنّ ثمة ثغرة معينة يكتشفها المحقق وتثير شكًا بالرواية، فكانوا يعودون لتعذيبه، فيروي رواية أخرى لا علاقة لها بالرواية الأولى. لقد علمه الموساد أنه إذا أعادوا التحقيق معه، فعليه أن يروي في كل مرة حكاية جديدة، أما الرواية الحقيقية فظل محتفظًا بها.

ذهبت إلى مسؤول التحقيق، واسمه أبو الشعر[6]، واقترحت عليه: حين نتوجه لتحية العلم في الصباح الباكر، دعنا نخرج المساجين جميعًا، حتى من ارتكب «مخالفات عادية»، كي يروا أبناء شعبهم وهم ينشدون بفخر واعتزاز لعلم فلسطين، عسى أن يهزهم هذا النشيد، ومن يدري فقد يحرك هذا المشهد ضمائر بعضهم، سواء كانوا جواسيس أو خطاة، وقد أخرجهم بالفعل صباح اليوم التالي:

(6) كان أبو الشعر قبل ذلك، يدرس الفن التشكيلي في إيطاليا، انتحر أو قتل لاحقًا في روما، حيث القى بنفسه او القي به من شرفة شقته في الدور الخامس.

رحت أتأمل تعبيرات وجوه المساجين الذين اصطفوا إلى جانب طابور الصباح.

كان رذاذ الثلج يتساقط فوق طابور المتدربين الصباحي، وفوق نغمات نشيد بلادي وفوق علم فلسطين الذي يرتفع من جديد. رأيت ذلك الجاسوس الصغير يبكي.

في نفس اليوم، طلب مقابلة مسؤول التحقيق وروى له القصة الحقيقية الكاملة لعلاقته بالموساد، وأسماء المتعاونين معه، حكى كل التفاصيل، اعترف بصدق.

ما أحببت أن أقوله، أن كل هذا الضرب العشوائي، والقمع العشوائي، ليس لهما من مسوّغ، وأنه من الممكن بقليل من السلوك الإنساني، والعلاقات الإنسانية، ومن فن استخدام ما لديك من معلومات أن تأخذ من السجين أو الجاسوس أكثر بكثير من كل وسائل الضرب والتعذيب.

ولحكاية الجاسوس الصغير التائب بقية. فقد اعترف عن أبرز مشغّليه، وكان موقعه في الأغوار. فاعتقل ووضع في السجن بعهدة الرائد خالد في منطقة الكرامة.

أمر بالإعدام!

|| **نزيه أبو نضال:** كان الرائد خالد، قد انتقل من موقعه في قيادة معسكر التدريب في الهامة، وتولى مهمة جديدة في قيادة منطقة الأغوار العسكرية، كان ذلك أواسط عام 1968. فأصدرت قيادة قوات العاصفة، الأمرَ بتنفيذ عقوبة الإعدام بذلك الجاسوس.

ولأنني كنت أمتلك جواز سفر أردنيًا صالحًا، فوجئت بمن يوقظني بعد منتصف الليل وبأبو علي إياد يكلفني بنقل الأمر للرائد خالد في الأغوار لتنفيذ العقوبة. لم يكن من السهل العثورَ على سيارة في ذلك الوقت المتأخر، لتنقلني من دمشق لعمان، لكنني في النهاية وصلتها فجرًا. كان ذلك بعد معركة الكرامة بأسابيع قليلة، وفضّلت لاعتبارات أمنية أن أنتقل إلى منطقة الكرامة في الأغوار، في مواصلات عادية في الصباح . . فمكثت عدة ساعات في بيت صديقي عيسى بطارسه، على مسافة أمتار من بيتنا في جبل النظيف بعمان. صحا مذعورًا، وهو يراني فجرًا بهيئة غريبة، وملابس أغرب، بعد أن لحقها التلف لاستخدامها في التدريب العسكري، وكنت أرتدي

معطفًا طويلاً كان لأحد أصدقائي الذين استشهدوا في معركة الكرامة. كان الاهل والأصدقاء لا يعلمون شيئًا عن التحاقي بالمقاومة، وكنت للتمويه قد تركت عند زملائي في القاهرة مجموعة رسائل بتواريخ لاحقة ومختلفة، لإرسالها للأهل في عمان، ولأخي راتب في الكويت.

أصر عيسى قبل أن أغادره، وهو يناولني قلمًا، أن أكتب كلمة بخط يدي، ليتأكد، في اليوم التالي، أن ما حدث كان حقيقة لا كابوسّ.

في الصباح، وصلت الكرامة، حيث التقيت الرائد خالد. قرأ الرسالة، ولشدة دهشتي فقد تعامل مع الموضوع من دون اكتراث، وهو يضع الأمر في جيبه.

سألته وأنا أشعر بخيبة الأمل: هل تريد إبلاغ أبو علي إياد شيئًا، ردًا على الرسالة؟.

قال: لا، أخبره فقط أنك سلمتني الأمر.

فجأة سمعنا صوت تحليق الطيران الإسرائيلي فوقنا.

قال لي: تعال نختفِ تحت تلك العبّارة ونشرب الشاي.

ولم أعرف ماذا حدث بعد ذلك، لكنْ، كان واضحًا لي أن الرائد خالد لم يكترث بالأمر العسكري أو بتنفيذه.

| زياد منى: اليوميات والتفاصيل الصغيرة، هي التي تصنع في نهاية المطاف لوحة الثورة سلبًا وإيجابًا. فكيف رأيت الأمر في ذلك الوقت المبكر، ابتداءً من معسكرات التدريب، ثم العمليات الفدائية، التي أعلم أنك شاركت بالعديد منها؟.

| | **نزيه أبو نضال:** في البدايات، لم تكن لدينا أي خبرات بما يتصل بما هو صواب أو خطأ في أمور التدريب، ولاحقًا في العمليات العسكرية، كنا محمولين بحماس لا حد له، يجعلنا نتحمل كل شيء. اكتشفت لاحقًا أن الهزائم الكبرى لا تصنعها الضربات الكبرى، ولا حتى الأخطاء الكبرى، بل الممارسات اليومية والتفاصيل الصغيرة، حيث تكمن الشياطين وأسراب السوس غير المنظور، التي تنهش على مهل في بنيان الثورة. وقد احتجنا وقتًا من دم، لنكتشف حجم الخراب والتخلف في صفوف الثورة، والأخطر، كان غياب الرقابة النقدية، وغياب المقدرة على المعالجة والتصويب.

وعلى سبيل التمثيل للحالة المزرية من كافة الوجوه في معسكرات التدريب، كان المفترض أن تكون هذه المعسكرات الخزان المركزي لرفد الثورة بالمقاتلين المؤهلين للعمل الكفاحي المسلح طويل الأمد، وكذلك بعلاقة هؤلاء

الفدائيين بمحيطهم الاجتماعي أساسًا، فهو حاضن الثورة الرئيس في نهاية المطاف، ولنتذكرْ هنا فداحة تجربة المقاومة الفلسطينـية مع الجماهير الشرق - أردنـية أولاً واللبنانـية ثانـيًا، وهذا ما سنوضحه لاحقًا بالتفصيل.

| زياد مني: لدي ما أقوله عن مسألة معسكرات التدريب، مررت بها، أمر غير مشرف إطلاقًا، لكنه يسهم في أن يعرف الجيل الحالي ما كان قائمًا وكيف كانت الأمور تسير، ولماذا انحدرنا إلى ما نحن عليه. فهذا هدف تسجيل تجربتنا، أو لنقل: تجارب حيواتنا الكثيرة في مختلف قطاعات «الثورة الفلسطينـية» السياسية والعسكرية.

|| **نزيه أبو نضال**: حسنًا، سأستمع لها لأنه لم يسبق لي سماع تجربتك من قبل، لكن لنواصل الآن تجربتـي في معسكرات تدريب فتح.

التدريب بمعناه الثوري الشامل، لا يقتصر على الفدائيين فقط، بل يطال كذلك الميليشيا، وعناصر التنظيم السياسي وكوادره، وهو ما حاولناه لاحقًا بحدود الإمكانات المتاحة، أو المسموح التثقيف به أيضًا، وهذا ما اكتشفته، عام 1969، في معسكر ال99، في الأردن، وتعرضت بسببه للمحاكمة العسكرية، كما سنرى.

بعد معركة الكرامة، تدافع الشباب بالألوف للالتحاق بالثورة، ومعظم هؤلاء كان يفتقد إلى أبجديات معرفة منطلقات فتح وتاريخها وأهدافها، أو معنى الثورة والعمل الفدائي، بل حتى معرفة التاريخ الحقيقي للشعب الفلسطينـي، وتجربته الكفاحية المسلحة، ناهيك عن تجارب الثورات المسلحة لدى الشعوب الأخرى . . الخ، ما عاظم من أهمية التثقيف ودور المفوض السياسي داخل معسكرات التدريب، ثم وسط المقاتلين، وهو الأمر الذي كنت ألح عليه كثيرًا مع أبو علي إياد أو حين ألتقي بأبو عمار، عند حضوره إلى معسكر الهامة.

التدريب: في معسكر الهامة

|| **نزيه أبو نضال**: كان المدرّبون في معسكر الهامة، الرائد خالد القادم من الجيش الأردنـي، وكان يساعده الرائد مؤمن والهدهد، ولاحقًا جمعة غالي وأبو الخير، وجميعهم قادمون من جيش التحرير الفلسطينـي، وحيث كان التدريب يتم على طريقة الجيوش العربية: ركض، زحف، مسيرات، تسلق يومي لجبل شاهق على طريق الهامة أسميناه جبل التوبة، وعقوبات لا تنتهي، لابسط هفوة، بالزحف أو القيام بتدريبات قاسية. وكان الأسوأ، النزول في

بجاري مطابخ المعسكر. ثم تدريبات صاعقة، سلاح ألغام، متفجرات، واجبات الحراسة، طوابير الإزعاج الليلية، ثم الصحو المبكر ورفع العلم الفلسطيني، ويوم جديد.

وكان الطعام متواضعًا للغاية، ولا يعوّض كل ما يبذل من جهد: عسل أسود وزيتون وشاي في الفطور والعشاء، وما تيسر من شوربات وخضار وما يشبه اللحم أحيانًا في الغداء. ولكن بالطبع لم يكن أحد يشكو، خاصة أن المساواة كانت تعم الجميع، من أبو عمار، لأصغر عنصر متدرب، فلم يكن بعد من امتيازات لأحد.

وسأروي هنا حادثتين تدللان على ذلك.

حين سجن أبو عمار نفسه

|| **نزيه أبو نضال:** كنا في معسكر الهامة نشرب الشاي، تقشفًا، في (كيل) حديدية، هكذا صدرت الأوامر، وقد صدف أن ضيوفًا كانوا عند أبو عمار فقُدم الشاي للجميع في أكواب زجاجية. بعد انصراف الضيوف انتبه أبو عمار إلى أنه شرب الشاي بكوب زجاجي، فأصدر على الفور أمرًا بسجن نفسه لمدة أربع ساعات، فدخل غرفة السجن، ولعله أراد أن ينام، ولكن ليقدم أمثولة. وهكذا كان، إذ تم انتشار الخبر وتداوله على أوسع نطاق في صفوف الثورة، كأنموذج للمساواة والسلوك الثوري السليم[7].

وجرت الحادثة الثانية، بعد «معركة الكرامة»، فبسبب زيادة أعداد المتطوعين، احتجنا إلى أمكنة جديدة لاستيعابهم، فأحضر أبو علي إياد أسرّة حديدية من ثلاث طبقات، وحين جاء أبو عمار وشاهدها، احتج بعنف على إفساد الثوريين بالأسرّة، وأمر بفكها وإرجاعها، وحين رد أبو علي إياد متذرعًا بضيق المكان، أمر عرفات بنصب خيام قريبة من بناء المهجع الإسمنتي.

(7) سمعت بان احدهم حاول تقليد الاصل، فمارس «نقدًا ذاتيا» أو كما يقول الإخوة الجزائريين «اتو كريتيك» لانه التهم تفاحة أمام المقاتلين في الأغوار!! لكن القصة الأهم تبقى ما عايشته في مقر الإعلام الموحد بعد أيلول حيث كنت جالسًا مع الأخ العزيز وديع حين رن الهاتف. بعدها عرفت ان المتصل كان القائد العام من الكويت يعلن فيها رفضه تسليم أسلحة الميليشيا وطلب إبلاغ موقفه هذا للقيادة. فوجئنا بهذا وتفاءلنا، وعندما حضر الشهيد كمال عداون ابلغه وديع بأمر المكالمة فما كان منه، بعد دعوة القائد العام إلى أمر محدد، والتفوه ببعض النعوت، إلا القول: «يتفضل يجي يمنع تسليم السلاح، ليش قاعد في الكويت ويزاود علينا قدام التنظيم هناك. ما هو اللي اتخذ القرار وموافق عليه». أقول هذا للتاريخ.

آنذاك كان الأمر يبدو كنوع من التقشف والطهارة الثورية، أما لاحقًا، فقد كانت شقة أبو الزعيم ومفروشاتها في بيروت تفوق مصاريف معسكر الهامة منذ تأسيسه إلى الأبد.

عمومًا لم تكن هناك خطة واضحة، لا للتدريب العسكري ولا لتمارين اللياقة البدنـية، حيث كنا منذ اليوم الأول، كما اليوم الأخير، نركض حتى يتعب المدرب. فلم يكن هناك برنامج تأهيل تدريجي، يراعي قدرات المتدربين، ويطورها خلال أسابيع الدورة.

ويوجد هنا تفصيلان أظن أنهما يضيئان قليلاً على جوانب التجربة:

في معسكر الهامة كانوا يجعلوننا نركض من المعسكر لنصل إلى دوار معرض دمشق الدولي، أو «ساحة الأمويين»، ثم ندور حوله ونعود ركضًا باتجاه الهامة. هذه المسافة هائلة، وطبعًا نحن كنا مثل النار، متحمسين ونريد أن نتدرب، نريد أن نصل إلى ضفة النهر الثانـية من أول يوم، ومن دون أن نتدرب حتى على السباحة، بل كنا نريد أن نقطع البحر سباحة. بالنتـيجة، تتورم أرجلنا ويتسلخ لحمنا، ولم نكن لا نحن ولا مدربونا، مؤهلين أصلاً، أو نعرف ما المفيد من أنواع الرياضة. لم نكن نملك حتى حذاءً رياضيًا نركض به. كنت أركض بحذاء الجامعة القديم، ولم أكن معتادًا على مثل هذا الجهد البدنـي، وكما تعرف، فطالب الجامعة معتاد على التاكسيات والحافلات، وليس على الركض والمشي الطويل والعنـيف. كنا نقول للمدربين إنه يوجد شيء اسمه تدرج بالتدريب، دعونا نركض أول يوم 3 كيلو وفي اليوم الثانـي 5 كيلو حتى يمتلك جسمنا اللياقة المطلوبة، ونفس الأمر للجهود العضلية التـي نبنلها بالزحف والركض والمسيرات . . إلخ. خطوة خطوة، حتى نستطيع أن نستمر في التدريب. كان بعضنا يسقط، وفي اليوم التالي لا يستطيع أن يركض، لأنه قد تعضّل وتسلخ جلده، فيضطر أن يجلس يومين أو ثلاثة للعلاج، وفي هذه الظروف القاسية، كان الذي يقصّر أو يتأخر، يزحف على الشوك أو يغطس في مجاري ماء المطبخ الوسخة، وكأن هؤلاء المدربين مجموعة ساديّة. وبالأصل كيف صاروا مدربين، ومن هم؟. هم جنود أو ضباط انضموا إلى فتح، حتى أنهم ليسوا مدرّبين في الجيش أصلاً، لكنهم تدربوا بمعظمهم في جيش التحرير، والذي تدربوه طبقوه علينا، لا دراية ولا علم. والمشكلة أنه مع أقل هفوة، وأي غلطة، يوجد كم من عقوبات التعذيب الهائلة، الرقصة الروسية، وتمارين الضغط القاسية، والزحف،

والجاري، وغيرها. وتكرر المشهد بعد ذلك في معسكرات التدريب أو التعذيب: الهامة، وميسلون، ومنعم في بغداد.

والتفصيلة التالية الغبية أن العقاب كان يوقَع بالجميع عند أول خطأ أو هفوة، على طريقة الجيوش النظامية . . (العقاب يعم والثواب يخص)، مما شكل عندي ردة عنيفة على كل أساليب التدريب في معسكرات فتح، وعلى فلسفة العقوبات فيها مما جعلني أذهب إلى تجربة معسكر ال99 الذي يمنع فيه أي شكل من أشكال العقوبة، مهما كان نوعها، إلا إذا قررها المخطئ بحق نفسه، وفق مبدأ النقد والنقد الذاتي.

| زياد مني: دعني أحدثك هنا عن تجربتي في معسكر التدريب في بئر حسن عندما «جرجرنا» القائد العام للتجنيد الإجباري في عام 1980/81. ذهبنا إلى المعسكر وبدأنا التدريب مع آخرين من الأجهزة. التدريب كان عاديًا والركض كان قصيرًا، لكنه كان محصورًا في الكلاشنكوف الذي كنت تدربت عليه وعلى أسلحة أخرى قبل أكثر من عقد من الزمن. المشكلة كمنت في المتدربين!. على سبيل المثال، كان المدرب، المسؤول عن تدريبنا تحديد المسافة بين المقاتل والهدف، يسأل أحدنا عن تقديره مسافة معينة فيجيبه: 150 متر و39 سنتيمتر وثلاثة ميليمتر!!. فيطرح على زميله السؤال نفسه، وكانوا أفرادًا من مجموعة من أحد أجهزة فتح، فيجيبه: 10 متر و9 سنتيمتر و3 مليمتر!! فيسأل الثالث، فيجيبه: 139 متر و39 سنتيمتر واثنين مليمتر لا ثلاثة، أو ما إلى ذلك. ويمكن تصور كيف سنواجه بمثل هذه العقليات عدوًا مدربًا أحدث تدريب ومزودًا بأحدث الأسلحة.

كان قائد المعسكر أو «كبير المدربين»، لا أدري، «يثقفنا» ليليًا، عن فتح، وقد حضر إلى المعسكر القائد العام وأبو إياد وغيرهما[8]. مادة مسؤول المعسكر المحببة كانت التحريض على سورية والحديث عن بطولاته وجبن ضباط الجيش السوري . . فحدثنا كيف أنه ومعه مجموعة من «فتح» أنقذت مجموعة منهم في الجولان، بل وأنجزت المهمة الموكلة إليها واحتلال موقع للعدو إبان حرب تشرين. عندما سألت العارفين بأسرار الأمور عنه، أي جهاز ال17، أخبرني أحدهم بأنه كان فعلاً في إحدى قواعد فتح في سورية، وعندما ضبط وهو يعتدي جنسيًا على صبي قاصر من البلدة المجاورة أمر قائد المعسكر بحبسه، وحوله إلى القضاء الثوري الذي قضى بسجنه. كما أن أهله في القرية،

(8) آثرنا الحفاظ على صيغة (ابو . .) أيًا كان موقعها من الإعراب وعدها اسم علم.

كانوا يطالبون بالقصاص منه. صدر وقتها قرار بنقله إلى لبنان لقضاء فترة الحكم هناك، فضمه القائد العام إلى قواته الخاصة، أي ال17، ومن ثم عينه في مواقع عديدة، إلى أن انتهي به الأمر إلى قيادة تدريب المجموعة التي كنتُ فيها، والتي قال فيها القائد العام في مهرجان التخرج في الجامعة العربية «بجزماتكم أتحدى بيغن وريغن». وقد رأينا النتيجة في عام 1982 عندما وصل العدو إلى بيروت خلال يومين.

عودة إلى تجربتك. ماذا عن التثقيف السياسي في المعسكرات؟.

| **نزيه أبو نضال:** أعتقد أن الغياب الكامل للتثقيف والعمل السياسي والتعبوي كان من أخطر النواقص والسلبيات في صفوف المتدربين، وقد غابت حتى تدريبات الخطط العسكرية التكتيكية في العمليات الفدائية، ناهيك عن تجارب الثورات الأخرى، واستراتيجيات الحرب الشعبية.

بعد ذلك، استكملت جزئيًا بكرّاسات فتح العشرة، التي تغطي جوانب من هذا النقص، ولكنها كانت مقتصرة على التنظيم السياسي، لا على معسكرات التدريب والمقاتلين . . حتى أن عاطف أبو بكر[9]، وقد صرنا أصدقاء، كان حين يزورنا في معسكر الهامة يقول لي: هيا بنا نخرّب أخلاق الشباب (يقصد أن نتحدث معهم بقضايا الفكر والسياسة).

لاحقًا، تطورت الأمور نسبيًا في برامج التثقيف السياسي والفكري، كما في «معسكر ميسلون»، شتاء عام 1968، ثم في «معسكر منعم» ببغداد، ربيع عام 1969، كما سأبين. وحين توليت مهمة تأسيس وقيادة معسكر الكوادر 99، في صيف عام 1969 في الأردن، حاولت أن أتجاوز كل هذه السلبيات، مستفيدًا من خبراتي متدربًا ومدربًا ومفوضاً سياسيًا، كان هذا ردة فعل على ذاك. وسأتحدث عن هذه التجربة لاحقاً بشيء من التفصيل نظرًا لأهميتها.

دورة الصاعقة في مصر، معسكر الزيتون

| زياد مني: أنت حصلت على دورة صاعقة عليا في مصر فحدثنا من فضلك عن هذه التجربة.

| **نزيه أبو نضال:** بعد أن أنهينا دورة الهامة العسكرية في شتاء 1967، التحقنا بدورة عليا للصاعقة المصرية في «معسكر الزيتون» بالقاهرة، بدايات العام 1968.

(9) كما حضر مرة إلياس شوفاني، والقى محاضرة عنوانها «لماذا انا فتح» [كذا!].

في مطار دمشق العسكري، كانت تنتظرنا طائرة حربية مصرية انزلت أسلحة وذخائر لفتح، وساعدْنا في إنزالها وتحميلها، ثم حملتنا ونحن نضع كمامات الأكسجين، إلى معسكر الزيتون في القاهرة.

كان مسؤول الدورة من فتح، أبو صالح (نمر محمد صالح)[10]، الذي قاد لاحقًا انتفاضة فتح عام 1983. وكانت مهمته القيام بمتابعة وضع الدورة والمشاركين فيها وكذلك القيام بعملية تثقيف سياسية عن منطلقات حركة فتح وأهدافها، ولكن طريقته الرتـيبة في الحديث كانت تجعل الشباب المرهقين من تدريبات النهار الطويل يذهبون في سبات عميق، وقد جرى انتقاله إلى موقع آخر قبل نهاية الدورة ، وتم اختـياري مسؤولاً بعده.

تولى تدريبنا في دورة الصاعقة، الرائد الممتاز مروان، وبعض حاملي أوسمة الشجاعة في حرب حزيران، وكان من بين أهداف التدريب الحصول على دورة صواريخ ومدفعية ومتفجرات. وصرت خبير صواريخ ال 3،5 بوصة، التـي تقذف بالتوجيه من الحامل ومن دون قاذف.

| زياد منى: ما الذي ميز التدريب في المعسكر المصري عن التدريبات الأخرى في معسكرات فتح؟.

| | **نزيه أبو نضال:** كان ثمة احترافية عالية في تحديد ما يقدم لنا وكيف يقدم بعيدا عن الارتجال والتجريب. أما أبرز وأخطر ما واجهناه في الدورة فكان قفزة الثقة، أو خيار الموت الانتحاري أو الطوعي، بالقفز عن برج أنشاص حوالي (30 مترًا) في نهر النـيل، كانت نسبة الذين قفزوا من دورتنا 98%، بمن فينا أبو صالح والرائد مروان، وكان معظمنا لا يعرف السباحة. وقد أخبرنا مروان بإعجاب أن نسبة من يقفز من قوات الصاعقة المصرية، لا تتجاوز 15% إلى 20%. وأقسم أنه سيلحق بنا ويقاتل معنا. وقام بالفعل بعمليات مع فدائيي فتح من الأردن عبر البحر الميت والبحر الأحمر واستشهد في واحدة منها.

(10) ابو صالح (نمر محمد صالح)، من قرية قولية جنوب يافا. كان يشغل منصب نائب القائد العام لقوات العاصفة، الجناح العسكري لحركة فتح، وعضوًا في لجنتها المركزية، كان محسوبًا، مع ماجد ابو شرار، على الجناح السوفييتـي في إطار التـيار اليساري بالحركة. توترت علاقته مع ياسر عرفات وقيادة فتح إثر الخروج من بيروت 1982. وهو الذي قاد لاحقًا انتفاضة فتح، ثم وُضع بعد الإطاحة به، من زملائه قدري وابو خالد وابو موسى، قيد الإقامة الجبرية في منزله، حيث توفي بنوبة قلبية عام 1991.

| زياد مني: وما دلالات «قفزة الثقة» هذه؟. أهي نوع من التحضير النفسي للانتحار؟.

|| **نزيه أبو نضال:** نعم، أظن من المهم هنا أن نقف قليلاً عند دلالات «قفزة الثقة»، وأيضًا عند المقدار المذهل من القافزين: أن تقفز، فأنت على استعداد للموت، ولهذا أسموها «قفزة الثقة»؛ وهذا المقدار العالي يعكس الحماس، والإيمان والجدية، لأن من يذهب متطوعًا كفدائي في فتح ليقاتل ويستشهد، فإنه ذاهب لقضية وليس ذاهبًا إلى الجيش، طامحًا ربما بوظيفة، مع استعداده بالطبع للقتال والاستشهاد. ولكننا هنا نتحدث عن الحوافز، وفي تفسير الفارق الكبير بين ال98% وال15%. أمام هذا الاستعداد العالي للموت، ربما يجيء الجواب على سؤال: من أين يأتي الانتحاريون الاستشهاديون؟.

| زياد مني: وما الفرق بينهم وبين الانتحاريين أو «الاستشهاديين»؟.

|| **نزيه أبو نضال:** أنا أعتقد أن الذين يرمون بأنفسهم في نهر النيل، بهذا الحماس وبهذا المقدار، مشاريع استشهاديين. ولكنني أرى هنا فرقًا . . فالذي يريد أن يذهب كي يقاتل لا يريد أن يذهب كي يموت، هو ذاهب ليقاتل ويستمر بالحياة، كي يواصل القتال وينتصر، لكنه على استعداد للموت، إذا لزم الأمر. ولهذا كنا نكتب وصيتنا قبل كل عملية. الفرق بين المقاتل والانتحاري، أن الأخير ذاهب ليقتل نفسه، وعلى الأغلب بناء على أمر من أمير، من دون أن يسأل عن السبب، حتى لو فجر نفسه بمصلين يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قبيل معركة الكرامة

| زياد مني: أين كنت إبان معركة الكرامة؟، وهل شاركت فيها؟. لقد كانت معركة أسطورية شكلت نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ النضال الفلسطيني، خصوصًا بعد الأداء المخزي لقيادات الجيوش النظامية في عدوان عام 1967. أعني أن العدو اضطر لترك سلاحه في أرض المعركة وطلب وقف إطلاق النار.

|| **نزيه أبو نضال:** سأخبرك بالتفاصيل. بعد دورة الصاعقة المصرية والعودة إلى معسكر الهامة كان التحضير يجري على قدم وساق لخوض معركة الكرامة. العدو لم يكن يخفي نواياه. وموشي دايان يصرّح بعنجهية واستهتار: الفدائيون كالبيضة في يدي، أكسرها متى أشاء.

أبو علي إياد استدعاني بصفتي رئيسًا لدورة الصاعقة القادمة للتو من القاهرة، وقال لي: أريدك أن تختار عشرة شباب شجعان للالتحاق بالكرامة، ومرافقة بعض القادة إلى هناك ومنهم أبو لطف. علمت بعد ذلك أن معه أبو حاتم (محمد أبو ميزر) وأبو حلمي الصبّاريني.

وقتها، كنت أسمع على نحو غامض، برغبة أبو علي إياد بإبقائي في الهامة، للمساهمة في عمليات التدريب، فحاولت الاحتيال على الأمر بأن وضعت اسمي في وسط قائمة العشرة المطلوبين، حتى لا ينتبه للاسم، معتمدًا على صعوبة القراءة التي تشكلت لديه بعد انفجار لغم التدريب، الذي ألحق أذىً كبيرًا بعينيه.

زميلي في دورة الصاعقة العسكرية، عبد الله يانس الذي اكتشفت بالصدفة أنه شقيق صديقي هشام يانس، كان قد التحق بدورتنا قادمًا من ألمانيا، وقد احتج وبكى كثيرًا لأنني لم أختره بين العشرة المبشرين بجنة الكرامة. كان الجميع يتقاتلون للمشاركة في المعركة. حملت القائمة المطلوبة، وناولتها لأبو علي إياد منتظرًا أن يوقع على أمر تحركهم، ولكنه بدل ذلك راح يستعرض الأسماء واحداً واحداً حتى وصل إلى اسمي فقال لي ضاحكًا: قلت لك أريد عشرة رجال شجعان . . فلماذا تحشر نفسك بينهم؟. قلت: أعرف أنت تريدني مدربًا في المعسكر، وأنا التحقت بالعاصفة لأقاتل لا لأدرب.

قال: لا تستعجل رزقك. نريدك لمهمات عسكرية أخرى غير التدريب.

أمام الأمر المستجد، عدت لشباب الدورة، وأضفت العاشر المطلوب، وكان صديقي عبد الله يانس، والذي سقط شهيدًا مكاني في معركة الكرامة، مع ثمانية شهداء من الدورة.

بعد ذلك، حين كنت في معسكر الهامة، بدأت المساهمة في التدريب، وأنا انتظر رزقتي التي وعدت بها، وكانت كما فهمت «رزقة حرزانة»، إلى جانب القيام بعمليات عسكرية عادية من الجولان والجليل، كما سنرى.

مخصصي الحركي 5 ليرات سورية

| زياد منى: حدثنا عن كيفية إدارتكم حيواتكم الخاصة في المعسكر، وكيفية تلبية مطالبكم الحياتية الشخصية. هل كنتم تستلمون معاشات أو مخصصات كما تسمى؟.

|| **نزيه أبو نضال**: خلال تواجدنا في الهامة، لم نكن نتقاضى أي مخصص، ونعتبر أن ذلك هو فقط من حق المقاتل المسؤول عن عائلة وأولاد. كنا

نأخذ فقط 5 ليرات سورية من أبو علي إياد كل شهر تقريبًا، حيث كنا ندلّع أنفسنا بحمام شعبي ساخن في منطقة المرجة أو الحميدية، وبعده تأتي استكانة الشاي ضيافة، ثم نتناول صحن حمص باللحمة، ونشتري علبة سجائر (شرق)، ومن هناك إلى باص الهامة، وقد بذّرنا كل ما غلك.

ثم حدثت عندي مناسبة خاصة ومهمة تضطرني للسفر إلى عمان، يومها كان أبو علي إياد مسافرًا، فطلبت من نائبه، واسمه سميح طالب، خمسين ليرة سورية للسفر إلى الأردن، لوضع طارئ، فرفض، فأخبرته بأن الأمر ملح، وبأنني لا أتقاضى من الحركة أي مخصص، وأضفت ساخرًا: سوى الخمس ليرات إياها، فرد بجدية: أنا لا أملك صلاحية أن أعطيك 50 ليرة، ولكن من صلاحياتي صرف مخصص لك.

وهكذا كان بديل الخمسين ليرة لمرّة واحدة مخصصًا شهريًا دائمًا ب150 ليرة سورية، استلمتها فورًا، وكنت أنوي التوقف عن استلامها لولا انتقالنا بعيدًا عن أبو علي إياد، ومن الهامة إلى ميسلون، ومنها إلى بغداد.

| زياد منى: يبدو أن الرقم خمسة مشترك بيننا فحين حضرتُ إلى عمان، كان معي مبلغٌ من المال عشت به ولكن بعد خروجي من المعتقل في الأردن احتجت إلى مال فطلبت من أبو اللطف تفريغي في «الإعلام المركزي» لكنه رفض لأسباب أجهلها، فذهبت إلى فؤاد الشوبكي «فك الله أسره» مسؤول المالية فأصدر قرارًا بذلك بمخصص شهري مقداره خمسة دنانير أردنية شهريًا آنذاك (حولي 20 دولار أمريكي). مع ذلك، أنا متأكد من أنه حصل على موافقة الأخ أبو حاتم والشهيد ماجد أبو شرار.

الفصل الثالث:
العمليات العسكرية

| زياد منى: وماذا عن بديل المشاركة في معركة الكرامة. هل تحقق أي شيء من وعود أبو علي إياد؟.

| | **نزيه أبو نضال:** بعد معركة الكرامة بأسابيع، علمت لماذا حال أبو علي إياد بيني وبين المشاركة في المعركة، حين قال لي مهدئًا: أصبر على رزقك. كانت تلك عملية نوعية لضرب مصافي النفط (الريفاينري) في حيفا، وتستحق لدلالاتها الكبيرة أن تروى بالتفصيل عند الحديث عن تجربة العمليات العسكرية.

| زياد منى: هل تحدثنا عن تجربتك كمقاتل، الآن أم بعد الانتهاء من تجربة معسكرات التدريب؟.

| | **نزيه أبو نضال:** أفضل بعد أن سجلنا تجربتي كمتدرّب في الهامة بدمشق والزيتون في القاهرة، أن نتحدث عن تجربتي في عدد من العمليات العسكرية التي شاركت فيها، لتزامنها مع مرحلة الهامة عام ال68، على أن نواصل الحديث لاحقًا عن تجربتي مدرّبًا في معسكرات ميسلون في سورية، ومنعم في بغداد، وال99 في الأردن.

| زياد منى: وربما هنا سنضيء جانبًا جديداً في الجواب على السؤال

الكبير: لماذا هزمنا على كل الجبهات وفي كل المجالات! فماذا عن تجربتك القتالية، وأين ترى مكمن الخلل في العمليات العسكرية؟.

| | **نزيه أبو نضال:** قبل الحديث عن مكامن الخلل في مجمل التجربة العسكرية، أشير إلى أنني تنقلت في مواقع متعددة في حركة فتح، كمتدرب، ومقاتل، ومدرب، وقائد معسكر، ومفوض سياسي، ومسؤول نشرة «فتح» الداخلية، ومراسل عسكري وإعلامي مسؤول في جريدة «فتح»، ثم في مجلتي «فتح» و«الثورة الفلسطينية» كما في «فلسطين الثورة»، الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وإذاعي وسياسي في «العلاقات الخارجية» للحركة، وكنقابي، رئيسًا ل«اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين» فرع لبنان . . إلخ. بعد كل هذه التجربة الطويلة والمتنوعة، فأنا لا أعتقد بوجود قوة شيطانية تخطط أو تتعمد ارتكاب كل هذه الأخطاء والخطايا، لكن كانت تلك حدود العناصر القيادية وإمكاناتها آنذاك، وأنا أثق بإخلاص معظمها وحماسها، في تلك المرحلة على الأقل، لكن خبراتها كانت محدودة ومتواضعة. والأخطر من ذلك عدم وجود هيئات رقابة ومحاسبة لتصويب الأخطاء ومعالجتها، حتى لا تتعاظم، وكي لا نكررها ثانية، ليس في العمليات العسكرية فقط، بل في كل المجالات.

عمليات في الجولان والجليل

| زياد منى: في أثناء العمليات العسكرية، هل كان ثمة «تطبيقات ميدانية» لما تعلمته في معسكرات التدريب؟.

| | **نزيه أبو نضال:** لا، ربما فقط مهارات استخدام الأسلحة. خلال وجودي في الهامة، شاركت بين فترات التدريب في العديد من العمليات العسكرية في الجولان عبر وادي الرقاد بأشواكه القاسية والكثيفة التي تخترق بيسر أحذيتنا الرياضية الخفيفة، قبل أن نبدأ رحلة الصعود المضني إلى فوق باتجاه سفح الهضبة، حيث الهدف المطلوب، وهو عادة أحد المعسكرات الصهيونية. وكان من قادة تلك العمليات حسين الهيبة من عرب الهيب، وفي الجليل الأعلى من جنوب لبنان، قادنا كذلك في عدة عمليات حسين الهيبة نفسه والملازم صبري من مخيم اليرموك.

انذاك كان يوجد تقليد نبيل: قبل تنفيذ كل عملية، نكتب وصيتنا، وكانت

على الأرجح أن يستمر النضال، ثم نقوم بإطلاق اسم أحد شهدائنا على العملية. هكذا تتواصل المسيرة ونحافظ على دم الشهداء[1]. وأذكر أن العديد من العمليات التي شاركتُ بها أطلقنا عليها أسماء شهداء دورتنا في معركة الكرامة، منها عملية منتقم باسم وهو اسم حركي لشاب من نابلس قتل العدو ابن اخته باسم فأقسم على الانتقام منه فأطلق على نفسه اسم منتقم باسم، ومنها عملية الشهيد أبو سمرة من أغوار نهر الأردن، وعملية بالاسم الحركي لعبد الله يانس، لأن اسمه الحقيقي لم يعلن بين شهداء معركة الكرامة . . إلخ.

| زياد مني: وكيف كان طريقكم إلى هدف العمليات في فلسطين المحتلة؟

|| **نزيه أبو نضال:** كنا على الأغلب، خاصة في جنوب لبنان، نصعد مشيًا عن طريق جبل الشيخ، نزولاً إلى الجنوب اللبناني، لنكمن في أحد مغاير وادي قبريخا الكثيف الغابات، وبواسطة أدلاء محليين، نقوم باستطلاع الأهداف والمستعمرات الصهيونية المراد ضربها. ثم نتحرك ليلاً لتنفيذ العملية، وكنا على الأغلب، نقوم باستخدام صواريخ 3،5 بوصة والهاونات الخفيفة، ثم نعود إلى مكمننا، انتظارًا لاستطلاع جديد وعملية أخرى.

آنذاك، لم نكن نملك الإمكانيات والوسائل الكافية لعمليات كبرى باقتحام المستوطنات أو المعسكرات، وكان تحركنا في إحدى الدوريات، لا يعني تنفيذ عملية واحدة بل عدة عمليات، ولكننا لم نكن نستمر طويلاً، خشية اكتشاف موقعنا سواء من الجيش اللبناني، أو من قوات العدو. كما كان هناك مئات المقاتلين في الهامة، ينتظرون دورهم كي يقوموا بعمليات عسكرية، وكان معنى اختيار أية مجموعة، أن تنفجر أكثر من مشكلة ومناحة في المعسكر. فالكل يتشاجر لينال شرف المشاركة في الدورية التالية.

وبعد تنفيذ كل عملية من جنوب لبنان، كما في قصف مستعمرة هونين أو موشاف مرغليوت بالصواريخ، وهي أول عملية شاركت بها في الجليل الأعلى، كان العدو يسارع بعمليات القصف المدفعي على مناطقنا المفترضة. . مما كان يؤدي إلى استنفار قوات الجيش اللبناني.

(1) زياد مني: عندما كنت في إحدى القواعد في الغور، مقابل إربد، للمعايشة كما كانت تسمى، سقط أحد المناضلين شهيدًا في عملية، ولم يتمكن رفاقه من إحضار جثمانه الطاهر. في اليوم التالي كانوا حريصين على جلبه مهما كان الثمن. بالمناسبة، القاعدة كانت في الهواء الطلق، مخفية تحت الأشجار، تحوي خيمة صغيرة، لا أكثر. الشباب كانوا يغيرون موقعها على نحو دائم، لتفادي غارات العدو.

في سجن ثكنة الحلو

| زياد منى: أعرف أن الجيش اللبناني اعتقلك في إحدى المرات عند عودتك من عملية في شمالي فلسطين المحتلة.

|| **نزيه أبو نضال:** لقد اعتقلت أكثر من مرة. حدث ذلك أولاً بعد «عملية هونين». وكانت التعليمات المشددة لنا بعدم الاصطدام مع الجيش اللبناني مهما كانت الظروف، وكانت النتيجة أن وقع عدد من أفراد دوريتنا بيده، فيما تمكن الآخرون من الإفلات. وقتها جرت عمليات التحقيق معنا في إحدى الثكنات العسكرية في الجنوب، ثم تم تحويلنا إلى بيروت، حيث سجنت مع المجموعة في «ثكنة الحلو»، على كورنيش المزرعة.

بعد عدة أيام، اقترحت على الشباب في السجن، القيام بإعلان الإضراب عن الطعام، ولكن بعد تهريب خبر الإضراب من فتحة في شبك السجن. وطبعًا، أبلغنا قيادة الثكنة بقرار الإضراب الذي استمر يومين، ولكن تأثيره كان أسرع مما توقعنا، إذ حضر اللواء، ربما كان آنذاك المقدم سامي الخطيب، وأخرجنا من السجن، ثم قام الشيخ الجوزو بنقلنا بسيارته إلى دمشق، وفق ترتيب مسبق.

| زياد منى: الشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان الحالي؟.

|| **نزيه أبو نضال:** نعم للأسف. وقد تكرر الأمر في أكثر من دورية شاركت فيها، في مسكاف عام والمنارة، وكان أن سجنت مرتين في ثكنة الحلو، ولعدة أيام في أحد ثكنات الجنوب العسكرية، ولكن لفترات محدودة.

أذكر في أحد هذه التحقيقات، أن الضابط كان يسأل كلاً منا عن اسمه وبلده، ذكر أحدنا اسمه وكان من حلب، فصرخ المحقق في وجهه: لماذا لا تقاتل من الجولان؟. وللثاني: لما لا تقاتل من الأردن؟. أما الثالث فكان أرمنيًا لبنانيًا اسمه فرنسيس، ما أحرج المحقق فهو لن يتمكن من القول له: لما لا تقاتل من لبنان؟، لذا هدده بإبقائه بالسجن إذا كرر الأمر، لأنه يعرض بلده لبنان للخطر. وحين سألني عن اسمي قلت له: عبد القادر نزيه القدسي من مدينة القدس. فهددني بقطع رجليّ إذا رآني ثانية في لبنان.

عملية حيفا

| زياد منى: والآن ماذا عن رزقتك في عملية قصف مصفاة النفط في مدينة حيفا؟

| | **نزيه أبو نضال:** في حدود إمكانات الحركة آنذاك جرت استعدادات مهمة لتنفيذ عملية مصفاة حيفا، أواسط عام 1968، وربما توفيرًا لأمن المهمة، أرسلت للنقاهة عدة أيام في قاعدة معزولة لحركة فتح في حمورية، وسط الغوطة، عند مسؤول الموقع أبو أحمد[2]. كنت بالفعل في حاجة إلى الراحة، بعد أيام من التدريب الشاق، والجري، والمسيرات، وطوابير الإزعاج، ومراقبة نقاط الحراسة المتعددة. بعد حمورية، انتقلنا خلسة إلى البقاع اللبناني، ومنه إلى بيروت، وأقمنا في شاليهات أولاد ناصر على شاطئ ومسبح الأوزاعي، وبتسهيلات منهم[3]. كنا ثلاثة: أنا كخبير صواريخ، وعبد السلام العزة كقائد العملية وهو شقيق أم سلام زوجة الشهيد ماجد أبو شرار، كما علمت لاحقاً، وثالث لا أذكر اسمه توفي بالسرطان في إحدى دول أوربة الشرقية.

في الأوزاعي، وانتظارًا لموعد القمر المناسب لتنفيذ العملية، بدأنا التدريب على السباحة، فلم يكن أي منا يتقن السباحة، وكان وجودنا بالمايوهات طوال اليوم على البلاج بين السابحين، أفضل وسيلة للتمويه، ولكن رغبتنا بتعلم السباحة في وقت قصير، أدت إلى إصابتنا بحروق جلدية عميقة. وحين ركبنا القارب البخاري باتجاه حيفا، اكتفينا بدل معرفة السباحة، بجاكيتات نجاة من الفلين. كان واضحًا أن أبو علي إياد، والقيادة العسكرية لفتح قد أعدوا للأمر عدته بالتعاون مع أولاد ناصر، ولكن أكثر من مفاجأة كانت بانتظارنا في مكان آخر.

كان الهدف، كما قلت، مصافي النفط الضخمة في حيفا، والوسيلة ضرب الهدف بمجموعة من صواريخ 3،5 بوصة، وكنت قد تدربت عليها جيدًا في دورة الصاعقة في القاهرة، وكذلك ضرب عدة أهداف عسكرية ومستوطنات في الجولان والجليل. من منظوري كانت العملية سهلة بجانبها التنفيذي الميداني.

ما حدث بعد ذلك، دراما أدبية غرائبية لعل فيها ما هزني أكثر من ما مر بي من قصص خلال تاريخ وجودي في الثورة.

(2) في عام 1971 شاركت في مؤتمر حركة فتح الثالث الذي عقد في نفس المكان.

(3) خلال تنفيذ عملية الفردان، ليلة 10/4/ 1973، التي استشهد فيها القادة الثلاثة كمال عدوان وكمال ناصر وأبو يوسف النجار، قامت مجموعة صهيونية أخرى بمهاجمة القاعدة البحرية لفتح في الأوزاعي حيث استشهد الأخوان موسى ويوسف علي ناصر اللذان خرجا من منزليهما لنجدتها.

كان أركان العملية، إضافة إلى من ذكرت، اثنين من البحارة، والدليل، وهو صياد من حيفا ومتقدم في العمر. في الليلة التي سنتحرك فيها، اجتمعنا في بيت أحد البحارة في مخيم صبرا، وضع قائد المجموعة عبد السلام القرآن على الطاولة وأقسمنا جميعا على كتمان السر والاستمرار بالعملية حتى النهاية، وهذا تقليد في مثل هذا النوع من العمليات، حتى لا يتراجع أحد أو يخون أو يضعف. بعدها باتت العملية بالنسبة للجميع، هدفًا مقدسًا، على المجموعة كلها تنفيذه.

في اليوم التالي صعدنا إلى القارب، باتجاه حيفا، ولكن قبل أن نصل صيدا، كانت المفاجأة الأولى، فإذا بزيت القارب، الخاص بالمحرك، يهرّب، إلى حد أن كمية الزيت نفدت في صيدا، وبالطبع نحن لا نستطيع الحصول على قارب آخر لأن المسألة ليست سهلة. كان الحل أن نحتاط على كمية زيت إضافية لتعويض عملية التهريب، بحيث تكفي لرحلة الذهاب والعودة، إذا ما عدنا!. فكان أن نزل أحد البحارة على شاطئ صيدا وابتاع 10 أو 12 غالون زيت، وصرنا خلال الرحلة كلما نقص زيت الموتور نملؤه من جديد، ولا ندري فيما إذا كان سيكفي لبقية المهمة.

في طريقنا من صيدا إلى صور، كانت المفاجأة الثانية: أحد البحارة، وهو المسؤول عن القارب فنيًا وميكانيكيًا، بما في ذلك معالجة مشكلة الزيت، سمعناه يقول، وهو يرتجف: لقد انتهيت . . إلى هنا ويكفي. أنا منسحب من العملية، وأريد أن أرجع إلى بيتي.

صرخنا جميعًا وتقاطعت ردود أفعالنا: ماذا؟. تريد أن تنسحب؟. هل تعرف معنى ذلك؟. ومن يتابع وضع القارب ومشاكله؟. وأين يمين القسم؟. هذا تخريب للعملية كلها!.

قال البحار الثاني بهدوء: في حال حدث لي أي شيء، فلا أحد غيرك يستطيع قيادة المركب وإصلاحه.

وأكد الدليل بهدوء، وكان طاعنًا في العمر: لا أحد منا يعرف شيئًا عن هذا القارب. إهدأ يا رجل وتوكل على الله!.

قال وقد اصفر لونه وهو يكاد يبكي: زوجتي وأولادي!. ليس هناك من يعيلهم، لست قادرًا على أن أكمل معكم.

قال له البحار الثاني: واليمين الذي أقسمته يا جبان!. هل تحنث بيمين الله؟. الا تعرف جزاء ذلك عند رب العباد؟!.

قال وهو يرتجف رعبًا: قولوا عني جبان، وحنث باليمين، لكن لا يمكن أن أكمل.

قال رئيس الدورية عبد السلام، بهدوء غريب ومفاجئ: إهدأ الآن، إذا كنت تريد الانسحاب لا نستطيع أن نجبرك. لكن انتظر حتى نصل صور ونؤمن أنفسنا بمزيد من الزيت والمازوت/الديزل، وستكون الأمور إن شاء الله على ما يرام.

قلت لعبد السلام: ولكن ماذا عن أمن العملية وأمننا نحن؟. ومن يضمن بأن لا يخبّر عنا وعن العملية عندما ينزل في صور.

قال عضو المجموعة الثالث: إنه يعرف هدف العملية، فإذا كشف السر سيعرف العدو بطريقة ما أننا ذاهبون إلى حيفا، وقبل أن نصل تكون المصيدة بانتظارنا.

هتف البحار بإخلاص وحرارة: أقسم بأنني لن أخبر أحدًا.

رد البحار الثاني ساخرًا: سمعنا مثل هذا القسم ليلة أمس!.

قال عبد السلام بيقين غريب: هيّا يا جماعة!. أنا أضمنه، لن يخبر أحدًا، وفي صور سننزله كما يريد.

في صور، طلب عبد السلام من البحار الثاني النزول وإحضار الزيت والمازوت، وقال للبحار الخائف سننزلك حين يعود. وحين رجع، أصدر الأمر بأن ينطلق المركب فورًا إلى حيفا.

فبدأ البحار بالصراخ: إلى أين؟. ألم نتفق أن تنزلوني هنا؟.

صرخ به عبد السلام: ولا كلمة!.

وحين واصل صراخه الهستيري عن الزوجة والأولاد، سحب عبد السلام مسدسه وأطلق رصاصة بين قدمي البحار المذعور: كلمة ثانية وتموت. نحن لا يمكن أن نعرض عملية كبيرة مثل هذه لشخص مثلك يجبُن في آخر لحظة، ثم نتركه هكذا ينزل ويثرثر. لا نستطيع أن نتركك هنا، ثم إنك أقسمت، ونحن نعتمد عليك لإتمام العملية، لأن بحارًا واحدًا لا يكفي. يجب أن تقوم بدورك، ليس بخاطرك وإنما رغمًا عنك!.

لقد كان خائفًا من الموت، وها هو الموت يأخذ شكل رصاصة بين رجليه.

أبحر القارب، قطعنا الحدود اللبنانية، ودخلنا المياه الإقليمية الفلسطينية، وعبرنا باتجاه حيفا، فكانت المفاجاة التالية: هذا الرجل الجبان الذي كاد يرتجف قبل قليل من الرعب، وينوح ويبكي زوجته وأولاده، سمعناه فجأة يقول

بشجاعة وقوة وهو يقرّع نفسه: يا عيب الشوم عليك يا أبو فلان، ماذا جرى لك. يا جماعة، لقد أخطأت، وأنا الآن، أولكم وسابقكم على الموت، وإذا لم يكن من الموت بدُ، فمن العار أن تموت جبانًا.

فمن أين دبت في هذا الرجل كل هذه الحرارة، والحماس والشجاعة التي لا يمكن أن تتخيلها من شخص كان ينوح قبل قليل كالثكالى؟!. هل هي سفن طارق بن زياد المحترقة؟، أم هو الوطن الفلسطيني، حين صار أمامنا وتوهجت أنوار حيفا أمام عينيه تلاشى كل ما هو خاص، وتقدمت القضية المقدسة على كل شيء؟!.

ها نحن الآن نتقدم نحو الهدف بروح معنوية عالية أمدنا بها الانقلاب المدهش لذلك البحار. ها هي أنوار الشاطئ الفلسطيني قبالة عكا، وها نحن ندخل بين السفن والقوارب، على هيئة صيادين، نرتدي فوق سترات الإنقاذ سترهم وقبعاتهم، ونجلس على مد خشبي بداخله عشرة صواريخ، وبجانب كل منا رشاش كلاشينكوف جاهز للمفاجآت.

الآن، ها هي حيفا!. تأخذ شكل وطن نريد احتضانه، وتنتصب على هيئة مصافي نفط عملاقة نريد تدميرها وإحراقها. وصلنا قريبًا من الشاطئ. ها هي الكاباريهات والكازينوهات على امتداد الشاطئ، والسيارات تتهادى جيئة وذهابًا، والناس يتمشون أمامنا تحت مرمى البصر والنار، فمن من هؤلاء المشاة كان إسرائيليًا ومن منهم من عرب حيفا؟.

اقتربنا أكثر. صرنا نسمع الأغاني العبرية من مكبرات الصوت في الكازينوهات، وصار بإمكاننا تمييز الوجوه وأصوات السيارات وألوانها تحت الأضواء الكاشفة. بقي أن نجد نقطة عتمة صغيرة لنرسو بقاربنا عليها، وننزل بحمولتنا من الصواريخ والأسلحة، ونتقرب من الهدف: الريفاينري، فقط أن يصير على مرمى البصر، كي أقدّر المسافة وأحدّد زاوية الإطلاق، ثم أوقّت الساعة التي سيبدأ فيها القصف، لنكون نحن على مسافة أمان كافية باتجاه القارب الذي ينتظرنا، جاهزًا للانطلاق ببحاريه في عودة مظفرة، وألسنة اللهب تتصاعد خلفنا في سماء حيفا.

فقط نحتاج إلى نقطة عتمة، ثم ستضيء الانفجارات حيفا كلها. جاء الآن دور الدليل الحيفاوي، فكانت المفاجأة الكبرى: قال مندهشًا: يا جماعة، ليست هذه حيفا التي أعرفها، تغيرت حيفا كثيرًا!.

سألناه: منذ متى عرفت حيفا؟.

أجاب بسذاجة مفرطة: من النكبة عام 48 ، وأنا صياد حيفاوي أعرفها شبرًا شبرًا، لكنها ليست هذه التـي أمامي الآن.

صرخ عبد السلام بذهول وخيبة أمل مريرة: ما الذي تقوله يا رجل، أنت تشارك في العملية دليلاً لنا، فتقول الآن إنك تعرف حيفا قبل عشرين سنة؟!. يعنـي أنت لا تعرف شيئًا؟.

قال: والله كنت أظن أننـي أعرفها.

فأبحرنا بمحاذاة الشاطئ حتى آخر حيفا، من أولها إلى آخرها، ولم نستطع أن نجد نقطة عتمة صغيرة أو غير مأهولة بالناس والكازينوهات والسيارات، وخاصة مع هذه الإنارة، القوية جدًا، والتـي تكشف الظل إذا تحرك على الشارع، فما بالك بمجموعة طالعة من البحر في منطقة غير مخصصة لرسو قوارب الصيد، وهي تحمل صواريخ وكلاشينكوفات!. ثم علينا إذا رسونا في منطقة وكانت أبعد من مرمى الصواريخ، أن نتقرب أكثر من الهدف، ونحن نجوس في مناطق مأهولة ومجهولة، ومن دون أن نعرف من سنواجه، وعن سنلتقي، وأين ننصب صواريخنا!.

قلت لنفسي: فقط لو كان دليلنا يعرف حيفا الآن! أو كان هناك أحد من فلسطينـيي الداخل بانتظارنا في نقطة معينة، حتى يأخذنا ويوصلنا إلى الهدف، لكانت المشكلة قد حلت.

كان واضحاً لنا أن أي محاولة للنزول العشوائي على الشاطئ، ستكون فقط عملية انتحارية من دون أن تنجز أي شيء، أو نصل إلى أي هدف!. ناقشنا الأمر برويّة، فكان أن اضطررنا إلى لملمة أذيال الخيبة، والدوران على أعقابنا عسى أن نجد في طريق العودة هدفًا بديلاً، كأن نقصف مدينة نهاريا. فأي هدف كان أفضل من الرجوع خِلْوَ الوفاض.

واصلنا الإبحار قريبين من الشاطئ، وهذا أكثر أمنًا. فأن تكون قريبًا من الشاطئ وليس بعيدًا، فأنت بهذا توحي بأنك من أبناء المنطقة، صياد أو شيء من هذا القبيل، وهكذا بقينا نبحر على الشاطئ حتى وصلنا إلى الحدود اللبنانـية، من دون أن نجد نقطة عتمة. إضاءة كاملة، وأناس وسيارات وكازينوهات على طول الشاطئ، فرجعنا خائبين إلى بيروت.

| زياد منى: وكيف كانت ردة فعل القيادة على إخفاقكم في تنفيذ المهام التـي أوكلت إلى المجموعة؟.

| | **نزيه أبو نضال:** كان أولاد ناصر بانتظارنا متلهفين لسماع أخبار العملية، وحين علموا ما حدث، ورأوا ما نحن عليه من مرارة وشعور بالخجل والخيبة، طيّبوا خاطرنا بمحبة: لا تحزنوا، «ما سيأتـي أكثر مما مضى».

كان أولاد ناصر ممن شاركوا من موقعهم البحري في الأوزاعي إلى جانب قيادة تنظيم «فتح» في لبنان باختـيار الدليل والبحارة والقارب.

هذا أنموذج من عملياتنا العسكرية، ولكنها بالطبع لم تكن جميعها على هذا النحو. فقد تم بعد ذلك بسنوات العديد من العمليات الكبيرة والناجحة، خاصة أن العدو لا يستطيع أن يحتاط بسلسلة من الدفاعات على مختلف الجبهات، لعل من أشهرها عملية دلال المغربي 1978، وعملية سمير القنطار عام 1979.

وفي مجمل العمليات التـي قمنا بها أو قام بها غيرنا، من جنوب لبنان ومن الجولان، وبعدها من الأغوار الشمالية والجنوبية، واطلعت على تفاصيلها بنفسي، من موقعي في إعلام فتح المركزي، فلم أجد في العديد من هذه الحالات استطلاعًا صحيح، أو تخطيطًا جدي، أو تنفيذًا ناجح، وقد اختبرت ذلك جيدا في الإعلام العسكري حين كنا نتابع أنا وماجد أبو شرار (ملاحم) «نسور العرقوب» في جنوبي لبنان و«عين البيضا» في الأغوار الشمالية و«غور الصافي» في الأغوار الجنوبية. كان يوجد فقط ضجيج إعلامي، وكأن الهدف كان مجرد صخب الصواريخ والانفجارات، والإعلان عن عمليات، أكثر منه إلحاق خسائر حقيقية بالعدو.

هذه الذهنـية العسكرية الاستعراضية تجلت في مواقع متعددة، وليس بعيدًا عن ذلك تجربة الصدامات المسلحة في الأردن على امتداد عام 1970، حيث توليت المسؤولية العسكرية لمنطقتـي العبدلي واللويبدة في اصطدامات شباط، وجبل الأشرفية في حزيران، ولاحقًا في بيروت، حين توليت لفترة محدودة قيادة القاطع العسكري الممتد من حي السلم إلى راس النبع، بتكليف من أبو صالح عضو قيادة فتح العسكرية، وهذا ما سنعود إليه بشيء من التفصيل بعد استكمال تجربة معسكرات التدريب.

| زياد منى: ولكن لماذا توقفتَ عن القيام بالعمليات العسكرية وانتقلت لتأدية مهام أخرى؟.

| | **نزيه أبو نضال:** كان لذلك سببان: الأول أننـي أصبت بالتهاب الكبد

الوبائي أو مرض البرقان، المعروف شعبيًا باسم أبو صفير، وكانت الحالة كما يبدو متقدمة مما استدعى بناء على تعليمات الطبيب أن أبقى شهرًا كاملاً في السرير مع العلاج، وكان من أسباب إصابتي باليرقان، كما قال، تعرضي لإرهاق شديد وبرد قارس، وضرورة تجنب ذلك مستقبلاً، وتذكرت خلال صعودنا إلى الجولان، في إحدى الدوريات، كيف غرقت ملابسي كلها بالعرق، (وأنا بالطبيعة شديد التعرّق). وحين توقفنا للاستراحة فوق سفح الهضبة كان الهواء باردًا جدًا ما جعلني أصطك من بردية قاسية، فحاولت خلع ملابسي المبتلة بالعرق الذي صار كالثلج، ولبس الفيلد الموجود داخل الحقيبة العسكرية، وكانت المفاجأة أن الحقيبة نفسها كانت غارقة بالعرق وكذلك الفيلد بداخلها.

وقتها أمرني الطبيب بحمية قاسية بألا أتناول سوى الحلويات: قرشلة وكعك وحليب وكستارد ورز بحليب. كان الأمر يبدو مغريًا في البداية، ولكن بعد أيام صار بودي التهام أي كميات من الملح والفلفل والبهارات أراها أمامي.

الثاني: اتساع حجم المهام المطلوبة بعد معركة الكرامة وندرة عدد الكوادر المؤهلة للمواقع المختلفة في الإعلام والتدريب والتفويض ولاحقًا العلاقات الخارجية والعمل السياسي والنقابي . . الخ . . مما استدعى أن أشغل العديد من هذه المواقع، وخاصة التفويض السياسي في معسكرات الحركة، وأنا من كان يلحّ على ذلك طويلاً. قال لي أبو علي إياد، وكان مسؤولي المباشر وتربطني به علاقة ثقة كبيرة: اسمع، دور المقاتل يستطيع كثيرون القيام به، ولكننا الآن بحاجة أكثر إلى الكادر المؤهل.

هكذا تضافر وضعي الصحي مع احتياجات العمل وضروراته بأن أتراجع من المواقع القتالية المتقدمة إلى الصفوف الخلفية، ولكن إلى حين، حيث شاركت في المواجهات العسكرية التي اشتعلت، كما سنرى، في أحياء عمان وبيروت، خاصة على امتداد عام 1970 في الأردن ثم في عين المريسة عام 1975، وما تلاها وصولاً إلى الاجتياح الصهيوني للبنان 1982.

الفصل الرابع:
مدرباً ومفوضاً سياسياً
في معسكرات فتح

| زياد منى: قبل الحديث عن تجربتك كمدرب وكمفوض سياسي في معسكرات فتح لو تحدثنا عن تجاربك في سورية والعلاقات التي أقمتها هناك مع بعض قيادات الحركة.

|| **نزيه أبو نضال:** ربما من المفيد هنا أن أروي الواقعة التالية:
بعد معركة الكرامة في 21 آذار عام 1968 وما أثارته من التفاف وحماس شعبي واسع بدأنا نستقبل، خاصة من مخيمات الأردن، مئات المتطوعين من مختلف الاعمار، ما اضطر حركة فتح وبالتعاون مع القيادة السورية إلى فتح معسكرات جديدة في اللاذقية، تولى قيادتها محمد أبو ميزر (أبو حاتم).

اللاذقية، ومحمد أبو ميزر (أبو حاتم)

تحركت عدة حافلات تقل مئات المقاتلين، فكلفت بمرافقتها إلى اللاذقية. وفي الحافلة جلست إلى جانب أبو حاتم، فعلمت منه أنه قادم من الجزائر (بعد ذلك عمل لسنوات ممثلاً لفتح في فرنسا، وكان هو الذي أطلق من هناك مشروع الدولة الفلسطينية الديمقراطية). كما علمت أنه، رغم خلفيته

البعثية، كان من أوائل المؤسسين لحركة فتح وكان يتولى فيها مواقع قيادية متعددة. أوضحت له بدوري انتمائي للفكر القومي الماركسي، وبالطبع تركز الحديث عن تجربة التدريب في معسكر الهامة، وملاحظاتي النقدية على هذه التجربة، ثم انتصل الحوار حول تجربة الحركة وفكرها وملاحظاته عليها. كان ذلك في نيسان عام 1968. المفاجأة كانت ما قاله أبو حاتم لي آنذاك، وفي اللقاء الأول معه، فهو شفاف، ويأخذ على الناس بسرعة، أي يثق بالآخرين، ولديه هذه الروح الحميمة في العلاقات الإنسانية، عندما يشعر بوجود صدق بالحديث وبالعلاقة، قال لي: اسمع، خذ مني ما سأقوله ولا تنساه، اعتبارًا مني وفوق، وأنا مع الذين فوق، إذا أردتم أن تتقدم الثورة وتنتصر، فتجاوزونا جميعًا قبل فوات الأوان. وها أنا هنا أسجل ذلك الذي قاله للتاريخ.

أحمد الأزهري في الهامة

قبل تجربة معسكر ميسلون، أقيم معسكر صغير لدورات خاصة ومؤقتة لكوادر ذات مواصفات عالية، وكانت تعقد، وفق ترتيبات أمنية خاصة، في كراجات الحركة، مقابل معسكر الهامة أو في الهامة التحتا، وكانت دورة الكادر تستمر من عشرة أيام إلى أسبوعين، وكنت أعطي فيها محاضرات سياسية. وهناك تعرفت على مسؤول هذه الدورات وهو أحمد الأزهري (فاروق القاضي)، القيادي الشيوعي المصري من حركة حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني).

في ذاك الوقت، كنا لا زلنا نتلمس خطانا الأولى في التفويض السياسي.

لما قصفت الهامة ودمرت، دمرت معها كراجات الهامة التحتا، ولكن لم تكن تعقد آنذاك في الموقعين دورات تدريبية، وقبلهما كان قد دمر معسكر ميسلون الذي نجونا منه بأعجوبة.

في ميسلون: بداية العمل السياسي في معسكرات التدريب

| زياد منى: متى بدأ عمل «التفويض السياسي» في الحركة؟

| | **نزيه أبو نضال:** نستطيع أن نقرر باطمئنان أن بداية التفويض السياسي المنظم والمستمر ابتدأ في معسكر ميسلون، أواخر عام 1968، قبل ذلك كانت مجرد أحاديث ولقاءات ومحاضرات متفرقة، يتم معظمها بالصدفة

وبدون خطة. ولكن مع تدفق آلاف المتدربين من المخيمات الفلسطينية ممن لا يعلمون شيئا عن فتح أو الثورة بات من الملح معالجة هذا النقص وهو ما كنت أكدت عليه مرارا مع أبو علي إياد وأبو عمار.

قبل افتتاح معسكر ميسلون استدعاني أبو علي إياد، وقال متحببًا: [يا غضيب إنت بتحب الحكي بالسياسة يللا هاي الشباب قدامك في ميسلون حشّيهم سياسة قد ما بدك].

فقلت: حسنًا، ما البرامج الموجودة، لدى الحركة، كراسات محاضرات، حتى نعطيها للشباب بالتثقيف السياسي؟.

قال أبو علي جادًا: وهاي بدها محاضرات وكتب ومراجع؟. بتفهمهم: بلادنا راحت، وبدنا نرجّعها بالقوة، واللي بوقف بطريقنا بنكسّر رجليه.

فقلت له ضاحكًا: يا أبو علي، دورة مدتها أربعة أشهر ونصف، وكل يوم عندنا محاضرات سياسية، تريدني أن أقول لهم فقط أن بلادنا راحت، ونريد أن نحررها بالقوة، ونكسر إجر اللي بوقف في طريقنا؟.

وكان معنى ذلك أن أبدأ تقريبًا من الصفر معتمدًا على بعض ما صدر من كراسات لحركة فتح، وكان من المهم أن نقدم لشباب خُلْوِ الذهن برنامجًا جرى تطويره باستمرار ويغطي المحاور التالية:

- فتح التاريخ والمنطلقات، المبادئ والأهداف.
- الخلفية التاريخية للثورة الفلسطينية المعاصرة من خلال محطات مفصلية:
  - تجربة الشيخ عز الدين القسّام التنظيمية والعسكرية،
  - ثورة 36-39،
  - الجهاد المقدس وعبد القادر الحسيني،
  - جيش الإنقاذ وفوزي القاوقجي . . إلخ . .

ثم التوقف عند أسباب فشل الثورة المسلحة، والدروس والعبر المستفادة.

- التاريخ الفلسطيني المعاصر منذ بدايات القرن العشرين كجزء من الأمة العربية.
- تجارب ثورية عربية وعالمية: الجزائر، الثورة الروسية البلشفية، ثورات الصين وفيتنام وكوبا، تجارب التوباماروس في أميركا اللاتينية، والحركات الثورية المسلحة في المدن والتي نشأت في أعقاب الثورة

الطلابية في أوربا عام 1968، ويتصل بعضها بصراعات قومية أو دينـية مثل: الباسك الإسبانـية، الثورة الإرلندية، الجيش الجمهوري الإرلندي . . إلخ. وبعد ذلك بقليل تشكلت تباعًا حتى بداية السبعينات: الألوية الحمراء الايطالية، العمل الآن الفرنسية، بادر ماينهوف الألمانـية، الجيش الأحمر اليابانـي، منظمة جيش الشعب التركي . . إلخ.

وقد احتاج تنفيذ مثل هذا البرنامج الطموح إلى وجود مكتبة متخصصة في المعسكر، وكنت أعدّ المحاضرات خلال تدريبات الشباب في النهار وأقدمها لهم ليلا. وكان البرنامج يغطي أربعة أشهر ونصف، في كل هذه الحقول والمجالات.

ثم بدأ الصحفيون والمهتمون أجانب وعرب بالقدوم إلى المعسكر، وكان على المفوض السياسي استقبال هؤلاء والحديث معهم بما نود قوله إلى العالم من خلال تجربة المعسكر، وكانت اللقاءات مع هؤلاء تتم في مكتبي وهي غرفة نومي أيضا وفيها مكتبة المعسكر.

معظم الصحفيين والضيوف وممثلي الثورات وحركات التحرر الصديقة كانوا يخرجون من الزيارة معجبين بالبرامج، وبالقضايا التـي نقدمها في التثقيف السياسي، وينعكس ذلك في أحاديثهم وكتاباتهم . . فصارت عملية التثقيف السياسي بالنسبة للقيادة مفخرة لفتح . . مما عزّز موقع المفوض السياسي وبات، كما في معسكر منعم ببغداد، نائبًا لقائد المعسكر.

فزعة أهل حماة !

| زياد مني: حدثنا من فضلك عن «هبة» أهل حماة للانضمام إلى «العمل الفدائي» ونتائجها.

| | **نزيه أبو نضال:** ذات يوم جمعة ونحن نعدّ لدورة جديدة في معسكر ميسلون اتصل أبو علي إياد من الهامة ليخبرنا بأن أكثر من 400 متطوع من حماة قادمون للتدريب، وقد علمنا من هؤلاء لاحقًا أنهم كانوا في صلاة الجمعة حين ألقى بهم احد قادة الأخوان وهو الشيخ مروان حديد خطبة الجمعة، وكانت حول فلسطين والأقصى واليهود والجهاد في سبيل الله . . ما أثار حماس المصلين إلى حد أنهم رفضوا العودة إلى بيوتهم حيث قرروا الالتحاق فورًا بصفوف المجاهدين، على طريقة التحاق فرسان العرب وقبائلهم بغزوات المسلمين وحروب الفتح.

أجرى الشيخ الحديد اتصالاته بقيادة فتح في الهامة التي أوعزت لنا باستقبالهم فوصلوا إلى معسكر ميسلون ليلاً مهللين مكبّرين، استقبلهم قائد المعسكر منذر أبو غزالة بكلمة ترحيبية، وترك لي الكلام عن برنامج المعسكر، كانت حالة الغليان والهتافات المتصاعدة من المتطوعين واضحة إلى حد أنك لو زودتهم بسيوف أو بنادق لاندفعوا بلا هوادة لقتال العدو والاستشهاد في سبيل الله من أجل تحرير المقدسات. رحبت بهم محييًا روحهم الجهادية التي تبشر بمجد الأمة وانتصارها، ثم شرحت لهم برنامج المعسكر التدريبي الذي يستمر لمدة أربعة أشهر ونصف، من الفجر إلى حراسات آخر الليل. قلت لهم بهدوء: «مهمتنا في معسكرات تدريب فتح أن نعدّ مقاتلين مؤهلين لخوض حرب طويلة الأمد ضد العدو، وللقيام بالعديد من العمليات الفدائية، نحن لا نقدم شهادات عبور عاجلة إلى الجنة، ولكن من يستشهد على درب النضال الطويل فهنيئًا له الجنة التي وعد الله بها المجاهدين المؤمنين».

كانت الدورة التدريبية تتم في طقس ثلجي قاس، ومع تدريب أقسى، ركض ومسيرات وعمليات زحف فوق الأشواك والمياه المتجمدة . . ما جعل حماس وحرارة المتطوعين الحمويين تخبو وتتراجع بالتدريج . . فكان أن أخذوا بالتسرب من المعسكر تباعًا بذرائع مختلفة، وحين التقيت لاحقًا بالشيخ الحديد خلال زيارته لهم في المعسكر شرحت له الوضع، وطلبت أن يسهم بتوجيههم بهذا المعنى، ولكن دون جدوى، فمن تبقى منهم، قبل نهاية الدورة، بات يعد على أصابع اليد الواحدة. يبدو أن بطاقات الجنة ليست سهلة، وطريقها ليس مفروشًا بالورود.

خالد أبو خالد

كان من الذين التحقوا بمعسكر ميسلون الشاعر والإذاعي المعروف خالد أبو خالد ابن الشهيد القسّامي القائد محمد محمد صالح، والذي كاد يطرد من الكويت مع ناجي علوش في منتصف الستينيات لنشاطه السياسي. لم يكن أحد من كادر المعسكر يعلم شيئًا عن هذا الشاعر، وكان يعامل مثل غيره من المتطوعين الشباب الصغار، زارني في مكتبي في المعسكر، ولعله استأنس من خلال محاضراتي السياسية ما يطمئنه، قال لي أنه يرغب بالانسحاب من الدورة، ولم يكن ذلك مسموحًا، بعد تجربة متطوعي حماة، وكان الجميع يبلّغون بذلك قبل بدء الدورة، ومن أراد حينها فلينسحب، أو عليه استكمال

الدورة، وحين تنتهي يمكنه الانسحاب، وكان سبب القرار أن لا تكون مجرد صعوبات التدريب سببًا باتخاذ قرارات خاطئة أو كردة فعل.

استمعت لخالد بهدوء، وتعرفت عليه بعمق، وأسمعني شيئًا من شعره الجميل والمدهش، وكان يعرف ناجي علوش ومحمد أبو ميزر، ولكن كانت لديه شكوك كثيرة حول سياسة فتح قال لي: هذه حركة مشبوهة. قلت له وأنا أتذكر حواري في باص اللاذقية مع محمد أبو ميزر: بل افترض أنها حركة جواسيس، ولكنها باتت الآن حركة الشعب الفلسطيني، وليست مجرد فصيل فدائي، ومهمة الوطنيين أن يصمدوا ويناضلوا لتخليص هذه الحركة منهم.

استطلاع جوي معاد فوق ميسلون

| زياد منى: ما سبب الانتقال من ميسلون في الهامة إلى «معسكر منعم» في العراق؟.

|| **نزيه أبو نضال:** كانت استطلاعات العدو بطائراته وجواسيسه تجعلنا في حالة استنفار لا يتوقف، وفي غروب أحد الأيام شاهدنا طائرة هليوكبتر غريبة اعتقدنا أنها إسرائيلية فأبلغنا قيادتنا في الهامة بالأمر، التي أبلغت بدورها القيادة السورية.

في اليوم التالي وصلت المعسكر لجنة تحقيق من الاستخبارات العسكرية السورية، وقد كنت واحدًا من الذين رأوا الهليوكبتر، فقدمنا رؤيتنا العيانية بما شاهدناه، وتبين للجنة على الفور أنه تقرّب استطلاعي ينذر بالخطر وأنه يمكن للعدو قصف المعسكر في أي لحظة، ولا توجد أي إمكانية لحمايته. فكان أن أمرت قيادتنا العسكرية بمغادرة معسكر ميسلون فورًا إلى معسكر منعم في بغداد.

بعد أيام قليلة قصف العدو المعسكر بوحشية، وحين تفقدته في زيارة لاحقة وجدت أن غرفتي، كما المعسكر، قد دمرت نهائيًا وشظايا المكتبة تتناثر بين الركام.

معسكر منعم في بغداد

|| **نزيه أبو نضال:** حين وصلنا «معسكر منعم» في بغداد وكان ضمن معسكرات الرشيد، بدأ في المعسكر نظام جديد وترتيبات مختلفة تتلاءم مع

واقع العلاقات مع الجيش العراقي وتراتبيته العسكرية، كان أبو الزعيم قائد المعسكر، وكنت أنا كمفوض سياسي نائبًا لقائد المعسكر برتبة نقيب.

بعد انتقال أبو الزعيم تولى قيادة المعسكر ضابط من غزة خريج كلية شرشال في الجزائر، واسمه مصطفى الجزائري (وافي)، وهو شقيق أبو خليل وافي، ممثل فتح، ثم منظمة التحرير في الجزائر. هذا الضابط كان يحاضر في الدورة عن فن الاستطلاع العسكري. وأتذكر هنا هذه الحكاية الظريفة، وكنت شاهدًا عليها: «سأل أحد شباب الدورة: إذا كنا سنهاجم معسكرًا إسرائيليًا، كيف نقوم بعملية الاستطلاع؟ أجاب القائد المارشال: قبل العملية، يتوجه من اثنين إلى أربعة أشخاص للاستطلاع، يأتي أحدهم من منطقة ويضرب حجرًا على برج الحراسة في المعسكر، فماذا سيفعل الإسرائيليون، يستعملون الرشاشات لضرب مكان خروج الحجر، ما الرشاش الذي استخدموه نفرض رشاش 500، إذن، أسجل أن المنطقة هنا فيها رشاش 500، ثم يتوجه آخر إلى الناحية الثانية ويضرب أيضًا حجرًا آخر، ردوا عليه برشاشات عادية، أعرف أن هذه المنطقة فيها رشاشات نوع كذا، «برن» مثلاً أو أي نوع آخر، وهكذا أكمل جهات المعسكر الأربعة، وأعرف أنواع الرشاشات المستعملة، وبعدها أذهب وأقدم للقيادة تقرير الاستطلاع، وفي اليوم الثاني تذهب الدورية وتهاجم المعسكر وهي تعرف أنواع الأسلحة الموجودة في المعسكر»!!

أحد الخبثاء في الدورة علق هامسًا: «أظن أن الأفضل، بعد إلقاء الحجارة، أن يصاب المستطلعون بالرصاص لأننا حين نسحب جثثهم ونخرج منها الرصاص نتأكد تمامًا من نوع الرشاشات».

| زياد مني: هل هذه نكتة؟!.

| | **نزيه أبو نضال:** والله العظيم أنا سمعت هذا الكلام بنفسي من مصطفى الجزائري، خريج كلية شرشال!!.

هذا الضابط نفسه تلاسن مع ممثل فتح في العراق أبو طارق، اختلف الاثنان، دقا ببعضهما، قال أبو طارق: ولك أي أنا قبل ما تولدك أمك كنت بدفع 10 جنيه للميكانيكي يزبط لي السيارة مشان لما ألف دوار غزة السيارة تقول (زييج).

انظر إلى هذا الفخر العظيم، لواحد من قادة فتح!! لكن يبدو أن ضابط كلية شرشال العسكرية كان في غزة من مرتبة اجتماعية أدنى، فقد «أفحم»، ولم ينبس ببنت شفة للرد على أبو طارق[1].

| زياد مني: إليك تجربتي. عندما توجهنا إلى الجبهة وقت «التجنيد الإجباري» الذي فرضه القائد العام على الطلاب، وكان موقعي بالقرب من بلدة جون أعلى جسر الأولي بالقرب من صيدا، في مقر «الفوج المدرع الأول» - طبعًا مع حفظ الأسماء والألقاب!. كنت والزملاء، وكانوا من إقليم إيطاليا وينتمون إلى فصائل مختلفة، عدا الجبهة الديمقراطية، كما أوضح في قسم آخر، طلبت من قائد الموقع المناوب أن يوضح لنا مهامنا في فترة الحراسة الليلية حيث كانت الرياح والأمطار لا تسمح للواحد برؤية كفه. فأجابنا: أنتوا فاكرين إنكم راح تحاربوا اليهود!. إنتوا مصايد للإسرائيليين. هم راح يجوا في الليل مشي بعد إنزال في منطقة بعيدة، مسلحين بمناظير ليلية وأسلحة مركب عليها كواتم صوت، ما راح تشعروا فيهم. راح يضربوا الواحد منكم كم طلق، فيقع ويسقط الكلاشن على الأرض فنسمع صوته ونصحى ونتصدى لهم. هذا الحديث «التعبوي» لم يتم على انفراد بل

(1) زياد مني: لا أدري إن كان الحديث عن ممارسات البعض صحيحًا أو لا. مع ذلك، يجب الا تؤخذ الممارسات السلبية إلى درجة اللوم على أنها مرتبطة بأشخاص، بل يجب تأكيد أنها سياسات الحركة أو لنقل: سياسات قادتها. على سبيل المثال، مكاتب منظمة التحرير، بعد سيطرة فتح عليها، تحولت، حيث توافرت لها الفرصة، إلى مراكز لاضطهاد الشعب الفلسطيني والتجسس عليه. على سبيل المثال، في ليبيا كما في معظم البلاد العربية والدول الاشتراكية، لم يكن بإمكان أي مواطن فلسطيني إنجاز او إنهاء اي معاملة ما لم يتسلم تصريحًا من مكتب منظمة التحرير بأنه دفع مقدار 6% من معاشه للمنظمة. كنت أرى كيف أن بعض المواطنين ياتون بورقة تثبت دفعهم «ضريبة التحرير» [كذا!] ويطلبون ورقة المنظمة كي ينهوا أعمالهم. الورقة في كثير من الاحيان لم تكن تعطى لهم إلا بعد إذلال: تعال وروح، وروح وتعال؛ الموظف مش موجود، انطر . . إلخ. وكانت العبارة المحببة في مكتب طرابلس الغرب «تعال بكرة، ولاّ فيها تحرير فلسطين!». كان المواطن المسكين يعود أدراجه مذلولاً كسيرًا. في إحدى المرات حضرت المناقشة التالية: تعال بكرة!. المواطن الفلسطيني: مستعجل وعندي اشغال. هاي ورقة «ضريبة التحرير»، بدي أسافر. الإجابة: عشو مستعجل ياخو!. المواطن: عندي شغل. المدير: فيها تحرير فلسطين ياخو؟!. المواطن: نعم، مرتبط بتحرير فلسطين. المدير: معلش ياخو، بناجل التحرير أكم من يوم. أقولك، بلاش تيجي بكرة، تعال بعد بكرة. وهكذا. أود التشديد هنا المشكلة لم تكمن في أبو طارق أو أبو خليل او عصام كامل رحمهما الله، بل في سياسة الحركة واختيارها القصدي وليس الاعتباطي للمسؤولين والأوامر التي يمدونهم بها، وهم الذين نراهم الآن في مقر المقاطعة في رام الله. وللامانة أن الاخ ابو طارق كان يعاملني بقدر كبير من المحبة حيث كنت أول متفرغ من إقليم ليبيا، على ما اظن.

بحضور معظم مسؤولي «الفوج» العتـيد. يمكنك تصور مدى حماس الواحد منا للقاء العدو وحماية هكذا قيادة.

حين هرب الأمير الكويتـي

| زياد منى: سمعنا بأن أميرًا من عائلة الصباح الحاكمة في الكويت انضم في تلك الفترة إلى صفوف «العمل الفدائي».

| | **نزيه أبو نضال:** نعم جاءنا أمير كويتـي إلى معسكر منعم. وقتها كان قد هجم علينا الصيف حارًا ومبكرًا في المعسكر، وكان عناصر الدورة وعددهم نحو 500 متطوع يعانون أقسى ظروف تدريبية يمكن تحملها، وبالطبع كان يمنع على المتدرب ترك المعسكر خلال الدورة، الاختـيار بالمغادرة يكون فقط بعد انتهاء الدورة.

الأمير الكويتـي، الذي جاء متحمسًا من أجل فلسطين، اصطدم بجحيم التدريب والحر الشديد وعقوبات المجاري ما جعله يفر هاربًا من فوق أسلاك المعسكر، تاركا جواز سفره وحقيبة ملابسه، ربما يكون التجأ إلى سفارة الكويت في بغداد. بعدها لم يعد لاستلام حاجياته، ومن بينها بدلة رياضـية، استخدمتها لاحقًا، خلال تدريبات اللياقة البدنـية، في معسكر 99. وهكذا أتـيح لي أن أرتدي لأول وآخر مرة بدلة أمير!.

وذكر أن أميرا ثانـيا هو الشيخ فهد الأحمد الجابر الصباح، قد التحق، في زمن آخر، بصفوف حركة فتح.

خلال محاضرات التثقيف السياسي وردًا على أسئلة المتدربين عن واقع الحال في القواعد العسكرية في الأغوار، بعد الخلاص من جحيم المعسكر في بغداد، كنت أقول لهم: «توقعوا أسوأ الاحتمالات، واعملوا على أساسها». وحين كنت التقي بعضهم لاحقًا في الأردن كان يقول لي: هل تذكر ما كنت تقوله لنا في بغداد «توقعوا أسوأ الاحتمالات! ها نحن نرى ما هو أسوا منها». أربعة أشهر من التثقيف السياسي يتذكرون منها هذه العبارة!!.

لم تكن الفترة التـي قضيتها في بغداد طويلة ولكنها كانت حافلة بالأحداث إذ توليت إلى جانب مهامي كمفوض سياسي ونائب قائد «معسكر منعم» مسؤوليات ومهمات مختلفة، في مكتب فتح في شارع السعدون، حيث عينت عضوًا في قيادة لجنة الإقليم، إلى جانب أبو طارق الشرفا وجعفر الصادق، ومن تلك المهام الإعلام وتولي مسؤولية مكتب «الجبهة العربية المساندة لحركة فتح في العراق» وكانت تشمل 16 مكتبًا تمتد من البصرة إلى الموصل.

لقاء وفتوى السيد محسن الحكيم

|| **نزيه أبو نضال**: كنت في بغداد أقوم، كما قلت، بمهمات متعددة، وفق احتياجات الحركة، إضافة إلى التثقيف السياسي اليومي في المعسكر. وحين اقترب موعد عيد الأضحى، وبناء على تعليمات مركزية طلبت مني قيادة فتح في العراق، بصفتي مسؤول «الجبهة المساندة لفتح» ولكوني دارس أدب عربي، وأعرف جيدًا، كما أبدو، القرآن والحديث والفقه، أن أقابل السيد محسن الحكيم في النجف، وهو المرجع الأعلى للشيعة في العالم، لأخذ فتوى منه، بأن تكون أضاحي العيد ذلك العام بديلاً ماليًا أو عينيًا يقدم إلى حركة فتح. ومعروف أن الشيعة في أي مكان عندما تصلهم فتوى من مرجعهم الأعلى في النجف يلتزمون بها بالكامل.

وهكذا توجهت إليه ومعي عاطف أبو بكر، الذي كان وقتها في بغداد يكمل دراساته الجامعية. لم يكن أحد في العراق، عدا عاطف يعرف بأنني مسيحي، قال لي ضاحكًا: كيف ستتصرف يا نصراني؟ قلت له: اصبر علي، سيكون المسيح، وهو الفدائي الأول، معي.

وكنت أحمل معي جهاز تسجيل كي نأخذ حديثًا مسجلاً لإذاعة صوت العاصفة. بعد مرورنا على أكثر من شخص للتدقيق الأمني والسؤال عن سبب الزيارة أدخلونا عليه. مهابة غير عادية، حوله أكثر من شخص وعدة مسجلات.

بعد التحية أخبرته من نحن وماذا نريد، وما طبيعة الفتوى المطلوبة لدعم المجاهدين، مستشهدًا بما أحفظ من آيات وأحاديث، ولم يكن كما بدا خالي الذهن عن واقع الحال الفلسطيني وعن حركة فتح وقياداتها. فأخذ الميكرفون وبدأ يسجل على مسجلنا وعلى عدة مسجلات حوله لغايات توثيق الكلام، وتوثيق الفتوى. شكرناه مودعين ومعنا الشريط المسجل، وفوراً إلى بغداد، ومن بغداد انتقلت نسخة من الشريط إلى إذاعة الثورة في القاهرة، وتم بث الفتوى أكثر من مرة.

أنذاك كان مقدار الاستماع إلى إذاعة صوت العاصفة الأعلى بين المحطات العربية، البلاغات العسكرية والبيانات السياسية وأناشيد فتح والثورة الحماسية والرسائل المشفّرة إلى الداخل: (من أ ج إلى س ع العصفور فوق الشجرة. من ي إلى الأمين، الله معكم)، ثم يبدأ الخيال العربي بفك الألغاز المشفرة وانتظار المفاجآت.

أذكر أن السيد محسن الحكيم، أصدر الفتوى يوم الأربعاء، قبيل عيد الأضحى وبثت في نفس اليوم، ثم كان الطوفان على مكاتب فتح ومكاتب «الجبهة العربية المساندة» لفتح قبل إغلاقها: أموال وذهب ومجوهرات وهدايا ثمينة ومواد عينية بلا حدود: بطانيات، تمر، أرز، سكر، معلبات، مواد تموينية، ولا أعرف ماذا. كل واحد كان يتبرع لفتح بقيمة ما كان سيضحي به. وأخذت قوافل من الشاحنات تنقل التبرعات من بغداد إلى الأغوار في الأردن، وبعد سد حاجات المقاتلين، كانت الأشياء الفائضة تباع للتجار بمبالغ طائلة.

| زياد مني: واضح أن موقف الشيعة كان دائمًا مع فلسطين من العراق إلى لبنان. يجب تأكيد أن هذا أمر طبيعي لا يستحق أي تنويه، لكن في ظل التحريض المذهبي المتخلف والبغيض في هذه الأيام، وخاصة من لبنانيين تربوا في كنف فتح المتخلفة، تأكيد هذا الموقف صار مهمة ضرورية وطنيًا وقوميًا. لقد وقف الشيعة في لبنان[2]، والعراق، مع الحركة الوطنية الفلسطينية من دون شروط، هذا رغم «التجاوزات» الخطيرة التي كان بعض عناصر فتح ومسؤوليها يمارسونها، خصوصًا في جنوبي لبنان.

| **نزيه أبو نضال:** منذ كنت أشارك بالعمليات القتالية من جنوب لبنان، منذ أوائل العام 1968 كانت حاضنتنا هناك هي الجماهير الشيعية، كما كانت حاضنتنا في بيروت الجماهير السنية، وجبل كمال جنبلاط الدرزي، والمسيحيون القوميون والتقدميون في الأحزاب اللبنانية من شيوعيين وقوميين سوريين وغيرهم.

الكرد وفلسطين

| زياد مني: أظنك تريد الحديث عن موقف الأخوة الكرد أيضًا.

| **نزيه أبو نضال:** وهناك في العراق كل جماهير العراق وأخص بالذكر الأكراد، وأنا أتذكر، حين كنا في مكتب فتح ببغداد، هجوم المتطوعين الأكراد

(2) من الضروري تأكيد وقوف موسى الصدر مؤسس حركة «أمل» غير المحدود مع الحركة الوطنية الفلسطينية وتأثيره في الجماهير الشيعية في لبنان للوقوف إلى جانبها، مع أنه في الوقت نفسه كان محاربًا لا يعرف الهوادة ضد الفكر اليساري والشيوعي. لكن الكلمات لا تكفي لضرورة تأكيد وقوف الطرفين بلا حدود وبلا شروط إلى جانبنا، رغم إساءتنا إلى هذه الثقة على نحو مفجع.

من أحفاد صلاح الدين الأيوبي الذين جاؤوا ليقاتلوا مع «فتح»، وكانوا يصطفون بالدور، على امتداد 3 أو 4 كيلومتر، الناس يسجلون أسماءهم وعناوينهم كي يذهبوا ويقاتلوا في فلسطين، وكان الكثير من الأكراد مؤهلين للقتال حتى عسكريًا.

| زياد مني: لقد شارك الكرد حقًا في صفوف الحركة وكثير منهم سقط دفاعًا عن «الثورة المغدورة». التقيت كثيرًا منهم في لبنان وسمعت منهم عن معاناتهم. لكن فتح معروفة بأنها «تأكل ابنائها». لقد تخلت القيادة عن كل من وقف معها، من التنظيمات الثورية في الغرب إلى (الجيش الأحمر) الياباني، إلى (جيش التحرير الشعبي التركي)، إلى التنظيمات الكردية . . إلخ[3].

|| **نزيه أبو نضال:** إن أحدًا لا يمكن أن يتخيل حجم الاندفاع العربي والديني من أجل تحرير فلسطين! ولو كنا آنذاك نمتلك القوى القادرة على استيعاب وتنظيم كل هؤلاء الناس في معركة التحرير ربما تغير تاريخ المنطقة والعالم. ولكن النظام العربي وقف بين الناس والثورة، وبين الثورة وفلسطين. فكان أن تآكلت الثورة في اشتباكات ملتبسة، إقليمية وطائفية، داخل الأحياء والزواريب الخلفية.

في عمان، وتحديدًا في جبل النظيف كانت شقيقاتي مع نساء تنظيم فتح قد بدأن مع إطلالة فصل الشتاء بصنع كنزة الفدائي، كان معظم سكان الجبل آنذاك من الشرق - أردنيين وكانت النساء تتبارى على صنع أكثر من كنزة وتضمين كل منها رسالة إلى فدائي مجهول من أم أردنية، لكن ممارساتنا وسياسات أجهزة النظام وضعت الناس في خنادق متقابلة كما سنرى.

إغلاق مكاتب «الجبهة المساندة»

لاحقًا صدرت أوامر السيد النائب صدام حسين بإغلاق مكاتب «الجبهة المساندة» لحركة فتح فقمت بزيارة بعضها في البصرة والموصل والنجف والكوفة وكربلاء، مع بعض قيادات الإقليم وإغلاقها في احتفال وداعي مؤثر.

(3) قبل اندلاع ثورة الساندنيستا في نيكاراغوا، حضر وفد منهم إلى بيروت طالبًا من قيادة فتح الدعم بمختلف انواعه، لم تكترث بهم ولم تقدم لهم المطلوب. بعد انتصارهم، صارت تحكي عن «المصير المشترك» و و و.

| زياد منى: في هذه المناسبة أدلى صدام حسين التكريتي بأنه صعد إلى السلطة على اسم فلسطين ولن تسقطه فلسطين منها، فأمر بإغلاق مكاتب الجبهة المساندة؟.

أبو جعفر الصادق والكفار!

حين توجهنا إلى الجنوب لإغلاق عدد من المكاتب كان معي أبو جعفر الصادق نائب معتمد «فتح» في العراق وأبو جلال المسؤول المالي لها في بغداد. خلال الطريق لا أدري كيف ذكر اسم جورج حبش فقال أبو جعفر: هذا جاسوس!. الأميركان شغلوه وهو في الجامعة الأميركية. لم يهن علي أن يقال عن زعيم حركة القوميين العرب التي كنت عضوًا فيها مثل هذا الوصف، فقلت: جورج حبش مناضل عربي، وإن اختلفنا معه. لكن أبو جعفر وتابعه في المال أبو جلال أصرا على أنه جاسوس، وعلى أن كل المسيحيين جواسيس، فشعرت بالخطر يقترب من رقبتي فاحتميت بميشيل عفلق كزعيم أعلى لحزب البعث الحاكم في العراق . . فأفهموني أن كل دعاة الفكر القومي جواسيس، قلت لنفسي: ليس لك إلا جول جمال الاستشهادي السوري المسيحي الذي فجّر قاربه بالبارجة الفرنسية جان دارك. فعسى إذا اكتشف أمري لاحقًا أن أكون ثاني مسيحي عربي ليس جاسوسًا، ولكن استشهاد جول جمال لم يشهد له، قال أبو جعفر بسخرية: [إنت بترد على هالحكي! حط بالخرج]. ولم أدري بالضبط ما هذا الذي [أحطه بالخرج].

ولأنني كنت في حال الدفاع عن النفس، وعليه قد يهدر دمي، فقد تابعت مستعينًا بالتاريخ: طيب وعيسى العوام الذي حارب مع صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، قالوا: [هاي سواليف حصيدة].

فتذكرت واحدًا من كوادر فتح الذي كان من أوائل سُجناء فتح من عرب ال48، واسمه وليَم نصّار. وكان قد أطلق سراحه لاحقاً مع أبو علي مهدي بسيسو، في عملية تبادل أسرى بعد أن سجن لمدة 12 عامًا.

| زياد منى: وليم نصار، الذي تولى قيادة القاطع البحري الغربي خلال حصار 82، عند الجامعة الأمريكية؟. التقيته في بيروت بعد تحريره من سجون العدو وقلت له إنه كان واحدًا من الرموز التي حمستنا للانخراط في الثورة. وأظن أن الأخ الراحل هايل عبد الحميد (أبو الهول) بادلهما مع العدو بالعميلة أمينة المفتي.

| **نزيه أبو نضال:** نعم إنه هو. قلت لأبو جعفر الصادق متباهيًا: وماذا عن وليم نصار؟ مناضل فتح! ومن أوائل سجنائها من أجل فلسطين!! ولكن لا حياة لمن تنادي!! (No Way).

ولعل هذه الواقعة الغريبة، وهي ليست الوحيدة التي واجهتها، تكشف كم كانت أعداد من قيادات وكوادر فتح الأولى تنظر بعداء شديد لكل ما له علاقة بالفكر القومي، أو له علاقة بأي دين آخر أو طائفة أخرى.

بعد سنوات خضنا، كما سنرى، معركة ضارية في الإعلام ضد البرنامج المرحلي، وقد التف شباب الإعلام حولي وحول أبو ثائر (حنا مقبل) ضد عبد الله الحوراني وفرضوا عليه مقاطعة كاملة. فحضر ياسر عرفات إلى الإعلام مهددًا: [مين دول غطاس وحنا اللي ماشيين وراهم]؟.

لم يقل أبو نضال وأبو ثائر، بل كشف أسماءنا الحقيقية، لإثارة نوع من التعصب الديني ضدنا[4].

ممنوع التبرع للمقاومة

| زياد منى: وماذا حصل بعد إغلاق مكاتب «الجبهة المساندة»؟.

كانت أوامر السيد النائب صدام حسين تقضي إلى جانب إغلاق مكاتب «الجبهة المساندة» بمنع المنظمات الفدائية من استلام التبرعات من العراقيين، ونصت التعليمات الجديدة أن تقدم التبرعات مباشرة إلى مكتب فلسطين في حزب البعث، ثم يقوم المكتب لاحقًا بتوزيع التبرعات بمعرفته على المنظمات الفدائية.

وأذكر كيف كان العراقيون وعجائز عراقيات يتسللون إلى مكتب فتح ليلا للتبرع بالمال ثم يتوارون بسرعة عن الأنظار. رافضين مجرد استلام إيصال بالمبلغ. أذكر مرة كيف تسللت امرأة عجوز إلى مكتب

(4) زياد منى: حسنًا سابوح لك بسر لم أكن أجرؤ على الحديث عنه من قبل، من شدة خجلي. في أثناء المعركة الكبرى ضد القائد العام، وكلما كان يطرح اسمك واسم كل من الأخ الكبير ناجي علوش والمرحوم حنا مقبل، كان بعض المولتورين يقولون: هدول كفار، بدهم يدمروا فتح. بالمناسبة بعض من كان يردد هذا صاروا من أكبر حلفاء «أبناء العمومة». شي مخز. واذكر أن القائد العام كان يستعين بهكذا خطاب فقط عندما لا يملك أي سلاح آخر. أذكر أنه حادث مرة أبو ثائر باسمه الحقيقي «بتقول إيه يا حنا؟! كنت فين أيام السنوبال؟ وهو نوع من البنادق القديمة، وذلك تعليقًا على مقال كان كتبه ضد التسوية وكان عنوانه «المجد للكلاشينكوف». لكن في الوقت نفسه أعلم أنه كان حريصًا على زيارة مسيحيين من حركة فتح في بيوتهم في أعياد الميلاد، رغم اختلافهم معه. لا بد من قول إنه كان من هذه الناحية رجل علاقات عامة من الطراز الأول.

فتح ليلاً كي تتبرع سرّا. قالت: لا اثق بغيركم كي يوصل التبرعات إلى مجاهدي فلسطين[5].

قتل موزع المنشورات

|| **نزيه أبو نضال:** في بغداد اعتقل تنظيم فتح شاب من الزرقاء كان يوزع مناشير في التجمعات الفلسطينية في العراق لصالح الحاج أمين الحسيني، وأحضروه إلى «معسكر منعم»، باعتباره متآمرًا على القضية الفلسطينية! حيث تم احتجازه في غرفة هناك. كان أبو الزعيم آنذاك قائد المعسكر، وخلال التحقيق والتعذيب والضرب الأهوج مات. يبدو أن الشباب الذين حققوا معه لا يعرفون شيئًا لا في كيفية التحقيق ولا حتى وسائل التعذيب. فقط ضرب ومخابطة. وبعد أن تأكدت وفاته وقعنا في حالة رعب شديد. إنها جريمة قتل في المعسكر، ونحن مسؤولون عنها، اتصلنا بممثل فتح في العراق أبو طارق، لمعالجة الأمر.

جاء أبو طارق وحين علم بما حدث صار وجهه أصفر كالموت، قال وهو يرتجف: اطلبوا لي أبو عدي (صدام حسين)، وكان آنذاك نائب الرئيس أحمد حسن البكر.

أضاف: لازم أحكي معه لنعرف ما الذي يجب أن نفعله. اتصل الشباب بأكثر من عشرة أمكنة يمكن أن يكون السيد النائب موجودًا فيها، وكانوا يتركون خبرًا بضرورة الاتصال بأبو طارق في معسكر فتح، وجلسنا ننتظر اتصالاً من صدام، في النهاية اتصل، فتناول أبو طارق الهاتف ووقف احترامًا، قال صدام: ماذا هناك؟ ما الذي حدث؟ لماذا تقلبون الدنيا علي؟ أينما أذهب يقولون لي إنك اتصلت، ماذا هناك؟.

قال أبو طارق: سيدي الشباب كانوا يحققون مع أحدهم، ويبدو أن عنده

(5) زياد مني: تذكرني هذه المرأة العراقية العجوز، بحكاية عجوز تونسي رواها أكثر من مصدر: «بعد صمود بيروت في مواجهة اجتياح ال 82 تفجر لدى التونسيين حماس كبير، عجوز تونسي ايام الحكم بلعاوي في تونس، حضر إلى مكتب منظمة التحرير، ومعه كل ما يملك من مال ليتبرع به، فذهب احد شباب المكتب إلى حكم بلعاوي وقال له: يوجد رجل تونسي ختيار اتى ليتبرع بكل امواله لفتح، ويحب أن يراك. فقال بلعاوي: أعطه وصلا بالمبلغ. قال الشاب: ولكنه يرغب في أن يراك لتحكي له قليلا عن فلسطين. رد الحكم: اذهب وقل له يضب فلوسه، نحن لا نريد مصاريه، ولا انا فاضي له لأحكي عن فلسطين»، والله اعلم. المسالة هنا ليست صحة الحدث من عدمه وإنما موقف القاعدة من المسؤولين. مرة اخرى، الاسم مش مهم، الأساس التصرف، وعقلية القيادة.

القلب أو مشكلة ما، فمات بين أيديهم، ولا نعرف ماذا نفعل، نحن محتارون، نريد توجيهاتك ورأيك ومساعدتك.

كان مرتبكًا وهو يرتجف، وكنا ننظر إلى أبو طارق ولا نسمع ما الذي يقوله صدام، (علمنا بعد ذلك).

قال أبو طارق كأنه يتحدث من القبر: يعني هذا رأيك؟.

قال صدام له: نعم.

ثم أغلق الخط . كان أبو طارق واقفًا، فسقط مذهولاً على الكرسي.

سألنا أبو طارق بفضول: ما الذي حصل يا أبو طارق؟. ما الذي قاله صدام لك؟.

رد بصوت مرتجف: قال لي: [إنتو داوشين الدنيا مشان هالشغلة؟! اربطوا رجليه بحجر وارموه بدجلة، وخلصت القصة].

لاحقًا كان يقال، في أوساط الحزب الشيوعي العراقي، إن عشرات الشيوعيين كانوا يختفون هكذا في نهر دجلة.

ولكننا عالجنا المسألة بصورة مختلفة، حلت على طريقة فتح، وذلك بالإعلان أن هذا الشاب جاء ليتدرب، ويوجد عادة مقدار3% يستشهدون خلال التدريب، وكان هو من بين هؤلاء.

وصدر بيان باستشهاد الشاب على درب التحرير، وصرف لأسرته راتب شهري كأحد شهداء الثورة، وأرسل جثمانه بمراسيم كاملة إلى أهله بالزرقاء، وانتهى الموضوع بهذه الطريقة.

ولو ترك الأمر مجهولاً والشاب مختفيًا فلنا أن نتخيل حجم قلق وعذاب أسرته، وكم سينتظرون وهم يتقلبون على نار الشكوك والأسئلة والاحتمالات والحكايات المتعددة، وهذا ما حدث مع عائلة صديقي عبد الله يانس، الذي لم يعرف أحد أنه استشهد، حيث لم يعلن عن استشهاده في معركة الكرامة. فقد جرى الإعلان عن 23 شهيدًا فقط، وعرفت أسماؤهم، وجرى تشييع جثامينهم في عمان، وذلك كي لا يشكل إعلان الرقم الحقيقي صدمة للجماهير الفرحة بالانتصار، فيما كان العدد الفعلي الذي أعلن بعد وقت طويل 97 شهيدًا بمن فيهم عبد الله يانس، الذي لم يعلن اسمه آنذاك، وتلوّع أهله طويلاً، لا يعرفون اكان حيًا ام ميتًا.

وفي أحد الايام وصلت إلى معسكر منعم في بغداد رسالة من صديقي آنذاك هشام يانس، من دون أن يعرف شيئا عن وجودي في العراق، تقول رسالته:

سمعنا أن عبد الله يانس، الفدائي في حركة فتح موجود في بغداد، هل من الممكن أن تفيدونا بأي خبر أو معلومة عنه، فأمه وأسرته في غاية القلق عليه.

ولكن أنا الذي أعرف لم أستطع أن أخبرهم وقتها أنه مات شهيدًا في الكرامة، لأن هذا الأمر كان من أسرار الحركة العليا، فعدد شهدائنا في معركة الكرامة لا يجوز أن يعرفه أحد، ولم تكشف الأرقام الحقيقية إلا بعد مرور زمن طويل عليها.

أبو سلمى في بغداد

وصل ناجي علوش إلى العراق للمشاركة في مؤتمر الأدباء العرب السابع الذي عقد في بغداد عام 1969، وقبل الحديث عن هذه الزيارة وما خلفته من نتائج هامة بالنسبة لي، أحب أن أروي الواقعة التالية التـي حدثت مع شاعر فلسطين الكبير أبو سلمى والتـي شهدتها بنفسي حين كنت أحضر بعض فعاليات المؤتمر الشعرية.

جرت الترتـيبات قبيل إلقاء القصائد بأن الجهة الرسمية المنظّمة تأخذ نسخ القصائد المراد إلقاؤها، لتقوم بنسخها وطباعتها لاحقًا، وكان الشعراء يسلمون قصائدهم بطيب خاطرٍ، عدا أبو سلمى الذي أصر على إلقاء شعره أولاً ثم يعطي نسخاً منها للمنظمين.

قالوا له: ولكن كل الشعراء أعطونا نسخًا من قصائدهم قبل إلقائها.

قال: كل شاعر حر بما يفعل. بالنسبة لي اعتبر هذا الترتـيب رقابة مسبقة على الشعر لا أقبل به.

قالوا: موقفك هذا سيحرج الجميع: الشعراء والمنظّمين.

رد بهدوء: وحتى لا أحرج أحدًا فلن القي شعرًا في المؤتمر. وهذا نهائي بالنسبة لي.

وكان غياب أبو سلمى يعنـي غياب فلسطين شاغلة الناس وضميرهم، وكان الناس يعرفون جرأة أبو سلمى الشعرية ويحفظون قصيدته الشهيرة الموجهة إلى الملوك والرؤساء العرب:

انــشــر عــلــى لهــب القصيد   شكوى العبيد إلى العبيد

وكان الجميع ينتظرون جديد أبو سلمى في زمن الثورة . . فكان أن اضطر المنظمون أن يلقي أبو سلمى شعره من دون رقابة.

ناجي علوش

كان ناجي علوش آنذاك كادرًا متقدمًا في حركة فتح وبالذات في إعلام فتح المركزي مع كمال عدوان. وحين زارنا في معسكر منعم التقيت به مطولاً وحدثته عن تجربتي في معسكرات فتح وعن برنامج التثقيف السياسي الذي أقدمه، وفرح كثيرًا حين عرف أن بعض كتبه مقررة في منهاج الدورة، وبأن كتابه «المقاومة العربية في فلسطين» مصدر أساس في التثقيف حول تاريخ فلسطين والخلفية التاريخية للثورة الفلسطينية المعاصرة. ولا شك في أن خلفياتنا الفكرية وانتماء كلينا للنهج القومي التقدمي قد جعله يعرض علي فكرة كان يجري آنذاك تداولها لدى قيادة الإعلام لافتتاح معسكر تدريب لكوادر فتح المتقدمة لغايات التثقيف السياسي والفكري والعسكري، وسألني عن مدى استعدادي لتولي هذا المشروع، فوافقت على الفور عسى أن أتمكن من تحقيق حلمي ببناء تجربة جديدة في التدريب تعتمد أسلوب النقد والنقد الذاتي، مستفيدًا من التجربة الطويلة والمرّة التي عشتها في معسكرات فتح، متدربًا ومدربًا ومفوضًا سياسيًا. وقد علمت لاحقًا من خالد أبو خالد أنه هو من رشحني عند كمال عدوان وناجي علوش لهذا الموقع.

واتفقنا أنا وناجي أن يتم الاتصال بي لاحقًا، بعد ترتيب الأمور مع قيادة فتح العسكرية . . فكان أن وصلتني بعد أيام من قيادة فتح برقية على شبكة الاتصالات الحركية: احضر إلى عمان فورًا.

معسكر ال99

| زياد مني: حدثنا عن تجربة معسكر ال99، ومصدر الاسم من فضلك.

|| **نزيه أبو نضال:** التقيت بكمال عدوان في إعلام فتح بجبل اللويبدة قبل انتقاله إلى جبل الحسين، وكنت قد وضعت تصورًا كاملاً لتجربة التدريب الجديدة: المنهاج السياسي والعسكري، فكرة المعسكر، وكيفية بنائه، مؤكدًا فلسفته الأساس التي تقوم على النقد والنقد الذاتي، ويمنع فيه أي شكل من أشكال العقوبة.

قال كمال عدوان بعد أن أصغى بانتباه: هذه فكرة مستحيلة التنفيذ، لا يوجد معسكر في الدنيا يمكن أن ينضبط ويسير إلا إذا كان فيه ضوابط عقوبات حد أدنى، يعرف الشباب أنهم إذا تجاوزوها يتعرضون للعقوبة.

قلت له: لا، أنا لن أتولى قيادة معسكر فيه عقوبات، وعندي الثقة بأن

التجربة الجديدة ستنجح. وحدثته عن خبرتي ومشاهداتي الطويلة في حقل التدريب، وما يحدث في معسكرات فتح من مآسي وكوارث، من الهامة إلى ميسلون إلى بغداد.

قال لي: أنت قائد المعسكر وأنت الذي سيخسر، لكن ما رأيك أن تبقي قرار العقوبات بيدك؟ استعمله إن كنت تريد، ولزم الأمر، وإن كنت لا تريده أو لم يلزم فلا تستعمله.

قلت له: لا، أنا أخشى إذا امتلكت القرار أن أستعمله بلحظة غضب، ولهذا فحتى هذا الحق بأن أخبئه في جيبي، وكأنه سلاح سري، لا أريده.

رفع يديه مستسلمًا وقال لي: أنت حر، هذا معسكرك وهذه تجربتك، تفضل وباشر.

فبدأت أحضّر لاختيار مكان المعسكر، واحتياجاته، ووجدت المكان المناسب قريبًا من عمان، كان بين بلدتي وادي السير وماحص، وهو عدة مغاور وشجر يغطي مساحات التدريب، ويخفيها عن طائرات العدو (لاحقًا حين أقمنا معسكر ال99، في مكان قريب، تعرض للقصف لافتقاده إلى مثل هذا الشجر الكثيف الذي حمانا يومها من القصف). في إطار تجهيز معسكر 99 طلبت اثنين لمساعدتي كمدربين، أحدهما اسمه جيفارا والآخر أنطون، وكنت قد دربتهما في معسكر الهامة، وأعرفهما جيدًا وأثق بقدراتهما العالية كثيرًا، والأهم أنني أثق بتجاوبهما مع التجربة الجديدة. ثم لم يلبث بعد ذلك أن انضم أبو نائل (عبد الفتاح القلقيلي) كنائب لقائد المعسكر.

وكان أن بدأت بهؤلاء: بفكرة وبمدربين، ولا أحد غيرنا على الإطلاق، كان علينا أن نعد ونجهّز معسكرًا كاملاً، بما فيه أسلحة الحراسة وذخائر ومتفجرات وأنواع أسلحة ورشاشات التدريب، ومستودعات تجهيزات الملابس والأحذية الرياضية والتموين والتحميل والمطبخ والجلي والتنظيف ونقل الماء، وسيارة جيب قديمة كثيرة الأعطال كان يقودها أنطون، وفشلت في تعلم القيادة عليها. عادة يكون في معسكرات التدريب كادر متفرغ للمهمات الإدارية، ولكنني قلت يجب أن نعتمد على أنفسنا، وعلى الشباب الذين سيأتون للتدريب، عليهم أن يكونوا مسؤولين وأن يتولوا حمل مهماتهم كاملة، هم الذين يطبخون، وهم الذين ينظفون، وينقلون المواد والمياه من بئر بعيد نسبيًا، وكان ثمة مسافة جبلية وعرة تفصل المعسكر عن آخر نقطة تستطيع سيارة الجيب الوصول إليها، وبات من مهمات الدورات المتعاقبة شق طريق سيارة إلى المعسكر، وهذا ما تحقق بالفعل. وسارت الأمور جميعها بأفضل مما خططنا بكثير، كانت

تلك عبقرية العمل الجماعي. ولعل ما ساعد على إنجاح التجربة أن مستوى الكادر الذي كان موجودًا، بشكل عام، كان مرتفعًا: من مسؤولي التنظيم في أنحاء العالم من أمريكا ومن المغرب ومن الخليج والسعودية، حضر معظم الكادر القيادي لتنظيم فتح في العالم للمرور بهذه الدورات، وكان أقل مستوى للمشاركة عندنا كان تنظيم طلبة الجامعة الأردنية، وقد أتعبونا قليلاً لأنهم نقلوا إلى المعسكر سلوكيات الطلبة مع معلميهم، ولكننا تمكنا من استيعاب الأمر ومعالجته. هذا المستوى من المشاركين ساعدنا على اختبار التجربة وإنجاحها من دون صعوبات حقيقية.

كان برنامج الدورة موزعًا على عدة فعاليات تبدأ بالرياضة الصباحية وتمارين اللياقة البدنية وكانت تتم بشكل تدريجي، إلى جانب المسيرات ثم التدريبات العسكرية، وطوابير الإزعاج الليلية، ودروس العلوم العسكرية: التكتيك والاستراتيجية، والمحاضرات الفكرية والسياسية، التقنيات العسكرية المتقدمة: صواريخ، متفجرات، شراك خداعية، ألغام . . إلخ.

وكان واحد من قادة فتح يحضر كل يوم للحديث عن الوضع السياسي العام ومواقف حركة فتح ثم يجيب عن أسئلة كوادر الدورة القادمين من مختلف أنحاء العالم. وكان من بين أكثر المشاركين ياسر عرفات وأبو اللطف وخالد الحسن وأبو إياد وكمال عدوان وناجي علوش وماجد أبو شرار وأبو حاتم، وبالطبع إضافة لي ولأبو نائل.

خلال إحدى اللقاءات سأل أحد الشباب أبو عمار: ما ضمانة أنكم بعد كل هذه التضحيات والشهداء لن تذهبوا إلى تسوية مع الأعداء؟.

فما كان من أبو عمار إلا أن سحب مسدسه الباربللو بهدوء، وأخرج منه رصاصة، وقدمها للسائل قائلاً: إذا فعلت ذلك! أنت مكلف بقتلي بهذه الرصاصة.

يوميات المعسكر

في اليوم الأول للدورة كان يقدم للشباب المنهاج الكامل للمعسكر مع برنامج التدريب التفصيلي وتوزيع المهمات، كما كانت تطرح عليهم تجربة معسكر ال99 الجديدة باعتماد النقد والنقد الذاتي، ويمنع أي شكل من أشكال العقوبة، ومن يخرج على المنهاج يكون قد اختار مغادرة المعسكر، ومن حقه أن يفعل ذلك في أي وقت.

ولمتابعة طبيعة العمل لتنفيذ منهاج المعسكر نقدم عينة من تجربتنا: بعد نهار طويل من التدريبات المختلفة نجتمع كل مساء حيث نبدأ بجلسة النقد والنقد الذاتي، فمن كان قد أخطأ خلال النهار، ابتداء من قادة المعسكر يقف ويعتذر عما فعل، ويختار لنفسه العقوبة التي يراها، كأن ينقل من البئر البعيد كمية من الماء، زيادة على المطلوب منه أو يضع على نفسه مهام إضافية في الطبخ أو الكنس أو تنظيف المغاير أو بمضاعفة نوبة حراسته، أو يترك لقيادة المعسكر تكليفه بأي مهمة تراها لازمة، وذلك تكفيرًا عن الخطأ الذي ارتكبه.

هكذا كان يمارس النقد الذاتي من كادر المعسكر ومن المتدربين، ولكن لم يكن مسموحًا أن ينتقد أي شخص شخصًا آخر من عناصر الدورة. المسموح فقط انتقاد كادر المعسكر، وعلنًا، ولكن بعد أيام من ممارسة التجربة، يسمح لمن رغب من عناصر الدورة أن ينضم إلى كادر المعسكر لتقبل النقد من الآخرين، وليس ممارسة النقد الذاتي فقط. وخلال أيام نجد عناصر المعسكر كلهم أصبحوا مستعدين لينتقدوا أنفسهم نقدًا ذاتيا وتحمل نقد الآخرين لهم؛ وبسبب ما يضعه عناصر الدورة على أنفسهم من عقوبات، حلت مشكلات كثيرة من العمل المطلوب في المعسكر، فكان أن تحسن مستوى الأداء العام بإنجاز المهام المحددة في خطة تقسيم العمل.

غناء ودبكة

| زياد منى: في معسكر بئر حسن، كان رقص الدبكة والغناء الشعبي جزءًا من التدريب، فهل كان ذلك في المعسكر عندكم؟.

| | **نزيه أبو نضال:** لم تكن أمسيات المعسكر تقتصر على النقد والنقد الذاتي بل كانت تتضمن فعاليات ثقافية وقراءات شعرية وغناء تراثي ورقص فولكلوري على إيقاع الأغاني الشعبية، وكان المدرب أنطون راقصًا ماهرًا ويتقن العديد من الدبكات الفلسطينية. وكان في الأمسيات يقوم بتعليمها للشباب الذين يتفاعلون معها بحرارة. وخلال التعليلة الليلية تقرر ما يشبه درسًا إجباريًا للدبكة الشعبية . . ينتشي الشباب مع الإيقاع القوي للدبكة، ومن خلال ارتباطهم الحميم بالتراث الفلسطيني، كان المكان يتوهج بروح جديدة، ولعلهم يحسون بصورة غامضة أنهم قد باتوا أحرارًا، فتتألق عيونهم بالكبرياء. في نهاية الأمسية يكون الوطن قد صار أقرب.

الطيار الذي انسحب

كان الخيار مفتوحًا للمشاركين في الدورة بالانسحاب من المعسكر في أي وقت يشاء، ولعلنا نذكر الهروب الجماعي لمتطوعي حماه. في تجربتنا الجديدة واحد فقط من الستمئة كادر الذين مروا على ال99، غادر المعسكر، لعدم اقتناعه بالتجربة. كان المنسحب كابتن طيار من طولكرم، حضر عدة أيام وربما أسبوع، ثم انسحب، وبالطبع نستطيع أن نقدر وضع طيار في زمن الستينيات، وكيف يمكن أن يكون مدللاً بين المضيفات والمضيفين، والركاب يصفقون له عند كل هبوط مريح، إلخ . . فتحول بالآخر أن ينزل من عليائه ليطبخ وينظف، يبدو أن الحال لم يعجبه، فانسحب.

بعد ذلك بأشهر، هذا الطيار زارني في إعلام فتح، وقال لي: جئت خصوصًا لأراك. هل تعرف أني بحياتي لم أندم على شيء بقدر ندمي على ترك المعسكر؟. وأقسم بالله كلما تذكرت تلك الأيام وذلك المكان، أقول لنفسي: ما هذه الحماقة التي ارتكبتها؟. إذا كان هناك ما يشبه أيام أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وإذا كان يوجد حياة نبيلة ونظيفة وشريفة وعلاقات إنسانية صحيحة، فهي في هذا المعسكر، وأنا بحماقتي الشديدة تركته.

كان هذا الوحيد الذي انسحب من المعسكر وهكذا كانت ردة فعله عن التجربة.

أبو نائل (عبد الفتاح القلقيلي)

| زياد مني: وماذا عن التثقيف السياسي والفكري في المعسكر؟. أعلم أن الاخ العزيز أبو نائل كان له دورٌ متقدمٌ في هذا المجال متعلق على نحو أساس بأسلوبه المميز.

|| **نزيه أبو نضال:** انضم أبو نائل (عبد الفتاح القلقيلي) لاحقًا إلى قيادة المعسكر، كما ذكرت، وكان قادمًا من تنظيم السعودية، وشكّل عونًا كبيرًا للتجربة وأبدى، رغم افتقاده للخبرة في هذا المجال، تفهمًا واعيًا لها، وقد تولى موقع نائب قائد المعسكر، ثم فُرز لاحقًا لتولي قيادة معسكر ال99 الذي قام على ذات الأسس. بعد ذلك بقليل أرسل لنا شخص آخر اسمه أبو حسن (استشهد في قبرص لاحقًا على يد الموساد الإسرائيلي)، جاء كما قيل لنا كي يساعد بإعطاء محاضرات في حقل الأمن، طبعًا اكتشفنا لاحقًا أن أبو إياد

(صلاح خلف) أرسله «ليتجسس» علينا في المعسكر، وأبو حسن هو الذي أخبرنا لاحقًا بالسر، حين تعرضنا للمحاكمة، كما سنرى، لأنه، كما قال، أحبنا ووثق بتجربتنا التي رآها تجربة استثنائية بحق.

99 سؤالاً

| | **نزيه أبو نضال**: كان أساس برنامجنا كمعسكر كوادر لقيادات التنظيم يقوم على التثقيف الفكري والسياسي، كما كان من مهمات المعسكر أن يقدم تقريرًا تقويميًا عن كل منهم للقيادة، وكانت ستبنى عليه نتائج ستنعكس على بنية تنظيم الحركة، ولهذا كنا نعطي لكل كادر امتحانًا شاملاً، آخر الدورة، حيث يُطرح عليه 99 سؤالاً، ليجيب عنها.

ومن بين الأسئلة ما يكشف الجوانب المعرفية والمعلوماتية لدى الكادر كما يكشف آليات تلقي المعرفة وكيفيّات التعامل معها، مثل:

- ما الفرق بين فكر الإخوان المسلمين وفكر حزب التحرير؟.
- ما الفرق بين البعث والقوميين العرب والسوريين القوميين؟.
- ما عناصر الخلاف والاتفاق بين فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- ما قضايا الخلاف بين الحزب الشيوعي الصيني والحزب الشيوعي السوفييتي؟.

وقد تطرح أسئلة من طبيعة ثقافية عامة مثل من هو شوبان، بيتهوفن، ديكنز، خالد بن الوليد، ابن المقفع. باختصار أسئلة عن كل شيء في الدنيا، كان ذلك يثير اعتراضات البعض وكنا نوضح لهم في ختام الدورة فلسفة هذه الأسئلة.

كنا نقول للمعترض: لم يكن المطلوب أن يعرف الكادر من الذي ألف هذا الكتاب أو رسم تلك اللوحة . . إلخ. نحن نسألك وأنت تجيب، هناك شيء تعرفه وشيء لا تعرفه، عادي جدًا، لو أنك سألت كادر المعسكر ال50 سؤالاً من الممكن ألا يجيب حتى عن نصفهم، ليست مشكلة، لكنها أسئلة عامة تكشف مدى معرفتك ودوائر اهتماماتك، والأهم لنا هو كيف تجيب، وليس بماذا تجيب.

أستاذ من جامعة الرباط، غضب قائلاً: هذه ليست أسئلة، وما دخلي أنا بالخلاف داخل الحزب الشيوعي الصيني والسوفيتي حتى تسألوني عنه، اسألوني باختصاصي.

وكان ابو نائل، موجودًا، فسأله: ما اختصاصك؟.

قال: أدب عربي، لغة عربية.

فقال: يعنـي نحو أليس كذلك؟.

قال: تمامًا أنا أدرّس النحو في الجامعة.

قال له: حسنًا عرّف ما الفاعل؟.

غضب أكثر: أستاذ جامعة يدرّس النحو وتسأله أن يعرّف الفاعل!.

قال له: يا أخي السؤال يعكس جهل السائل وليس المسؤول، فأجبنـي على مستواي (خذنـي على قد عقلي).

أجاب متأففًا: الفاعل اسم مرفوع يدل على من فعل الفِعْل.

قال له: حسنًا، الحمد لله، والآن أنا سأسألك سؤالاً، أعرب: لم يضربْ زيدٌ عمرًا.

فأعرب «زيد» فاعلاً.

قال: ولكنه لم يضرب، فكيف يدل على من فعل الفعل.

فسقط الأستاذ الجامعي في حرج شديد.

قال له أبو نائل مخففًا: اسمع، لو قلت لك الآن اذهب وحضّر عشرة أسئلة واسألنـي أنا وأبو نضال فأكيد لن نعرف الإجابة عن خمسة منها على الأقل، هذه ليست مشكلة، المهم كيف تتعامل مع المسألة التـي تعرفها ومع المسألة التـي لا تعرفها، ثم من الممكن أن تفتح أمامك هذه الأسئلة أبوابًا، تحتاج إلى بحث كي أعرف الفرق بين الأخوان المسلمين والتحرير، هنا تصبح الأسئلة حوافز للمعرفة والتثقيف، قد لا نكون نعرفها الآن لكننا سنعرفها غدًا.

المعسكر الأوربي

| | **نزيه أبو نضال**: بموازاة فعاليات معسكر ال99 كانت تجري فعاليات المعسكر الاوربي جنوب عمان، وأيضًا بإشراف الإعلام والعلاقات الخارجية في الحركة، وكانا انذاك جهازًا واحدًا. وكان من قادة المعسكر الأوروبي أبو عمر (د حنا ميخائيل) واحمد الأزهري (فاروق القاضي) والدكتور محجوب عمر وأبو فادي (منـير شفيق عسل) وشقيقه الشهيد أبو خالد (جورج شفيق عسل).

وقد ارتأت قيادة الإعلام المطلة على تجربة المعسكرين أن ينضم المعسكر الاوربي ليلاً إلى ال99 ليشهد ويشارك في أمسيات المعسكر.

كان المشاركون من أعضاء المعسكر الأوروبي قد قدموا من مختلف أنحاء العالم، خصوصًا من اوربة، وكنت أحرص، بعد أن يطلعوا على تجربة النقد والنقد الذاتـي، وخلال امسيات السمر، ونحن نعرض تراثنا الشعبي من

الرقص والغناء أن تقوم المجموعات أو الأفراد الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة بتقديم عينات من تراثهم الشعبي أو ما يختارونه من غناء ورقصات، وكانوا يتحمسون لذلك منفعلين ومتفاعلين مع شباب المعسكر.

سألت ذات أمسية إذا كان منهم من يعرف أغنـية البحارة على نهر الفولغا وهي من التراث الشعبي الروسي وغناها الفنان الأميركي التقدمي بول روبسون، فقام بغنائها بأداء مدهش وجميل، أحد هؤلاء وكان يهوديًا فرنسيًا يساريًا، وحين ودعنا في نهاية الأمسية احتضنـني وهو يبكي بحرارة. كنا ننتمي إلى عالم واحِد.

في التقرير الذي كُتب عن «المعسكر الأوروبي» سجل إن أحد الأسباب المهمة لنجاح المعسكر الأوربي كان حضور المشاركين الأجانب فيه لتجربة معسكر ال99».

| زياد منى: كم كان عدد المشاركين في المعسكر؟.

| | **نزيه أبو نضال:** ضم المعسكر مجموعة دورات، وتستغرق الواحدة بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، ومجموع الذين مروا على المعسكر زاد على الستمئة وأقل منهم في معسكر ال99، ليصل العدد الكلي إلى زهاء الألف كادر من قيادات التنظيم الذين حضروا من كل بقاع العالم.

هذا عدا من انضموا إلى التجربة بعد ذلك من العسكريين (القطاع الأوسط) ومعسكرات التدريب العسكري (معسكر السخنة).

تجربة معسكر ال99 تتسع للقوات

| | **نزيه أبو نضال:** لم يقتصر الأمر على من ذكرنا من كوادر وقيادات التنظيم، فبعد النجاح المذهل للتجربة اتخذ قرار من القيادة العسكرية للحركة بأن تخضع قيادات وكوادر القوات العسكرية لنفس الدورة في معسكر ال99 لتحصيل المزيد من التثقيف الفكري والسياسي، وكذلك على ما يقدم فيها من خبرات عسكرية عالية، في حقول الصواريخ والمتفجرات والشراك الخداعية. وكان أول المشاركين قيادات القطاع الأوسط بقيادة بادي عواد، الضابط السابق في الجيش الأردنـي، وكان يحمل معه عصا غليظة. فكان أن ساله احدهم عن الهدف من حملها، فرد وهو يلوّح بها مهددًا: أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى.

| زياد منى: بادي عوّاد قائد القطاع الأوسط! قيل إنه كان يعلق الفدائيين من أرجلهم في أبار الماء، ولكن القائد العام احتفظ به ظناً أنه يضمن عبره ولاء بعض عشائر البدو الاردنية. قيل إنه عاد للجيش الأردني بعد معارك الأحراش. تاريخ ما بعده تاريخ!!.

|| **نزيه أبو نضال:** ثم تبين أن تجربة معسكر ال99 ستصطدم بالضرورة مع مثل هذه الذهنيات والعصا العسكرية، ما كان يستدعي المزيد من الجهد معها، ذلك أن الضابط القادم من مؤسسة عسكرية تقوم على الضبط والربط والأمر العسكري الحاسم: نفذ ثم ناقش، لن ينسجم بسهولة مع تجربة تقوم على الحوار الديمقراطي وعلى النقد والنقد الذاتي.

في معسكر السخنة

|| **نزيه أبو نضال:** ثم اتسعت التجربة بعد ذلك فكان أن انتقل كادر معسكر ال99 إلى معسكر التدريب في السخنة قرب الزرقاء، وكانت الدورة التدريبية العادية قد انتهت، وحددت مهمتنا بإعطاء المتدربين دورة عليا من خلال تجربة ال99 وخاصة في النقد والنقد الذاتي وفي التثقيف الفكري والسياسي، إضافة إلى التدريب العسكري العالي.

بقيت قيادة المعسكر القديمة، وفي مقدمتها أبو العبد خطاب الضابط القادم من جيش التحرير الفلسطيني من سورية، تتابع على مضض ما يقدم في منهاجنا الجديد، ولكن بالطبع لم يكن للقيادة السابقة أي صلاحية بالتدخل.

كان الوقت شهر رمضان المبارك، وعند الإفطار كنا نرى أواني المأكولات والحلويات الخاصة والمتنوعة تصل من الزرقاء إلى قيادة معسكر السخنة القديمة، وكنا بالطبع نرفض دعواتهم لنا لتناول الإفطار معهم.

كنا نصطف في آخر الطابور نحمل صحوننا مثل المتدربين ونأكل معهم من نفس الطعام. وقس على ذلك كل جوانب التجربة.

المحاكمة

| زياد مني: هل تقبلت القيادة القديمة هذه التجربة ؟.

|| **نزيه أبو نضال:** لا، ذلك أن الفارق النوعي بين سلوك قيادة التجربتين ما اوغر صدور قيادة المعسكر القديمة. فكان أن تقدم أبو العبد خطاب

بشكوى إلى قيادة قوات العاصفة ممثلة وقتها بابو صبري (ممدوح صيدم)[6] بأننا، أنا ونائبي أبو نائل، نلقّن شباب المعسكر مفاهيم هدّامة مضادة لفكر حركة «فتح»، وندس عليها مبادئ شيوعية وماركسية، وبما يمهد للانشقاق عنها.

وهنا تقدم كادر معسكرنا أبو حسن، وكان قد أمضى شهورًا معنا: قال لنا: يا جماعة أريد أن أقول لكم سرّا، ولا يصح طبعًا أن أكشفه، أنا أتيت إليكم في البداية بمهمة من جهاز أمن الحركة (الرصد)، لأراقب ما الذي تفعلونه وتقولونه للشباب، وما الذي تثقفون به، وها أنا الآن في المعسكر، أشهد بأن أحدًا منكم لم يمارس أي شكل من أشكال الخروج على مبادئ الحركة أو تسميم فكر الشباب كما يقولون، ومشكلة هؤلاء معكم هذه التجربة الجديدة حيث يمنع أي شكل من العقوبات. ورغم ذلك فلا يوجد أحد من عناصر الدورة خرج عن الأصول، والشباب كلهم يحترمون التجربة وبشكل راقٍ جدًا، فعندما يرون كادر المعسكر يصطف معهم آخر النهار وقت تناول إفطار رمضان، آخر من يصف هو نحن، نحمل صحوننا مثلهم، لنأخذ وجبتنا، ونجلس معهم ونأكل، وننام بمغارات مثلهم، والكادر أو المقاتل، لا ينزعج إذا رأى الذين حوله والمسؤولين عنه يعيشون حياته، بل ينزعج عندما يرى أن هناك تفاوتًا وامتيازات.

وأضاف: شباب الدورة يحترمون كادر المعسكر لما يمتلك من قدرات وإمكانيات وثقافة وفكر، ويحبونه لأنه يتعايش معهم بمساواة بل وبحقوق أقل، فهذا كله كما يبدو، هو السبب الحقيقي لحقد كادر المعسكر القديم واتهامه لكم».

وهكذا قُدمنا إلى المحاكمة وكان القاضي من جيش التحرير الفلسطيني، وقد انضم لحركة «فتح»، ومعه بالطبع أبو صبري نائب القائد العام لقوات العاصفة. كما كان هناك مدعي عام من قوات اليرموك التابعة لجيش التحرير الفلسطيني.

| زياد منى: حتى نعرّف القارئ بتفاصيل «جيوش» التحرير

(6) ابو صبري (ممدوح صيدم) ولد عام 1940 م في قرية عاقر قرب الرملة، وهاجر منها إلى قطاع غزة بعد نكبة عام 1948، وفيها أكمل دراسته الثانوية، ثم حصل من جامعة الإسكندرية على ليسانس في الجغرافيا. التحق بحركة فتح قبل انطلاقتها عام 65. تلقى دورات عسكرية في الجزائر والصين الشعبية، وشارك بعدد من العمليات العسكرية، منها عملية بيت فوريك. وعين نائب القائد العام لقوات العاصفة لشؤون العمليات. توفي بمرض عضال في 24 تموز 1971، عن عمر يناهز 31 عامًا.

الفلسطينية، قررت القمم العربية قيام بعض الدول العربية بتشكيل كتائب «جيش تحرير فلسطين» ووضعها بإمرة قيادة منظمة التحرير. مصر أسست جيش التحرير الفلسطيني وأطلق عليها اسم «قوات عين جالوت»، وسورية أسست «قوات حطين»، والعراق أسس «قوات القادسية»، والأردن أسس «قوات اليرموك»، وهي غير «قوات بدر» الحالية.

|| **نزيه أبو نضال:** قبل المحاكمة جاءني أبو صبري إلى الإعلام، ووجه التهمة لي بصفتي قائد المعسكر، والمسؤول عن هذه التجربة.

قال لي: يوجد ضدكم شكوى تستدعي المحاكمة.

سألت: ما التهمة؟.

فعدد التهم السابقة.

قلت له: أنا أقبل أن أحاكم، ولكن لي شرط واحد، إذا ثبتت عليّ التهم المنسوبة إلي، أتلقى العقوبة المقررة، مهما كانت، وإذا لم تثبت، فإن الذي وجه إلي هذا الاتهام، وهو أبو العبد خطاب، يجب أن يعاقب بنفس العقوبة التي كنت سأتلقاها لو أنني أخطأت، لأنه كاذب، وهذه وشاية رخيصة، وعدا ذلك أنا أرفض المحاكمة، ولكم أن تفعلوا ما تشاؤون.

فقال لي أبو صبري: أقسم بالله معك حق.

قلت له: على هذا الأساس أنا أقبل المحاكمة.

وبنتيجة التحقيق سقطت كل الاتهامات الملفقة وتبين أن الخلاف هو في المنهج وفي التربية ولا يوجد أي سبب جدي للمحاكمة.

كنت وقتها في الإعلام بجبل اللويبدة وكان أبو صبري يمر يوميًا هو وأبو جهاد على الإعلام.

وكنت أسأل أبو صبري: ما الذي تقرر بشأن أبو العبد خطاب؟.

فكان يجيب: انتظر سيأتيه الدور.

وبعد نحو الشهر من الإلحاح المتواصل قلت لأبو صبري: من يضيّع حقه كمن لا حق له. وأنا لا انسى حقي، وفي مثل هذه الحالة أنا سأرفع عليك قضية، لان هذا الذي حدث مساس بشرفي الشخصي والحركي، وكان من الممكن ان يتشوه بسبب وشاية كاذبة. وأريد أن أرى كيف تحمي فتح شرف ابنائها، وكيف تتعامل الثورة مع الذين يشوهون شرف الآخرين.

بعد أيام جاءني ابو صبري إلى الإعلام مستبشرا وانتحى بي جانبًا وهو يزف لي النبا: الم اقل لك أن تنتظر، ها نحن قد طيّرنا أبو العبد خطاب.

قلت له: كيف؟ ماذا فعلتم به؟.

أجاب بجدية: عيّناه مسؤول ميليشيا منطقة طرابلس لبنان.

قلت له ساخرًا: من قائد معسكر في السخنة، إلى قائد ميليشيا في شمالي لبنان؟. هكذا يكون قد طار!. وهكذا يُعاقب الكاذب والواشي؟!. لو كنت أعرف أن العقوبة ستكون هكذا كنت اعترفت أنا بالتهمة، ولا أدري إلى أي موقع كنت سأترقى؟!. ولكنني لن أسكت عن حقي.

| زياد منى: ما حدث معك يذكرني برواية عن أمين سر إقليم لبنان الذي اشتبك مع أحدهم بالسلاح لكن لم يقع قتلى. أسرته طالبت بالقصاص فكان أن أقسم عرفات أمامهم بأن عقوبته ستكون الإعدام رميًا بالرصاص. حين قرر أبو عمار تنفيذ العقوبة بحقه أرسله في إجازة ثلاثة أشهر إلى القاهرة، عند شقيقه مفوض الإقليم.

وأود هنا أن أورد تجربتي مع قرارات واجراءات المحاكمات الحركية، وكيف «طردت» من حركة فتح من دون أي سؤال. عندما كنت أواصل دراستي العليا في ألمانيا سمعت بوجود وفد حركي من «التعبئة والتنظيم» في برلين لتسوية أوضاع الإقليم. الوفد ضم الأخ أبو فتحي وعلى ما أذكر الأخ أبو العبد العكلوك وغيرهما، ولم أكن أعرف أي منهم من قبل. عندما التقيت الأخ أبو فتحي في مقر إقامته سألته عن سبب عدم اللقاء بي فأجابني: أنت لست من فتح. أنت مطرود من فتح. فسألته كيف أطرد من فتح ولا يسألني أحد عن رأيي في الأسباب الموجبة، وأنا متفرغ في جهاز «العلاقات الخارجية» ولا يمكنه طرد كادر متقدم هكذا، على الأقل ليس قبل مراجعة مسؤول الجهاز أبو حاتم ومفوضه ابو اللطف. الأخ أبو فتحي كان متجاوبًا معي إلى أقصى الحدود والشهادة لله. أبلغني بما نقله له مكتب المنظمة في برلين عني، والمكتب كان وكرًا لا أكثر للتجسس على الطلبة الفلسطينيين هناك وإخضاعهم باستخدام شتى أنواع المغريات والتهديدات، وتحويلهم إلى مخبرين، ومن غير المستبعد إلى جواسيس للعدو. طلب أبو فتحي مهلة يوم لبحث الأمر ثم التقينا بعد ذلك واعتذر عما حصل وأبلغني أن الوفد قرر إلغاء القرار بحقي وسيبلغون بيروت بالأمر. بعدها قامت علاقات صداقة مع الأخ الكبير أبو فتحي وكنا نلتقي كلما سنحت لنا الفرصة، وفي آخر لقاء جمعنا حدثني عن مدينتي المحتلة (القدس) وصارت بيننا علاقات احترام ومحبة. هذه عينة مما كانت عليه مكاتب منظمة التحرير في الخارج، وقد حكيت في مكان آخر عن واحدة من ممارسات مكتب إقليم ليبيا.

وعودة إلى محاكمتك ثم إلى اين انتهت تجربة معسكر ال99؟

|| **نزيه أبو نضال:** مثل محاكمة أبو أكرم، ربحنا القضية وخسرنا المعسكر. فقد انتهت تجربة معسكر ال99، مع المحاكمة، لأن فتح كما يبدو لا تحتمل هكذا تجربة. رغم أن القيادة كانت مرتاحة لما حققته من سمعة هائلة للحركة في كل أنحاء العالم، سواء من خلال التنظيم أو المعسكر الأوروبي او زيارات الصحفيين والضيوف.

| زياد منى: زرت المعسكر الأوربي، وتعرفت هناك إلى كثير من المناضلين من أوربة. كانوا متحمسين لفلسطين، وحماسهم هذا كان يمدنا بدفق لا ينضب. كانوا مؤمنين بقضيتنا وعدالة كفاحنا، ومنهم من لم ينقطع عن المساهمة معنا.

الفصل الخامس:
تجربة الأردن . .
مهام متعددة

|| **نزيه أبو نضال:** لم تكن طبيعة المهمات والمسؤوليات الحركية التي توليتها في حركة فتح تسير وفق سياق واحد، أو بصورة منتظمة ومتطورة، بل كانت تخضع للضرورات أو لما تفرضه الأحداث. فعلى سبيل المثال استدعيت إلى الأردن لقيادة معسكر كادر تابع لإعلام فتح، هو معسكر ال99، ثم باتت مهمة المعسكر، كما رأينا، إعادة تأهيل قوات العاصفة، كما في القطاع العسكري الأوسط، (بادي عواد) وإعادة تأهيل خريجي معسكرات التدريب، كما في السخنة، (ابو العبد خطاب) وذلك في دورات متقدمة فكريًا وسياسيًا وعسكريًا، ثم كلفت بالإشراف على نشرة «فتح» الداخلية. وحين اندلعت اشتباكات أوائل شباط عام 1970 توليت القيادة العسكرية لمنطقتي اللويبدة والعبدلي، ثم تحولت مهمتي العملية إلى ما يشبه الإعلام العسكري بمتابعة معارك «نسور العرقوب» و«عين البيضا» و«غور الصافي» وبعض عمليات الاغوار ومنها واحدة شاركت فيها الكاتبة اللبنانية المناضلة ليلى عسيران. وحين اندلعت اشتباكات أوائل حزيران 1970 توليت القيادة العسكرية لمجموع فصائل المقاومة في جبل الأشرفية. وبعد المسيرة الشعبية الهائلة المضادة

لمشروع روجرز باشرنا بإصدار جريدة «فتح» في اليوم التالي. ومع الانفجار الكبير في 17 أيلول 1970 طُلب منا الالتحاق بإذاعة الثورة في الأشرفية وهي المعروفة باسم «زمزم 105»، لنتابع بعدها إصدار جريدة «فتح»، قبل أن نعاود إصدارها من دمشق ونسهم جزئيًا مع أحمد عبد الرحمن في إذاعة فتح في درعا، لمواكبة معارك الأحراش في تموز 1971 بقيادة أبو علي إياد.

ولعل فشل تجربة المقاومة الفلسطينية في الأردن يكمن جذره الحقيقي في هذه الإقليمية الفلسطينية الفتحاوية في التعاطي مع الشارع الأردني، كما حدث لاحقًا مع الشارع اللبناني. وفي هذا المجال أنا أعتقد بوجود خلل بنيوي استراتيجي في تركيبة حركة فتح الفكرية والتنظيمية. وسأقدم ربما بعض الشواهد الجارحة حين أتكلم عن تجربتي المباشرة التي قد تضيء ما هو أوسع، وذلك من خلال المواجهات التي حدثت مع النظام الأردني، وتوليت فيها مهمات متعددة، عسكرية وإعلامية.

أحداث طاهر دبلان

|| **نزيه أبو نضال:** كنت في زيارة لعمان خلال الأحداث التي عرفت باسم طاهر دبلان[1]، 4 تشرين الثاني (نوفمبر) 1968 ورأيت بعد قرار منع التجول في مناطق النظيف والمصدار، حيث أسكن، الشوارع خالية إلا من السكاوتات العسكرية السريعة للجيش وقوات البادية الأردنية المنتشرة في كل مكان، وقد قلبوا حطاتهم إشارة للحرب . . حيث وقعت اشتباكات متفرقة بين قوى السلطة والمقاومة في مخيمات الحسين والوحدات وفي مناطق مختلفة في عمان وشنللر والزرقاء، وسقط فيها 29 قتيلا ومئة جريح ولم تتوقف الاشتباكات إلا بعد أن تدخل جمال عبد الناصر.

كانت جولة من الصراع للإمساك بزمام الأمور، لكن المد المقاوم كان عاليا، أنذاك لم تكن لي أية مهمات في عمان، كنت مجرد شاهد على الأحداث.

(1) طاهر دبلان: عقيد فلسطيني، أسس عام 1967 جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية، وانضم إلى منظمة الصاعقة في مؤتمر القاهرة للقوى الفلسطينية عام 1968، لكنه خرج منها في اذار 1968 ليؤسس كتائب النصر في عمان، تم اعتقاله بعد أحداث 1968/11/4 على يد شرطة الكفاح المسلح الفلسطيني التي سلمته إلى السلطات الأردنية، وتوفي دبلان في الكويت اواسط سبعينيات القرن الماضي.

مواجهات شباط 1970

| زياد مني: مر عام 1969 على الأردن من دون أي اشتباكات تذكر بين «العمل الفدائي» وقوات السلطة في الأردن. كانت كما يبدو فترة تعبئة وإعداد للمعركة الحاسمة.

| | **نزيه أبو نضال:** وهكذا تجددت المواجهات بين الطرفين، إثر قرارات السلطة في شباط 1970 لضبط وجود المقاومة في الأردن . . فوقعت اشتباكات استمرت حتى 12 شباط، ثم وقع الملك حسين مع ياسر عرفات اتفاق 22 شباط، وفي 25 شباط أعفى الملك وزير الداخلية محمد رسول الكيلانـي، الرمز الأشهر لجهاز المخابرات الأردنـية، من منصبه . . فاعتبر ذلك نصرًا للمقاومة.

حين بدأت اشتباكات شباط كنت في موقع «إعلام فتح» الجديد القريب من كراجات العبدلي، ولكننا لم نستمر فيه طويلاً حيث انتقلنا بعدها إلى بركسات الإعلام الجديدة في مخيم الحسين. ونظرًا لخبراتـي السابقة، كلفت فورًا بمهمات عسكرية في المنطقة الموجود فيها، وشملت منطقتـي العبدلي وجبل اللويبدة.

لم تقع آنذاك مواجهات عسكرية في تلك المناطق، وكانت مهمتـي كقائد عسكري توزيع الكمائن والحراسات والقيام بدوريات تفقد ورقابة واستطلاع للمنطقة المتواجدين فيها، والمكلفين بالدفاع عنها، وعند استكمال الجولة على المنطقة أعود إلى مركزي في إعلام فتح الذي تحول إلى موقع قيادة.

مع فايق ورّاد ومهام الشيوعيين

| | **نزيه أبو نضال:** كانت الساعة الثالثة فجرًا على ما أذكر حين دخل إلى عندي، باعتباري المسؤول العسكري للمنطقة، فائق ورّاد، الأمين العام للحزب الشيوعي الأردنـي وقتها. دخل ملهوفًا ومنفعلاً، وبالطبع أنا كنت أعرفه، لكن هو لا يعرفنـي إلا كمسؤول عسكري من فتح عن المنطقة، وكنت أتكلم معه وأجيب على أسئلته بحدود مهمتـي.

ثم فجاة قال لي: نحن الشيوعيين ما دورنا؟.

حين سألنـي هذا السؤال ارتبكت وأحرجت أمامه، أنا الشاب الماركسي الذي يحمل تقديرًا عاليًا للشيوعيين. قلت له: أنت يا أستاذ فائق تسألنـي أنا؟ أم تسال فتح عن دور للشيوعيين؟. أليس على الشيوعيين أن يدلّوا الجميع على أدوارهم في المعركة؟!. وهذا هو دورهم التاريخي، لأنهم يرون أفضل، ومنظمون دائمًا، ويبادرون، من دون أن يسألوا الآخرين، بل هم الذين

يحددون للآخرين أدوارهم، لكن للأسف تأخرتم كثيرًا، والنتيجة أنكم تسألون مقاتلا بسيطا من فتح عن دور للحزب الشيوعي الأردني!.

كنت أتحدث بصدق وانفعال، وربما بما يشبه عتب المحبين، ورأيته كمن يبكي وقد دمعت عيناه، وهو يتمتم متألمًا: الحق معك، الحق معك، خيرًا إنشاء الله.

آنذاك لم أكن أعرف طبيعة الصراعات التي كانت محتدمة داخل صفوف الحزب الشيوعي، لحسم موقفه من قضية الثورة المسلحة، لكن لعل هذه المحاورة كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير، حيث أعلن الحزب الشيوعي بعدها مباشرة التحاقه بفصائل المقاومة مشكلاً «قوات الأنصار»، حيث أبدى حضورًا متميزًا، كما سنرى.

صدامات حزيران 1970

|| **نزيه أبو نضال:** بات واضحًا أن شكلاً من أشكال ازدواجية السلطة قد تشكل على أرض واحدة في الأردن، ما يعني بالضرورة تفاقم واستمرار الصراع وحسمه لصالح أحد الطرفين في نهاية المطاف. وهكذا بدأت جولة جديدة في 7 حزيران 1970 حيث وقعت مواجهات عنيفة في الزرقاء، وفي 9 حزيران وقعت مواجهات في عمان، وبحلول 12 حزيران وصل عدد الإصابات الإجمالية في تلك المواجهات إلى حوالي الألف بين قتيل وجريح.

حين اندلعت تلك الصدامات كلفت باستلام القيادة العسكرية لمنطقة جبل الأشرفية، وتمتد من حدود مخيم الوحدات إلى جبل الجوفة نزولاً إلى شارع الملك طلال، وهي في الحساب العسكري أخطر منطقة في عمان. وقد تأكدت خطورتها لاحقًا في أحداث أيلول 1970 حيث شكلت القلعة الأخيرة لقيادة المقاومة وإذاعة الثورة، وهذه المنطقة كانت من مسؤوليتي العسكرية، ليس لميليشيا وقوات فتح وحدها بل لبقية الفصائل، ذلك أن مسؤول فتح العسكري في أي منطقة يكون مسؤولاً عن كل الفصائل في تلك المنطقة، وكانت القوى الموجودة آنذاك في الأشرفية: الجبهة الشعبية، الصاعقة، جبهة التحرير العربية، الجبهة الديمقراطية، وقوات الأنصار التي انضمت حديثا لفصائل المقاومة، وكان كل فصيل يضع على الطاولة، في غرفة عمليات القيادة المشتركة التي كنت أقودها، ما يمتلك من العناصر والأسلحة والقوى الخاصة به، ليجري بموجب ذلك توزيع المهام العسكرية على مدار الأربع والعشرين ساعة: كمائن، دوريات، حراسات، استطلاع، وغيرها. وكانت

مهمتي بمعاونة قيادات الفصائل الميدانية أن أحدد بالضبط المسؤوليات والمهمات العسكرية لكل طرف. وأتذكر بالرغم أننا كنا في شهر حزيران إلا أن الليل في تلك الفترة كان باردًا، فالأشرفية منطقة جبلية عالية، والشباب في الكمائن والحراسات كانوا يشعرون بالبرد الشديد، ولعل بعضهم يرغب بعمل إبريق من الشاي، ولكن كان يمنع إشعال النار، ولا حتى السجائر، وتمنع أيضًا الأصوات العالية، فشرط موقع الحراسة أو الكمين أن يكون سريًا، ولكنك ستجد أناسًا يخالفون، فتجدهم يضحكون ويتمازحون ويولعون النار والسجائر. كل هذه الممنوعات كنت تجدها عند شبابنا ولدى مختلف الفصائل، وكنت حين أتفقد المواقع أعطي التوجيهات وأذكّر بالممنوعات، ولكن كثيرين عندما تدير ظهرك يفعلون ما يريدون، وعندما يأتي موعد المجموعة التالية المكلفة باستلام مهمة أو موقع فلا تجد العديد من عناصرها، ويخبرك قائد المجموعة بوجود العديد من المتأخرين أو الغائبين، هذه مجرد عينات عن مستوى الانضباط العسكري السائد آنذاك، وكنا نتعايش مع هذه الحالات بشكل أو بآخر. فهؤلاء ليسوا عسكريين على كل حال، إنهم ميليشيا.. ! الوحيدون، ربما، الذين لم يسجل عليهم أي خطأ أو تقصير في الالتزام الصارم بالمهمات هم «كتائب الأنصار»، كان عددهم قليلاً، لكنهم منضبطون في الوصول لاستلام مهماتهم، رغم أنهم يتجمعون من كل مناطق عمان، في مكان واحد وهي الأشرفية . . فيبدو حضورهم ملموسًا.

كان من غير الممكن أن ترى هكذا انضباط تنظيمي، وهكذا روح في العمل والمتابعة والجدّية مثلهم، وأقول هنا، لو كانت كل فصائل الثورة الفلسطينية، منظمة على هذا النحو، أو لو كان الشيوعيون هم الذين يقودون عملية الثورة، بمثل هذه الروحية الانضباطية وعلى هذا المستوى، تنظيما وفكرًا والتزامًا، لكنا بألف خير. أنا هنا لا أتكلم على تفصيلة صغيرة لها علاقة بدرجة الانضباط والالتزام، لكن التجربة الحية كشفت لي كيف أن الشيوعيين عندما كانوا في الخط الآخر ضد الكفاح المسلح، لم يكونوا موجودين، وعندما التزموا عبر «قوات الأنصار» ونزلوا إلى الشارع بأسلحتهم الجديدة: خاصة الآر بي جيه (المضاد للدروع) والكلاشينكوف التي تلمع من العناية الفائقة، أثاروا إعجاب الجميع. وأقول هنا: إن الفوضى التي كنا نعيشها، لم تكن تبشّر بخير، رغم كل الروح الطيبة عند الناس الذين لم يكونوا قد تلوثوا بعد، وأنا أعرف أن هناك محلات تجارية في عمان فُتحت

بأمر، وأخذ منها بعض الاحتـياجات وترك ثمنها نقودًا على الطاولة وخرجوا بعد إغلاقها بإحكام، ولكن رغم كل ذلك وما رافق أحداث حزيران من بعض الانتصارات، مثل الاستجابة لشروط المقاومة حيث صدر قرار بعزل كل من الشريف زيد بن شاكر والشريف ناصر بن جميل، أعلى موقعين عسكريين في الجبهة المعادية. إلا أنني كنت أخشى أن تلك الحالة من الفوضى والضجيج الإعلامي ستقود إلى هزيمة، أما لو كنا كلنا منظمين جيدًا لما كان بقدرة أي جيش أن يقتحم أي موقع من مواقع الثورة في عمان، وهو ما حدث في أيلول.

هذا الدور العسكري الذي توليته في شباط وحزيران 1970 في الأردن تكرر، كما سيأتي لاحقًا، في لبنان بعد الانفجار الكبير الذي أعقب مجزرة باص عين الرمانة في 13 نيسان 1975.

الفصل السادس:
في إعلام فتح

| زياد منى: بعد انتهاء معسكر ال99 والمحاكمة، والمهمات العسكرية، ماذا فعل نزيه أبو نضال؟.

|| **نزيه أبو نضال**: بعد المحاكمة، وما أثارته لدى القيادة من مخاوف، كما يبدو، رغم حكم البراءة، جرى إبعادي عن مواقع الاتصال المباشر بالمقاتلين والكوادر، وربما لاحتياجات العمل. فكان أن تحولت إلى مهمات من طبيعة إعلامية، حيث توليت مهمات في أربعة مواقع إعلامية في كل من نشرة فتح الداخلية والإعلام العسكري وجريدة فتح وفي إذاعة الثورة المعروفة بزمزم 105، خلال أحداث أيلول 70.

النشرة الحركية الداخلية

|| **نزيه أبو نضال**: خلال وجودي في الإعلام المركزي لحركة فتح أوائل السبعينيات كلفت بمهمة إصدار نشرة داخلية مركزية خاصة بالتنظيم اسمها «فتح»، يأخذ اللوجو المميز لها شكل خلية النحل، وتغطي أخبار الحركة الداخلية وفكرها وثقافتها، وكذلك توجيهاتها ومواقفها، من مختلف القضايا المطروحة، وبما يحقق وحدة فكر الحركة وخطها السياسي في جميع أنحاء العالم. ولعل هذا التكليف الحركي جاء تأكيدًا لما مثله البرنامج السياسي في تجربة

معسكر ال99 وامتحان المعسكر من نتائج على مستوى التنظيم. وكانت النشرة تشمل عدة أبواب تبدأ برأينا الحركي وتنتهي بزاوية اسمها «تعريفات» كان يقدم فيها ما يشبه التعريف المعجمي المحايد لبعض المصطلحات التي بدأت تروج آنذاك، وخاصة من قبل الجبهتين الشعبية والديمقراطية، وكانت ثقافة بعض أعضاء التنظيم محدودة أو بعيدة عن هذه المصطلحات، وفي حاجة إلى من يبسّطها لهم ضمن المفاهيم الحركية مثل: ما الثورة الوطنية؟ ما الماركسية؟ ما حركة التحرر الوطني؟ ما الثورة الطبقية؟، وأحيانًا مجرد معلومات من نوع: ما الثورة البلشفية؟ ما ثورة القسام؟ من فصائل السلام الفلسطينية؟ من التوباماروس؟ من الألوية الحمراء؟ . . إلخ. وكنت تقريبًا المؤلف الوحيد للنشرة، ذلك أن المهمات الهائلة آنذاك كانت بحاجة إلى جهود مضاعفة من الكادر المحدود الذي يدير إعلام فتح وعلاقاتها الخارجية ويستقبل تدفق مئات الصحفيين وعشرات الوفود من الوطن العربي والعالم، وعلى رأس هذا الكادر كمال عدوان وماجد أبو شرار. وكان من بين الكوادر ناجي علوش وأحمد الأزهري ومنير شفيق عسل وشقيقه جورج شفيق عسل ومي البلبيسي وأم نائل، ووديع أبو سعدة وزياد منى وغيرهم.

ذات يوم وخلال إصداري أعداد نشرة فتح دخل علي بصورة مفاجئة وغاضبة القائدان أبو جهاد (خليل الوزير) وأبو صبري، سألا بالتناوب: من يكتب تعريفات اجتماعية وثورة طبقية في النشرة؟.

قلت: أنا.

قالا: هل هذا فكر فتح؟.

قلت بهدوء: هذه الزاوية مجرد تعريفات أكاديمية لتثقيف شبابنا، ومعرفة ما يطرح عليهم من مصطلحات ومفاهيم والرد عليها إذا لزم الأمر، ولذلك فقد عرّفنا لهم الثورة الوطنية وحركة التحرر الوطني في مواجهة المحتل الأجنبي أما الثورة الطبقية كالثورة البلشفية الروسية فلا علاقة للحالة الفلسطينية بها فنحن في مرحلة التحرر الوطني لا الثورة الطبقية.

للأسف فقد قرأ القائدان عنوان تعريف واحد من دون الإطلاع على مضمونه ولا على ما سبقه من تعريفات، كان ثمة تزمت فكري يميني ينتمي إلى فكر إخواني كان حاضرًا آنذاك بقوة في حركة بدأت تتسع للجميع.

| زياد منى: كنت تعد نشرة فتح فهل كنت أصلاً عضوًا في فتح؟. أعني هل كنت منظمًا في خلية محددة؟. هل وجد تنظيم «أردني» في فتح، أم إنها كانت مفتوحة لكل العرب؟.

| | **نزيه أبو نضال:** دعنا ننظر إلى هذه المفارقة المبكية: كانت نشرة فتح توزع على المراتب التنظيمية للحركة في كل مناطق العالم، ولكن هذه النشرة ضمن هذه التراتبية التنظيمية لم تكن تصلني رغم أنني مؤلفها الوحيد تقريبًا، فأنا لست عضوًا في تنظيم حركة فتح، ولا يوجد لي موقع فيه، رغم عضويتي لاحقًا في المؤتمرين الثالث والرابع للحركة عامي 71 و80، ولكن من خلال ما توليت من مواقع فيها: مقاتل في العاصفة ومدرب ومفوض سياسي في المعسكرات وإعلامي ونقابي وكادر في العلاقات الخارجية، إلا أنني لم أكن في أي يوم عضوًا في أي خلية تنظيمية في حركة فتح . . حين انتقلنا إلى مركز إعلام جبل حسين، وبسبب إلحاننا المستمر صارت محاولة عرجاء لمدة أسابيع لعمل تنظيم، وقتها استقال حكم بلعاوي من الإعلام ثم تولى مسؤولية مركز التراث في شارع المحطة، وكان على حق، فقد وضع مع شخص يعمل القهوة والشاي في خلية تنظيمية واحدة، ومعهما أحمد الأزهري العضو السابق في المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري (حدتو) وهذا لا يصح، لأن الخلايا التنظيمية أو المواقع التنظيمية لها مراتب ومستويات وأصول، وهكذا قسمونا إلى خلايا، وأنا لا أذكر أنني اجتمعت في خلية منها، لأنها أصلاً لم تستمر أكثر من أسابيع و(فرطت).

كما اكتشفت بأن لا وجود للعرب في جسم فتح التنظيمي، ولهذا ربما لم يكن لي في أي يوم من الأيام أي موقع تنظيمي يتيح لي أن أستلم مجرد بيان حركي أو نشرة حركية تصدرها التعبئة والتنظيم أو إعلام فتح وتذهب لأعضاء التنظيم.

وهذا هو الأمر الذي أثرته في المؤتمر الثالث للحركة (صيف عام 1971) والذي خضنا فيه معركة كبيرة لأجل أن يتضمن نظام فتح الداخلي قبول العربي عضوًا في الحركة، كما سنرى.

اللقاء مع ممثل الثورة الليبية

| | **نزيه أبو نضال:** رغم نظرة قيادة فتح المشككة بمواقفنا الفكرية إلا أنها كانت تثق بقدراتنا وبإخلاصنا للحركة، وبأننا سنعمل كل ما نستطيع من أجلها، ولهذا حين حضر احد كبار الضباط الليبيين ممثلاً لثورة الفاتح إلى عمان، عام 1969 للالتقاء بفصائل الثورة، من أجل تحديد الجهة التي سيذهب إليها الدعم المالي الذي ستقدمه الثورة الليبية الوليدة، فقد جرى

اختـياري أنا وماجد أبو شرار. ولم يكن معروفًا بعد هوية الثورة الليبية واتجاهها، عدا تقديرها لعبد الناصر.

في بداية اللقاء أخذ الضابط الليبي، وهو من ذوي الرتب العالية، بالحديث عن ثلاثة إنجازات عظيمة حققتها ثورة الفاتح والأخ العقيد منذ الأيام الأولى للثورة قال: كان أول ما فعله الأخ القائد حفظه الله أن جمع كل الكتب الشيوعية واليسارية في ليبيا وأقام لها محرقة كبيرة في ميدان طرابلس.

فنظرت إلى ماجد ذي التاريخ الشيوعي العتـيد وأنا أبتسم شامتًا.

وأضاف: أما ثانـي انجاز فقد قام الأخ العقيد رعاه الله وحماه بإغلاق كل كنائس الكفار المسيحيين في ليبيا.

فنظر إلي ماجد شامتًا وهو يبتسم من خلف نظارته السميكة.

أما ثالث إنجازات الثورة المباركة فكان أنها منعت الخمور وجمعت كل الموجود من زجاجات الكحول وقامت بتكسيرها في الشوارع.

فتبادلنا أنا وماجد نظرات الشماتة ونحن ننهض معتذرين بموعد سابق، وخرجنا لا ندري هل نبكي أم نضحك، ولكننا نعرف بأن على قيادة فتح اختـيار غيرنا لمهمة محاورة مندوب الثورة الليبية العتـيدة.

الإعلام العسكري

| **نزيه أبو نضال:** كان واقع الحال يفرض على القائمين على العمل الإعلامي في فتح تغطية العمليات والفعاليات العسكرية للحركة، من خلال وسائلنا الإعلامية أو عبر الإعلام العربي والعالمي، ومن ذلك اللقاء بالصحافيين والكتاب ومرافقتهم أحيانًا في بعض العمليات. وكان يوجد إلى جانب إعلام فتح المركزي جهاز صغير يقوده الشاعر الشعبي أبو الصادق[1] اسمه «الإعلام العسكري» وتقتصر مهمته على إصدار البلاغات العسكرية عن العمليات الفدائية للحركة. وعدا ذلك ثمة مجلة شهرية للأطفال بعنوان «الأشبال» كان يصدرها فتى الثورة (أبو هشام «السعودية»).

المهمات المرتبطة بالعمليات لقتالية جعلتنا نطل عن كثب على أوضاعنا

(1) أبو الصادق هو صلاح الدين الحسيني، مواليد غزة سنة 1935، التحق بالثورة الفلسطينية عام 1967، وقام بتأسيس الإعلام العسكري لحركة فتح سنة 1969 ثم تولى مسؤولية الناطق العسكري لقوات الثورة الفلسطينية سنة 1971، كتب العديد من أناشيد الثورة وله ديوان «ثوريات». اسهم بتأسيس مؤسسة المسرح والفنون الشعبية والفلسطينية، كما عمل مديرًا عامًا لمسرح الطفل الفلسطيني بمدينة غزة.

العسكرية الداخلية، ولمحاكمها نقديًا بما نمتلك من تجارب وخبرات سابقة على تواضعها، وسأتحدث في هذا المجال عن أربعة تجارب قاسية: عين البيضا ونسور العرقوب وغور الصافي وغارة الطيران على معسكر جرش

"ملحمة" عين البيضا

|| **نزيه أبو نضال:** كنت في الإعلام أنا وماجد أبو شرار حين اتصلوا بنا من منطقة الشمال العسكرية بقيادة أبو سامي (معاذ عابد) كي نغطي، كما قالوا، وقائع ملحمة عين البيضا، التي لا زالت محتدمة في الأغوار الشمالية، كان ذلك في 1970/05/04 . . فتحركنا أنا وماجد بحماس شديد كي ننقل إلى العالم واحدة من الملاحم البطولية لمقاتلي شعبنا، حين وصلنا إلى قيادة منطقة إربد كي نتحرك نحو الأغوار لتغطية وقائع العملية، لم يكن أبو سامي موجودًا. فأخبرنا بعض المقاتلين البسطاء بحزن أن المعركة انتهت، وأن عددًا من جرحى العملية وصلوا إلى المستشفى.

توجهنا إلى هناك لنجد حالة انهيار عصبي مريعة عند الجرحى، وحتى عند الشباب غير المصابين، ممن كانوا في مناطق الإسناد الخلفي، لحجم الموت الجماعي المخيف الذي حدث وراح ضحيته نحو 24 شهيدًا وقعوا في حقل ألغام فور عبروهم النهر. كانت مجزرة، سببها إرسال شباب لتنفيذ عملية من دون استطلاع جدي للمكان. بقيت جثامينهم في الداخل، ووصل من أصيب واستطاع أن ينسحب، إلى المستشفى ليروي وهو في حالة من الهذيان حجم الجريمة التي وقعت.

في هذه الأثناء وصل أبو عمار قادمًا من الشام، وحين علم بما جرى طلب إطلاق بعض قذائف الهاون التي توحي باستمرار معركة وهمية، وبدأ اتصالاته بقيادات الجيش الأردني في المنطقة، متحدثًا عن عملية بطولية تجري على امتداد الشريط الداخلي، وقال: نريد فقط تغطية منكم لنساعد الشباب على الانسحاب، نريد قصف المواقع الإسرائيلية، وكان ضباط الجيش الأردني هم أيضًا متحمسين لضرب العدو، فبدؤوا بالقصف على أساس أن هناك مقاتلين يريدون الانسحاب، ويحتاجون إلى تغطية نارية. ولم يكن يوجد أحد لينسحب أو يقاتل، ورأينا أنا وماجد كل شيء على الطبيعة، بعد أن تكلمنا مع الجرحى الذين كانوا في المعركة، وأخبرونا بالتفصيل كل ما جرى. فاتفقنا أنا وماجد أن لا نغطي هذه العملية ولا بجملة واحدة، لأنه

يجب أن يحاكم الناس الذين تسببوا بهذه المجزرة، ورجعنا إلى عمان، وقدمنا تقريرًا أو لائحة اتهام لمحاكمة المسؤول عن هذه المجزرة، كما التزمنا بعدم تغطيتها بإعلام فتح بأي شكل من الأشكال، فكان الذي تبنى إعلاميًا نشرها، أبو هشام (فتى الثورة) الذي يصدر مجلة «الأشبال» من عمان، قال وقتها: أعطوني 24 شهيدًا وعشرة الاف دينار، وأنا أصنع لكم ملحمة بطولية، فكان أن أصدر ملصقًا كبيرًا على شكل دائرة من صور الشهداء الذين سقطوا، وعبارة «ملحمة عين البيضا» كالشمس في منتصف الملصق، كما نشر الملصق كغلاف لمجلة الأشبال نفسها، وحملة إعلامية عن البطولات وعن الخسائر في صفوف العدو.

| زياد منى: ربما من المفيد التذكير هنا أن الجيش الأردني كان يشارك بمبادرة من ضباط الموقع، كما حدث أثناء معركة الكرامة، والسؤال هنا هل هذا التضخيم الإعلاني أو الإعلامي هنا يشبه ما حدث في معركة الكرامة؟.

|| **نزيه أبو نضال**: لا، التضخيم الهائل لمعركة الكرامة لأننا حققنا انتصارًا حقيقيًا ونحن نواجه اجتياح العدو ومنعه حتى من سحب دباباته، كان ذلك إنجازًا بطوليًا وإنجاز عسكري، سواء بصمود المقاتلين الفلسطينيين، أو بدعم الجيش الأردني، هذه حقيقة على الأرض.

عين البيضا كانت مجرد مجزرة يتحمل مسؤوليتها أبو سامي وقيادة الشمال وفبركها إعلاميًا أبو هشام، وفق التعليمات، وحولها إلى ملحمة: فقط بوستر وغلاف مجلة وعشرة آلاف دينار! يا بلاش.

"معارك" عش النسور في العرقوب

| زياد منى: وماذا عن معركة «عش النسور» في العرقوب في جنوبي لبنان؟.

|| **نزيه أبو نضال**: حين وقعت معركة نسور العرقوب في جنوب لبنان، في يومي 12 و13 أيار 1970، تحرك إعلام فتح لتغطية وقائعها. فتوجه ماجد أبو شرار إلى هناك، وأخذ يرسل لنا ما يشبه الرسائل العسكرية على جهاز اتصالات الحركة، فكنت أصيغها كتحقيقات ومعلومات عسكرية ميدانية ونرسلها إلى الصحف ووكالات الأنباء لتغطية وقائع المعارك هناك، إلى جانب بلاغات أبو الصادق العسكرية. لم تكن جريدة «فتح» قد صدرت بعد، وكانت

إذاعات الثورة تغطي أخبار البطولات و(الملاحم) العظيمة التي يحققها ثوار فتح في العرقوب.

كان معنا في عمان آنذاك صديقنا محمد عبد العزيز، القادم في إجازة من الإمارات، وهو وكيل وزارة الزراعة فيها. حضر ومعه سيارته الحمراء، فركب عليها بمبادرة منه سماعات ضخمة، بدأت تلف في شوارع عمان، وتبث آخر الأخبار التي تصلنا من ماجد عن معارك العرقوب، والبلاغات العسكرية التي تصدر عنها. باختصار (هيجنا) مدينة عمان بهذه الطريقة، وكان الناس بالطبع يفتحون أجهزة الراديو ليتابعوا أخبار معارك العرقوب.

جاء ماجد، وشاهد المهرجان الذي أقمناه في عمان، سألناه عن تفاصيل ما حدث، فقال أنا إعلامي لكنني لست عسكريًا، الشباب خبّروني عن تفاصيل وأشياء كبيرة جدًا لكني لم أفهم عليهم جيدًا، أنت يا أبو نضال لك تاريخك كمقاتل وتفهم بالعمليات العسكرية، اذهب إلى العرقوب واستجلي حقيقة الوضع وعند عودتك نوثق المعلومات، فهذا علم عسكري وليس اجتهاد واحد صحفي أو إعلامي مثلي. حين وصلت العرقوب عرفت لماذا لا يريد ماجد أن يتكلم، كان قد رأى مقدار الفرح والهيجان الذي كنا فيه، ولم يشأ أن يحبط الشباب بحقيقة ما حدث.

المهم وصلت قريبًا من العرقوب، وعلى مسافة كيلومترات منها، رأيت أبو الزعيم القائد العسكري للمنطقة. كنت أعرفه جيدًا من بغداد حين كنا معا في «معسكر منعم». كان هو قائد المعسكر وأنا نائبه، وسألته عما حدث فقال: الشباب بدّعوا. فقلت له نحن موفدون من الإعلام ومعنا كاميرات ومصورون لتغطية المعارك، ونريد أن نصور ونجري مقابلات مع المقاتلين والقادة الميدانيين، وطلبت منه أن يحيطنا بصورة ما جرى، ولكنه تهرب قائلًا: الشباب أبدعوا وأنجزوا، اذهبوا لتروهم. فتركناه وذهبنا، كان بمفرده بعيدًا عن مواقعهم، وعن نقاط انسحابهم، والمعروف أن الذي يهرب بمفرده يكون بمنجى أكبر من الطيران الإسرائيلي الذي يلاحق المجموعات.

ثم بدأت التنقل على المحاور المختلفة فأنا أعرف المنطقة جيدًا فقد مكثت فيها أشهرًا عام 1968 وقمت بعدة عمليات عسكرية انطلاقًا منها.

| زياد منى: ارجو تحديد قرى منطقة العرقوب وتقسيم قواتنا فيها حتى يكون القارئ على بينة من الأمر.

نزيه أبو نضال: من قرى العرقوب: كفر شوبا، شبعا، كفر حمام، الهبارية، وراشيا الفخار.

ولم تكن القوات في ذلك الوقت مقسمة عسكريًا كما حدث لاحقًا. كان اهتمامي منصبًا على تغطية وقائع المعركة، وأن ألتقي بالمقاتلين الذين كنا نردد أسماء بعضهم، مثل إسماعيل ياسين وهو اسم حركي، الذي صار مدفعه (الرشاش) أسطورة في عمان، حيث كان كالقناص يصيب دبابات الإسرائيليين المتقدمة بمدفعه واحدة تلو الأخرى، والدبابات المصابة، كما أخبرونا لا زالت على أرض المعركة، والعدو الإسرائيلي لا يستطيع سحبها، وأنا ذاهب لأرى وأصور آثار المعركة والدبابات المدمرة وبطولات إسماعيل ياسين، والأبطال الآخرين.

خلال تنقلاتي ولقاءاتي شرح لي الشباب ما حدث، وكنت على دراية كافية بالعلم العسكري والعمل الفدائي، وبات واضحًا أن النتيجة كانت خيبة كاملة، لا يوجد شيء، كله وهمي، وصراخ في الهواء، ربما حدثت بعض المواجهات والصدامات أو المناوشات المحدودة، لكن العدو دخل ونفذ عمليته وانسحب، انتهت المهمة.

خلال (المعارك) وصل أبو عمار إلى المنطقة، وكان الشباب يغادرونها هاربين، لأن العدو كان قد تقدم بجحافل قوية، ولا توجد إمكانيات لصده، وحين رأى أبو عمار الشباب يهربون أصدر الأمر: انسحاب، انسحاب.

حاول بدهائه تحويل فرارهم العشوائي إلى انسحاب بأمر عسكري منظم.

المهم، وصلنا عمان، فوجدت ماجد يسألني بخبث من وراء نظارته: هات خبّر الشباب بما رأيت؟.

قلت له: أترسلني يا ماجد من عمان إلى جنوب لبنان لأرى أكذوبة، يا رجل كنت على الأقل وفرت علي المشوار.

بعدها اتصل أبو عمار يريدنا أن نوثق ملحمة «نسور العرقوب» بكتاب، فمن الذي سينجز مثل هذا الكتاب؟ ومن الذي كان هناك يغطي المعارك؟. ماجد أبو شرار [أبو سلام] وأنا، فقال لي: تعال إلى بيتنا نسهر الليلة وانشاء لله لغاية الصبح، ننجز الكتاب.

التقينا وبدأنا نعمل، وقد شاركت أم سلام، رحمها الله، بعمل القهوة والشاي والسندويشات طوال الليل وقد قسمنا العمل بيننا، كل منا أخذ محورًا، وطبعًا لدينا حصيلة البلاغات وما نشر من معلومات: دبابات، 24 دبابة، 25 مجنزرة، على محور كفرشوبا، وعلى محور كذا وبالطبع يجب أن تتساوى الأرقام

في المحصلة النهائية مع البلاغات العسكرية، ومع المعلومات التي أعلناها . . ولم يكن من السهل أن نفبرك كل ذلك، ثم تحول الأمر إلى نوع من الكوميديا: يسألني ماجد: ها كم دبابة صار عندك، والمجنزرات كم عددها؟. طيب اعمل حسابي بخمس دبابات ومجنزرتين على مدخل كفر حام!. أقول له حاضر بس لا تنساني بكم دبابة لإسماعيل ياسين!. وهكذا رحنا في كل لحظة نتبادل الأرقام والمعلومات عن كيفية سير المعارك وقبل طلوع الصباح أنجز الكتاب وصدر خلال أيام، باسم «عش النسور»[2]، وبما يغطي ما صدر من البلاغات العسكرية، وبما يمجد المقاومة والبطولة والصمود، وإسماعيل ياسين ومدفعه الرشاش.

| زياد منى: إذن شاركتما في التضليل!. هل كنت أنت والشهيد الكبير راضيين عن هكذا عمل!.

|| **نزيه أبو نضال**: بالطبع لم نكن أنا وماجد راضين بما فعلنا ولكن هنا لم يساورنا إحساس بالذنب لأننا نبالغ أو نفبرك لأن لا جريمة هناك أو تقصير فاضح، كما في عين البيضا في الأغوار الشمالية.

عندما رأى أبو عمار كتاب «عش النسور» ، قال بحدة: أنتم تقزّمون بطولات المقاتلين، أنتم مسختم الأمجاد العظيمة التي حققوها. وكاد أن يأمر بمنع توزيع الكتاب.

بعد ذلك بأيام قليلة، قام أبو صبري، بدعوة قادة الإقليم في الأردن إلى غرفة عمليات فتح (101) في جبل الحسين حتى يضعهم في صورة ما حدث في العرقوب.

| زياد منى: لتوضيح مصدر مختلف الأسماء للمواقع. كانت حركة فتح منحت كل موقع عسكري حساس رقمًا بدلا من اسمه الصريح للمحافظة على سرية الاتصالات. كان الاسم التمويهي لغرفة العمليات (101) وللإذاعة (زمزم 105) ولمقر القيادة (17) وقبلها (23) وهكذا.

|| **نزيه أبو نضال**: صحيح. كانت جدران القاعة مغطاة بالخرائط العسكرية، وفي الوسط مجسمات، لمنطقة العمليات في العرقوب، وبالطبع

(2) صدر كتاب «عش النسور: قصة معركة العرقوب، 12 و 13 أيار 1970، مطبوعات فتح، الإعلام المركزي.

كنت حاضرًا أنا وماجد. قلت لنفسي: من غير المعقول في اجتماع كهذا، على مستوى قيادات الإقليم، وأبو صبري من موقعه كقائد عسكري لقوات العاصفة، ويريد أن يتحدث عن المعركة، ولا يخبرهم بحقيقة ما جرى. أكيد لن يقول الحقيقة كاملة لكنه سيقول (هكذا توقعت): إننا ضمن ميزان القوى، فالشباب صمدوا وقاتلوا وأوقعنا بعض الخسائر، لكننا في الإعلام، كما تعرفون نحن نحاول أن نكسب الرأي العام، ونحرض الجماهير، وهذا مشروع، والكتاب أيضًا قد أصدرناه بهذه الروحية. وكانت المفاجأة، وإذ برأي أبو صبري، مطابق لرأي عرفات، بل أسوأ.

معركة غور الصافي

| زياد منى: وماذا عن معركة غور الصافي؟.

|| **نزيه أبو نضال:** وصلتنا الأخبار في عمان عن احتدام معارك عسكرية كبرى بين مقاتلينا وقوات العدو المتقدمة إلى منطقة غور الصافي في الأغوار الجنوبية، توجهت على الفور أنا وأبو فارس (مرعي عبد الرحمن)، وقريبًا من الكرك التقينا بعدد من المقاتلين، فتشكلت لدينا صورة أولية عما حدث من مآس وانهيارات، ثم التقينا بالقائد العسكري موسى عرفات (ابن عم ياسر عرفات)[3] وطلبنا منه أن يضعنا في صورة ما حدث في معارك غور الصافي، إلا أنه بدل ذلك راح يعلق بطريقة سخيفة على تسريحة شعري!. قلت له وأنا أغادر المكان: يبدو واضحًا صحة ما عرفناه عن كارثة غور الصافي، وبأنك تتهرب من الحديث عن هزيمة أنت مسؤول عنها إلى تعليقات سخيفة، وكاد الوضع يتطور أكثر لولا أن تدخل ضده عدد من الحضور بينهم ضابط محترم كان مسؤولاً عن غرفة العمليات، حيث اصطحبني إلى مكتبه وحدثني بالتفصيل عن بشاعة ما حدث من انهيار ومجازر وهروب جماعي من مواقع القتال، وفقدان أي دور قيادي للسيطرة على الوضع.

(3) اللواء موسى عرفات القدوه الحسيني، مواليد يافا 16 أيلول 1940 حصل على الماجستير في العلوم العسكرية في يوغسلافيا وشارك في العديد من الدورات العسكرية. قاد قوات فتح في القطاع الجنوبي من الأردن، واعتقلته قوات الأمن الأردنية في السبعينيات، وفي محاكمات لاحقة في بيروت ضد شبكة من عملاء المخابرات الأردنية، وجهت له أكثر من تهمة خطيرة، ولكن جرت لفلفتها وسحب القضية من يد قدري (سميح أبو كويك). بعد توقيع اتفاقية أوسلو عاد إلى غزة وعين في منصب رئيس الأمن الوطني في قطاع غزة ما أدى إلى اعتراضات واسعة. في يوم 7 أيلول 2005 دخل مسلحون إلى بيته وسحبوه إلى الشارع وقتلوه رميًا بالرصاص.

فؤاد ياسين وطائرات جرش

| زياد منى: سمعنا أيضًا عن بيانات فؤاد ياسين العسكرية!.

|| **نزيه أبو نضال:** إليك هذه الواقعة التي ترتبط بالتضخيم الإعلامي لعملياتنا العسكرية، وقد سمعتها من مصادر ثقة.

في واحدة من الغارات الجوية التي استهدفت بعض معسكرات التدريب والقواعد الفدائية، في منطقة جرش، أعلنا بلاغاً عسكريّا عن سرب من الطائرات الإسرائيلية هاجم مواقع للفدائيين في منطقة جرش، فتصدت له المقاومات الأرضية، المكونة من رشاشات أرض جو متواضعة، وأعلن بلاغ قيادة العاصفة إسقاط ست طائرات على ما أظن. أنذاك كان فؤاد ياسين مدير إذاعة صوت فلسطين يقيم ندوة في جامعة القاهرة، قال للطلبة: أزف لكم البشرى، أسقطنا بالأمس ست طائرات حربية، كانت في سرب من الطائرات الإسرائيلية التي هاجمت أحد مواقعنا، أحد الطلاب سأله: يا أستاذ فؤاد ألا تعتقد أنه يوجد مبالغة بالرقم؟. رد عليه فؤاد ياسين: أين المبالغة؟. أنا لا أذيع سرّا إذا قلت لكم إن المجموعة المضادة للطائرات في الموقع، هي الآن قيد التحقيق والمحاكمة لأنها لم تسقط السرب بكامله.

وبعدها هات يا تصفيق.

في جريدة فتح

|| **نزيه أبو نضال:** حين صدرت جريدة فتح في عمان في 15 حزيران 1970 لم يكن هناك أي خطة أو قرار مسبق لإصدارها. جاءت لتغطية وقائع المسيرة الضخمة المناهضة لمشروع روجرز التي شهدتها شوارع عمان في اليوم السابق، حيث اجتمعنا في الإعلام كمال عدوان وماجد أبو شرار وأنا واستدعينا حنا مقبل الذي كان آنذاك يعمل في الدستور، وربما كان معنا في الاجتماع ناجي علوش، ووضعنا الترتيبات مع مطبعة العمال التعاونية التي تعاونت معنا بحماس كبير، هكذا بدأنا. ولكن قبل أن نتحدث عن تجربة جريدة فتح سنتوقف قليلاً عند سبب صدورها.

مسيرة المئة ألف ضد مشروع روجرز

|| **نزيه أبو نضال:** بعد موافقة جمال عبد الناصر على مشروع روجرز، تقرر القيام بمسيرة كبرى في عمان، ضد المشروع، على أن لا يتعرض أحد

لعبد الناصر. ومن أجل ضبط الوضع اتفق على رفع يافطات بشعارات موحدة وأن لا يرفع اي فصيل اعلامًا او شعارات خاصة به، وبالفعل انطلقت مظاهرة المئة الف، بهدوء وفجاة وجدنا الجبهة الديمقراطية وقد رفعت في مقدمة المسيرة يافطة حمراء مخباة، وكان هذه المسيرة هي مسيرة الجبهة الديمقراطية، وأخذت تطلق الهتافات المناهضة لعبد الناصر.

كنت أسير انا وحنا مقبل في المسيرة، نزولاً من العبدلي وشارع السلط باتجاه المدرج الروماني، ورأينا ما حدث، وأخبرنا الشباب بان الجبهة الديمقراطية كانت تضع صورة جمال عبد الناصر على مؤخرة حمار، فهجم عليهم شباب فتح وأنزلوا الصورة بالقوة. وردًا على عدم الالتزام برفع اليافطات الخاصة أحضرت فتح مجسمًا هائلاً هو شعار العاصفة احتاج إلى عشرة شباب لحمله وسارت به ثم وضعته في صدر المدرج الروماني، صارت المسيرة لفتح، وفيها بعض المشاركين.

| زياد مني: نعم، وأنا كنت مع الصحفيين، وكان عندنا بعض «سائحي الثورة» الأوربيين، فكنت أقف مع وديع أبو سعدة والشهيد جورج شفيق عسل، فجاء كمال عدوان وهمس بأنهم مئة ألف، سألت وديع: ما قصة المئة ألف، فأجاب: أعداد المتظاهرين. لكنـي أظنها كانت أكبر بكثير.

| | **نزيه أبو نضال:** نعم، كانت أكبر. وكالتا رويتر والفرنسية قدرتا الرقم بأكثر من مئة ألف.

عرفات في مقر إعلام فتح المركزي

| | **نزيه أبو نضال:** في الرتوش الأخيرة، تسجل الحقيقة للتاريخ: أنا أعتقد الآن أن ياسر عرفات بحساباته الإستراتـيجية والتكتـيكية المركبة كان أذكى من الجميع بما يتصل بالموقف من رفض مشروع روجرز ولكن من دون التعرض لعبد الناصر.

| زياد مني: هنا أنا شاهد على الحادثة التالية: لما صارت مسيرة روجرز، ضد عبد الناصر، في عمان، ونزل مئة ألف إلى المظاهرات اكتشف أبو عمار بحساباته الاستراتـيجية، أنه من غير الممكن أن يكسب مع عبد الناصر ومع روجرز مهما فعل، فلتت الساحة، من يده، ونزلت الناس ضد عبد الناصر، وروجرز، لأن المانشيت في جريدة فتح كان (مئة

ألف يهتفون بسقوط مشروع روجرز ودعاته) لذلك اعتبر هو أن المقصود عبد الناصر، جاء للإعلام غاضبًا صارخًا، وكان أبو نضال وحده. حصل نقاش قصير خلف الباب الغرفة المغلق، لكن صوت القائد العام كان مرتفعًا. سمعت ردك عليه: لماذا ترفع صوتك علي؟! الجماهير هي من قال ذلك.

| **نزيه أبو نضال:** كنت بالفعل وحدي، عندما دخل وبدأ يهدر غاضبًا، فاكتشف أنـي استنفرت للرد، وكنت أنتظر الحركة التالية، فقد سبق ورأيته يتطاول على قادة كبار ولا أريد أن أسمي أحدًا، ولأنه لم يجد أحدًا (ينفّش) فيه، وخشية أن يتعرض لردة فعل اتكأ على طرف الشباك ووضع رأسه فوق يديه وصار يبكي، وهو يردد: أنتم ذبحتمونـي، أنتم ذبحتمونـي.

الشهيد كمال العدوان والعمل في الإعلام المركزي

| زياد مني: إحكِ لنا عن تجربتك مع الشهيد كمال العدوان.

| **نزيه أبو نضال:** كان العمل اليومي في جريدة فتح يتم بالتعاون بين ثلاثة هم كمال عدوان مسؤول الإعلام ونائبه ماجد أبو شرار وأنا كمسؤول مباشر عن الجريدة. كمال عدوان كان في مواقفه السياسية حازًا ومندفعًا وهذا جزء من تكوينه الشخصي. وكنت بعد مناقشة الوضع السياسي والموقف العام للحركة مع كمال وماجد، رحمهما الله، أتولى بنفسي كتابة افتتاحية جريدة «فتح». أحيانًا كان كمال عدوان يرى أن الخطاب السياسي حاد أكثر مما يجب . . فيطلب منـي تخفيف اللهجة ويقول لي: هذه الافتتاحية ستفتح علينا أبواب جهنم، حامية، نريد تهدئة الأمور.

أحاول أحيانًا، فلا أتمكن، أقول له: لا أستطيع لأن السياق المنطقي لمعالجة الموقف يقود حكمًا إلى هذه الاستنتاجات الحادة، فيرد: إذن أنا من سيكتب الافتتاحية.

يغيب زمنًا ويعود حاملاً الافتتاحية ونقرؤها سويًا مع ماجد فاضحك وأنا أشير إلى نقاط كتبها: هذه لهجتها أعلى بكثير من افتتاحيتـي، يثنـي ماجد على ما أقول! يضحك كمال وهو يتناول افتتاحيته قائلاً: انشر الافتتاحية التـي كتبتها أنت.

كان كمال عدوان بين القيادات الفلسطينـية التـي عملت معها أكثرهم صلابة وأشدهم وضوحًا وأقدرهم، ربما، على رؤية المختلف والتعامل معه

بروح ديمقراطية عالية. وبهذه الروح فقط استطاع عدوان، الذي تفرغ للمهام الحركية في نيسان (إبريل) 1968، أن ينجح في قيادة سفينة إعلام معظم الذين كانوا فيها يختلفون معه في الفكر والسياسة كما في المنابت الحزبية والأيديولوجية: ناجي علوش، منير شفيق عسل، ماجد أبو شرار، أحمد الأزهري، نزيه أبو نضال، أبو نائل، حنا مقبل . . كان رجلاً حقيقيًا في وقت ضعف فيه الرجال أمام سطوة السلطة والمال، وكان يؤمن بقوة بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين، ولذلك كان يتجنب الدخول في التفاصيل والهوامش، أو التلهي بما لا يجدي من النقاشات ليذهب إلى الهدف مباشرة.

بين نيسان 1968 ونيسان 1973، حين جرى اغتياله في بيروت، إثر توليه القطاع الغربي المسؤول عن عمليات الداخل، ترك كمال عدوان بصمة دم حارة على تجربة الثورة الفلسطينية المعاصرة، كتلك التي تركها بعده ماجد أبو شرار في روما، الذي سار على ذات الطريق في الإعلام وفي القطاع الغربي وفي الاستشهاد اغتيالاً على يد الأعداء الصهاينة.

شكلت جريدة «فتح» ظاهرة جديدة في تاريخ الصحافة الأردنية، فقد صدرت بقرار مفاجئ وفي اليوم التالي كانت 25 ألف نسخة في السوق، ومن دون أية ترتيبات أو تحضيرات إطلاقًا، وبعدها استمرت، وكان تحريرها يتم من قبل كادر بسيط جدًا في الإعلام، وكان معنا في العلاقات زياد منى شاهدًا على جوانب من التجربة، وكان يتولى إيصال الجريدة لبيروت للطبعة الثانية هناك.

بعد العاشرة ليلاً، كنت آخذ المواد إلى جريدة الدستور، كان حنا مقبل هو المايسترو والمخرج الفني للجريدة، يأخذ المواد، ينسقها ويختار عناوين صحفية لموضوعاتها. كان محترفًا ومبدعًا في اختيار المانشيتات لعناوين للمقالات، ومتميزًا في حقل الصحافة، وأحيانًا يساهم في الكتابة. لكنه بحكم عمله في الدستور لم يكن معنا في المطبخ اليومي للجريدة، فيما بعد حين انتقلنا إلى الشام وتفرغ للعمل، كان يأخذ دورًا قياديًا أكبر في مجال الإشراف على الجريدة وفي الكتابة.

عندما كان يبدأ بيع الجريدة، في شوارع عمان، ترتفع نداءات الباعة: فتح فتح . .

| زياد منى: بعض المغرضين كانوا يقولون: إن بعض الباعة من

المخابرات الأردنـية أو المعادين للثورة كانوا يصـرخون: فتح..
فتح بشِلِن!!.

. . فيتحول بيع الجريدة إلى مظاهرة سياسية، من بائعي الجرائد، والناس تهجم عليهم بالعشرات فيتمكنون بصعوبة من شراء نسخ لهم.

شكلت جريدة «فتح» تجربة لا مثيل له. كان هناك ما أسميناه، ثقافة الموقف الواحد، حتى لو تباينا قليلاً أنا وماجد وكمال، لكن عمليًا كنا على أرضية موقف سياسي ثقافي واحد، وكان أبو جهاد، وهو صاحب تجربة مجلة «فلسطيننا» يقول لنا: إن قارئ «فتح» أينما ذهب في موضوعات وزوايا الجريدة يجب أن يجد شيئًا تحريضيًا مفيدًا، حتى في الإعلان، وقتها أعجبتني الفكرة . . فكتبت سلسلة من الإعلانات عن «روجرزمايسين» و«فتحمايسين» و«كيف تتعلم الانحناء من غير معلم»، صارت الإعلانات قضية سياسية فكاهية، وأظن أن أبو زياد (علي فياض) قدّم عنها عدة دراسات وكانت جزءًا من أطروحته كشكل جديد من الكتابة الساخرة. وكان ماجد أبو شرار يقدم أحيانًا مادة بعنوان «جدًا»، وهي تصوير مبالغ فيه كالكاريكاتير عن سلوكيات معينة، وهكذا، تحولت الجريدة إلى شيء حاد حار ساخن، محرض. كانت قريبة من لغة الناس وموقفهم، وإلى جانبهم.

كان من بين كتاب جريدة «فتح» إلى جانب من ذكرت، وبصورة غير منتظمة ناجي علوش ومنـير شفيق عسل وغيرهما، وكان يسهم معنا بصورة منظمة الشاعر أحمد دحبور وكان مراسلاً ميدانـيًا متميزًا، والكاتبة الصحفية سلوى البنا وسلوى العمد ومحمد الظاهر وصالح زيتون وغيرهم.

آنذاك، وفي سياق الصراع والتنوع في صفوف الثورة، وبتنسيق مع القيادة السياسية للحركة قمت بإجراء سلسلة حوارات مع قادة فصائل العمل الوطنـي الفلسطينـي في الساحة الأردنـية، وأخذت «فتح» ضـمن هذه الروحية موقع الجريدة المركزية للثورة، وليس مجرد جريدة لفتح، وقد أدرت حوارات مطولة مع كل من: جورج حبش، نايف حواتمة، ضافي الجمعانـي (أبو موسى) عبد الرحيم أحمد، أحمد جبريل، سمير غوشة، وكان الوحيد الذي رفضت أن احاوره هو د عصام السرطاوي رئيس «الهيئة العاملة لتحرير فلسطين». كنت أرى أنه ليس بمستوى أن نعمل معه حديثًا؟ كان طبيبًا ومنشقًا عن فتح وعاد إليها ثم عاد وانشق عليها. كان عليه علامات استفهام كما يتصل في كثير من المسائل. وقتها جاءنـي أبو إياد (صلاح خلف) وقال لي:

تولى ضباط تلك القوات القيادة العسكرية في عمان إلى جانب قيادة الميليشيا، وكان على رأسها آنذاك أبو داود (محمد عودة)[4] وأبو إبراهيم (ناجي علوش). فجرى انتدابي مع عدد من العاملين في جريدة «فتح» إلى موقع إذاعة الثورة المعروف باسم «زمزم 105». كانت الإذاعة آنذاك، بعد توقف صدور الجريدة، المصدر الوحيد لإعلان موقف الثورة وأخبارها.

كان المسؤول عن الإذاعة رجي عوض القادم من القاهرة وهو شقيق أبو أكرم مسؤول الزرقاء، وكان من أبرز المشاركين في الإذاعة الحاج خالد (خالد مسمار) وعزمي خميس ويحي رباح وحنا مقبل ورسمي أبو علي وسلوى العمد، وكان يتواجد معنا المرحوم صخر أبو نزار (يحيى حبش) وكنت من الذين يكتبون تعليقات سياسية وتعبوية وساخرة على مدار اليوم، كما كنت لغايات متابعة الأخبار والموقف الفلسطيني واستلام التعليمات والتوجيهات المركزية على تواصل مستمر مع أبو عمار ومع القيادة الفلسطينية التي كانت بمعظمها معه أينما يذهب: في جبل الحسين أولاً، ثم في غرفة عمليات أبو المعتصم في جبل الأشرفية، وأخيرًا في بيت حنا مقبل قرب الإذاعة.

| زياد منى: أرجو أن تحدثنا حديث شاهد عيان عن «اختفاء» القائد العام في خزانة الملابس ذلك أنه سرت إشاعات مغرضة عن الموضوع.

|| **نزيه أبو نضال:** في أحد الأيام كانت اللجنة التنفيذية المركزية، وقيادة الفصائل مجتمعة في غرفة العمليات، وكنت أنا موجودًا وكذلك كمال عدوان، كانت الغرفة واسعة تقسمها خزانة ملابس ضخمة في الوسط، ويجلس أمامها أبو عمار، وحوله كراسٍ يجلس عليها أعضاء القيادة الفلسطينية، وخلف الخزانة يوجد سرير لمن يود أن يرتاح عليه. كان أبو عمار جالسًا أمام الخزانة، وفجأة اخترقت جدار الغرفة الإسمنتي قذيفة مدفعية دبابة مباشرة من منطقة جبل النظيف، اخترقت الجدار، واصطدمت بالحائط الصخري، خلف الخزانة، ولحسن الحظ، لم يكن يوجد في القذيفة رأس متفجر، كانت كتلة حديد هائلة استطاعت أن تخترق الجدار، وأدت قوة ارتطامها بالصخر إلى

(4) أبو داود (محمد داوود عودة) ولد في 1937/5/19 في بلدة سلوان القريبة من القدس. عمل مدرسًا في الأردن والسعودية. حصل على شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة دمشق العام 1967. عين قائداً لقوات المليشيا في عمان لحين مغادرة الثورة العام 1971. ثم في بيروت، اعتقل في عمان وحكم عليه بالإعدام وأطلق سراحه 1973. تعرض لمحاولة اغتيال في بولندا 1981. عضو في المجلس الثوري للحركة منذ عام 1970 وعضو في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام 1974 ولغاية وفاته في 4 تموز 2010.

جعل الخزانة تتقلب مباشرة فوق أبو عمار، وكنت أنا بالصدفة أقف أمامه، فتلقيت الخزانة الضخمة، وحلت دون سقوطها عليه، وكانت أول ردة فعل لأبو عمار أن قال: كُشفنا. لنغادر المكان فورًا، وخلال أقل من عشر ثوانٍ كان على الشارع يركض منحنـيًا وسط إطلاق نـيران الرشاشات الثقيلة من المريخ والنظيف ومن المناطق المقابلة التـي كانت تضرب على أي شيء متحرك في الأشرفية.

كانت النقطة الآمنة الجديدة التـي استقر فيها أبو عمار وتحول إلى مقر القيادة الفلسطينـية بيت حنا مقبل، الذي كنت أقيم وأنام فيه خلال معظم أيام أحداث أيلول.

وحين توفي جمال عبد الناصر في 28 أيلول، كنا في نفس البيت حيث صاغ نايف حواتمة بيان نعي القيادة الفلسطينـية، وقد استهله بعبارة «انتقل إلى الرفيق الأعلى . .»، فعلق أحد قادة فتح: [ليش إنتو نظمتوا ربنا].

| زياد منى: بعد أيام من وفاة القائد الكبير جمال عبد الناصر خرجتُ برفقة مجموعة من الأسرى مع وفد الجامعة العربية الذي تشكل إثر اتفاق القاهرة (وكانوا يسمّون «العلم الأخضر») من المعتقل الأردنـي وكنا في «مدرسة المشاة» بالقرب من مدينة الزرقاء. خرجت ولم أعرف إلى أين. ذهبت إلى مقر الإعلام المركزي فوجدته مدمرًا وعلى مدخل المخيم قوات البادية "الباسلة". التجأت لفترة قصيرة إلى أقارب أعزاء شجعان فتحوا لي أبواب بيتهم وقلوبهم، ومن ثم سمعت بأن الكل متواجد في جبل الأشرفية فتوجهت إلى هناك وفوجئت بترحيب حار من الأخوة من «الإعلام المركزي» غير مصدقين لما يرون حيث سرت إشاعة بأنـي قتلت في المعارك.

نعود إلى بداية المعارك. نعم ونايف حواتمه كان مع أبو عمار طوال الوقت، وأنا بقيت معه أول يومين أو ثلاثة على ما أذكر، في جبل الحسين ثم توجه إلى وسط البلد ومن هناك إلى جبل اللويبدة في نهاية المطاف، وكان يتنقل من بيت إلى بيت، ويتصل مع قيادات أردنـية لتهدئة الوضع. ومرة اتصل مع عبد المنعم الرفاعي وبهجت التلهونـي، وبعدها كشفت قوات البادية "الباسلة" البيت وقصفته، ما يناقض ما سمعناه من تبادل رسائل قواتهم على اللاسلكي من ضرورة القبض على أبو عمار حيًا وقتل جورج حبش. ولا أعرف ما حدث للقائد العام حتى سمعنا أنه وصل إلى القاهرة.

تركته مع حراساته حيث يبدو أنـي صرت عالة عليهم لأنـي لا أعرف

المنطقة وعدت إلى مقر الإعلام المركزي حيث بقينا هناك، ثم جاءنا أمر الشهيد ماجد أبو شرار للانسحاب إلى المخيم ذلك أن المركز كان يقع على أطرافه. وفي تلك المنطقة من جبل الحسين وتحديدًا عند دوار مكسيم (أي: ساحة، واسمه: دوار فراس العجلوني) اعتقل أبو لطف وأبو إياد.

|| **نزيه أبو نضال:** خلال أحداث أيلول بقينا نحن في بيت حنا، معظم الوقت، وكانت الإذاعة قريبة من بيته، لكن حتى تصل إلى الإذاعة والمسافة أقل من 12 مترًا على ما أظن، كنا معرضين للموت أكثر من مرة لأن الرشاشات من المناطق المقابلة لم تكن تكف عن الإطلاق.

كان الموت في الشوارع. وكان الناس في الهول العظيم يحتضنون خوفهم وأطفالهم، وحيث لا يلوح أفق خارج الحصار، حصار النار والجوع والعطش والموت، ومئات القتلى في الشوارع لا يجدون من يدفنهم. فماذا هم فاعلون؟. وكل يوم يمر بألف عام؟!.

| زياد منى: لكن يجب أن نذكر سبب اعتقال كل من أبو اللطف والقائد الشهيد أبو إياد وغيرهما. في ليلة أيلول الأسود كان القائد العام يحضر مع أخوانه للمعركة القادمة، وتم وضع ألغام مضادة للآليات في الشارع الذي يقود إلى دوار مكسيم، وأمر بالاستعداد للمعركة في الليلة التالية، وكان ثمة استنفار درجة قصوى بين كافة العناصر والكوادر. كنت وقتها أحمل رسائل منه إلى الشهيد ماجد أبو شرار وبعض أعضاء الأخوة القيادة في مقر الإعلام وبالعكس. جاء أبو اللطف إلى مقر الإعلام المركزي في الحسين وألقى محاضرة لم أحضر إلا جزء منها، وبشر الجميع بأن تعيين محمد داوود رئيسًا للوزراء دليل على هزيمة النظام الأردني وقال في نهاية خطبته العصماء: روحوا على بيوتكم، انتصرنا. هو وأبو إياد ذهبا إلى بيت قريب للأول في جبل الحسين، ربما للاحتفال بالنصر الذي بشر به. بعض الأخوة في الإعلام المركزي صدقوه وذهبوا فعلًا إلى بيوتهم. في اليوم التالي بدأ هجوم قوات البادية "الباسلة" على عمّان. بدأ بقصف همجي عشوائي مكثف بينما كان رصاص القناصة يستهدف خزانات الماء أعلى البيوت بهدف تعطيش الشعب. عمل انتقامي همجي خسيس استهدف المدنيين بالدرجة الأولى. كنت وقتها مستلمًا إدارة «الإعلام المركزي» ذلك أن استمرار الاشتباكات مع قوات البادية حد كثيرًا من زيارات الوفود الأجنبية، بينما تجمع الصحفيون في فندف الانتركونتيننتال الواقع في

جبل عمان والذي كان يعد منطقة ساقطة عسكريًا بسبب وجود مقر المخابرات فيه إضافة إلى معظم السفارات. قضيت الليلة نائمًا على كنبة عند مدخل المبني البسيط. مع ساعات الصباح الأولى رن الهاتف فقفزت للإجابة ظانًا أنه من القيادة. لم يجب أحدٌ فأقفلت الخط. بعدها بقليل رن الهاتف مرة أخرى وما إن رفعت السماعة حتى سقطت قذيفة مدفعية على طرف المبنى، فقفزت إلى الملجأ المقابل، والقذيفة الثانـية سقطت عند مدخل المبنى.

ليلة (الله أكبر) في عمّان

| | **نزيه أبو نضال**: ليل اليوم الخامس من أيلول لم تشهد عمان في تاريخها ليلاً أكثر سوادًا . . ملايين المشاعر التـي تراكمت عبر الأيام الخمسة العظيمة اندفعت كطوفان خرافي يجتاح المدينة من أقصاها إلى أقصاها . . من أين؟. كيف؟. لا أحد يدري لكنه الطوفان.

شاهد

كنتُ ليلتها في جبل الأشرفية، وكان القصف قد هدأ قليلاً . . نظرت إلى المدينة المعتمة بحنان وحب وإشفاق وإعجاب، الحرائق تنتشر هنا وهناك . . وطلقات متفرقة ومتباعدة تنطلق من أمكنة مختلفة بين الحين والآخر . . ولكن الصمت «الأسود» كان السيد.

كنت أشعر أن هذا الصمت ليس صمتًا عاديًا . . كان قلقًا متحفزًا . . فملايين المشاعر المكبوتة تحت القصف المدمر المستمر منذ خمسة أيام، لا يمكن أن تظل محبوسة.

كنت أنتظر أن يحدث شيئًا . . ما هو؟. لا أدري . . قد يكون مزيدًا من القصف المدمر ينهال مرة واحدة، قد يكون أي شيء . . وقد لا يكون شيئًا . لكن المؤكد أن أمرًا ما لا بد أن يحدث!!.

| زياد منى: كان القصف قد وصل إلى اقصى درجات الوحشية، حتى بمقاييس ذلك النظام المجرم. كنت وقتها في مخيم جبل الحسين، وجزء كبير منه كان من براكيات التنك التـي بالكاد تتحمل هواء عمان الجبلي العاتـي. قوات البادية "الباسلة" كانت تقصف المخيم بالمدفعية الثقيلة، وعدد الضحايا من الشهداء والجرحى في تزايد مخيف. لم

تكن هناك مشافٍ في المخيم ولا ملاجئ. لم يكن ثمة أي تنظيم لإدارة المعركة. الجرحى كانوا يموتون بسبب عدم توافر الأدوية، ثم كان هناك جواسيس النظام. فقد حصل أننا كنا نمر في فترة هدوء متقطعة. كنا نجلس في الطرقات في شارع المخيم الرئيس نحاول الاستراحة. حصل وقتها أن عددًا كبيرًا من العناصر المقاتلة كانت فيه، وكثير منا يحاول البحث عن طعام. في نهاية الأمر عثرنا على صاحب بقالية فتح دكانه كي يبيعنا معلبات. فجأة سمعنا إطلاق نار من ناحيتنا باتجاه قوات البادية وجاء الرد مدويًا ومركزًا على شارع المخيم الرئيس وسقط عدد كبير من الشهداء والجرحى وكثير منهم كانوا مدنـيين لا علاقة لهم بالقتال. كان منظرًا مريعًا رؤية أجساد كل هؤلاء الشباب في عمر الورود تنزف وأنت لا تستطيع عمل شيء باستثناء انتظار موتهم كي يدفنوا أو تحرق جثثهم لمنع انتشار الطاعون. كنت وقتها مع الأخ صلاح التعمري. بقينا سوية لا نفترق إلا قليلاً حيث يذهب كل منا للنوم سويعات قليلة. لا أعرف أين كان مقره ولكنني كنت وأخوانًا من الحركة أذكر منهم الأخ كامل حسن المسؤول في المالية المركزية ننام في الطرقات أو عند أحد الأخوة العاملين في الإعلام المركزي من سكان المخيم، وأذكره بالخير واسمه، على ما أذكر، محمد البحري.

| **نزيه أبو نضال:** الرد جاء من السكان. من بعيد انطلق نداء طويل حزين وغاضب لم أميز ملامحه . . تكرر النداء أقوى قليلاً وأكثر وضوحًا: الله أكبر . . الله أكبر . .

كان الصوت يائسًا ومبحوحًا وغاضبًا كأنه قادم من أعماق بئر مهجور منذ ألف عام.

تردد النداء مرة أخرى واتسع . . أكثر قوة ووضوحًا . . مزيد من الأصوات انضمت الى الصوت الأول تهتف بحرقة وألم وتحد: الله أكبر . . الله أكبر . . مختلف أنحاء المدينة تجاوبت مع الصوت الأول تردد النداء: الله أكبر . . وأخذ الصوت يتنقّل من بيت إلى بيت، ومن حي إلى حي، ومن جبل إلى جبل . . كموج البحر تدافع موج الأصوات في أنحاء المدينة المعتمة . . الأصوات تعلو . . وتعلو، والهدير الحزين الغاضب يجتاح عمان.

الله اكبر . . الله أكبر . . الله أكبر.

| زياد منى: اركان المخيم جميعها والجبل كانت تهتز بفعل النداء الذي اجبر حتى قوات البادية "الباسلة" على التوقف عن قصف المدينة.

مئات الالاف من البشر الغاضبين المذبوحين يستعينون بالله الأكبر على النظام الأردني السفاح، على «جزار أيلول» و«ذباح عمان» كما كان صاحب الجلالة مليك البلاد المفدى الحسين المعظم، يعرف في أوساط شعبنا.

| **نزيه أبو نضال:** ومن بين البيوت المعتمة خرجت أشباح آدمية بلا موعد، تتدافع من الأزقة والشوارع لتشكل طوفانًا بشريًا يتحرك في كل اتجاه وفي اللااتجاه، والنداء الغاضب الحزين لا يتوقف لحظة مع تدافع الجموع: الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . كل المدينة تردد النداء . . عاليًا. عاليًا يملأ الأجواء.

الشاهد خارج إطار الوعي

وفي وسط العتمة الغاضبة ومع النداء الذي تردده المدينة كلها، رأيت الله يتجول على جبال عمان المدمرة المحترقة الجائعة والخائفة والصامدة.

رأيت ملايين الأشباح تخرج من قلب الأرض ومن قلب العتمة . ..

إناء التاريخ انقلب مرة واحدة، وتدافعت منه وبلا انتظام كل الخرافات والأساطير القديمة . . المدينة تموج بالأصوات والأشباح والرقص والحزن والغضب والألم . . توحد الشعب بصوت . . بنداء . . واندفع من كل مكان، إلى لا مكان، كتلة غير مفهومة . . كتلة من العتمة، ورفض الخوف والرصاص وجوع وعطش الأطفال.

تلك كانت عمان التي جابهت الموت بالموت، لم تركع ولم تسلّم.

وانتصرت على الخوف بالخوف. انتصرت بصرخة: الله أكبر، وظلت روحها في الأشرفية صامدة . . آه يا عمان! يا مدينة الله . . .

| زياد منى: نزار قباني قال في وصف المنظر:

حين رأيت الله في عمّان/ مذبوحًا على أيدي رجال البادية/ غطيت وجهي بيدي وصحت/ يا تاريخ، هذه كربلاء الثانية.

قيل وقتها إن خروج الجماهير المكبرة كان ردة فعل على وصول خبر أن القائد العام بخير وأنه لم يقتل. لكنني أشك في ذلك لأنه لم يصلنا خبر أو إشاعة أنه استشهد. علمنا بخبر اعتقال كل من أبو إياد وأبو اللطف وبيانهما من الإذاعة ومن التنصت على مخابر قوات البادية "الباسلة". كنا نسمع اتصالات قيادتها وأوامرها بإلقاء القبض على

أبو عمار حيًا فقط، وضرورة قتل جورج حبش. كما كنا نسمع عبره أخبار اشتباك اللواء أربعين (كانوا يسمونه على اللاسلكي: لواء الله [كذا!]) الذي يعد طليعة ألوية قوات البادية تدريبًا وتسليحًا، بالقوات السورية وقوات جيش التحرير الفلسطيني (قوات حطين) التي تدخلت دعمًا لقوات الثورة الفلسطينية أو للعمل الفدائي.

* * *

|| **نزيه أبو نضال:** في الثاني عشر بدأت مساعي التسوية العربية لوقف إطلاق النار، وكان أول شيء فعله الرئيس جعفر النميري والوفد المرافق بعد وصولهم إلى عمان هو محاولة الاتصال بالأخ أبو عمار وقد بدأت المحاولة من خلال إذاعة عمان حيث تم توجيه رسالة صوتية من الرئيس النميري يطالب فيها الأخ أبو عمار بتحديد مكان الاجتماع، وجاء رده على رسالة الرئيس النميري في نفس الليلة حيث أذاع من صوت العاصفة (زمزم 105)، صوت الثورة الفلسطينية الرسالة التالية:

«الأخ الرئيس جعفر النميري، سمعت نداءكم الموجه إلينا من إذاعة عمان من أجل لقاء عاجل وفوري يجمعنا. وتلبية لندائكم أقول: ليكن الاجتماع الليلة وفي حدود الواحدة. ونقترح أن تصلوا بسياراتكم عبر الطريق الموصل من فندق كارافان إلى مدرسة عالية إلى مقر سفارة الجمهورية العربية المتحدة في جبل اللويبدة. سيصلكم مندوب منا ليرافقكم إلى مقر الاجتماع. لقد عممنا على قوات الثورة في جبل اللويبدة لتأمين وصولكم وعدم التعرض لسياراتكم. وسيكون أكثر أمنًا لمسيرتكم لو شددتم على الطرف الآخر بالتقيد بوقف إطلاق النار بجبل اللويبدة هذه الليلة. وإلى أن نلتقي بكم، لكم التحية من إخوانكم المناضلين».

وقد تم اللقاء في مقر سفارة الجمهورية العربية المتحدة في جبل اللويبدة.

ولكن كان ما يحدث رغم كل المظاهر الخادعة، ومن بينها القوات العربية الخضراء، مجرد خطوات في حفل تأبين لم يعلن!.

بعد وقف إطلاق النار الهش في نهاية أيلول جرى إصدار متعثر لجريدة «فتح» من مركز إعلام جديد مع ماجد أبو شرار وإبراهيم بكر وحنا مقبل ورشاد أبو شاور وأحمد دحبور وآخرين، وعمال مطابع بواسل في شارع المحطة.

لكنها لم تلبث أن توقفت، وانتقلنا أنا وحنا مقبل إلى الشام لإصدارها من

هناك، حيث كان أبو حاتم (محمد أبو ميزر) قد تولى مسؤولية الإعلام.

| زياد منى: بعد مجازر أيلول انتقل عملنا إلى مقر «الإعلام الموحد» في جبل اللويبدة حيث تعرفت هناك إلى الأخ العزيز المرحوم أحمد الجمل والشهيد كمال ناصر والشهيد ماجد أبو شرار وإبراهيم بكر رحمه الله والشهيد حنا مقبل ورشاد أبو شاور والصديق أحمد دحبور الذي كنت أشاركه السكنى جنبًا إلى جنب الأخ العزيز علي فياض في «مضافة فتح» التي كانت مقابل أحد قصور جلالة المليك المفدى، وبسام أبو شريف «الناطق الرسمي باسم مطار الثورة» وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم. وماذا عما قيل عن الاتصال بالسفارة الأمريكية؟.

|| **نزيه أبو نضال:** أذكر في آخر أيامنا في عمان أن اتصلت بنا السفارة الأميركية يطلبون أعداد جريدة «فتح» المفقودة خلال الأحداث، فاستنفر أصحاب الرؤوس الحامية في الحركة: لا لا ترسلوا لهؤلاء الأعداء شيئًا. لكنني أصررت على إرسالها. ولاحقًا من دمشق جمعنا عدة نسخ من مجلدات جريدة «فتح» وأرسلتها لمكتبة الكرملين في موسكو و«مكتبة الكونجرس» الأميركية، عن طريق سفارة البلدين، قلت لنفسي: «في ظل أوضاعنا العربية المضطربة بالنكبات هناك فقط يمكن في المستقبل العثور على جريدة «فتح».

وبقيت نسخة مع أبو حاتم ونسخة للإعلام انتقلت مع مكتبة حنا مقبل إلى قبرص، وبعد اغتياله هناك على يد جماعة أبو نضال البنا ابتاع مكتبته علي إسحق لصالح جبهة تحرير فلسطين ومعها مجلد جريدة «فتح».

الإقليمية في تجربة الأردن والخلل السياسي الاستراتيجي

| زياد منى: لماذا هزمنا في الأردن؟. نحن لم نهزم عسكريًا، لكننا هزمنا سياسيًا. في نهاية المعارك كان معظم الأردن في أيدي قوات الثورة، وكذلك معظم أنحاء عمان: وسط البلد ويحوي المصرف المركزي ومقسم الهاتف والبريد وكذلك الوحدات والأشرفية وبعض جبل الحسين. أما في خارج عمان فكانت المنطقة كلها بدءًا من صويلح إلى المفرق في يد قوات الثورة، عدا مناطق منعزلة كانت قوات البادية "الباسلة" تحتلها. هزمنا سياسيًا بسبب التنازلات المستمرة وأولها تسليم سلاح الميليشيا. اعلم أن سؤالي كبير كبير يحتاج ربما إلى مجلدات للإجابة عنه، ولكن ماذا تقول بجربتك العيانية في هذا المجال؟.

|| **نزيه أبو نضال:** لعل في مقدمة أسباب الهزيمة في تجربة الأردن والخلل

الاستراتيجي السياسي المركزي إقليمية فتح الفلسطينية التي قسمت الشعب الواحد إلى فلسطيني وأردني، كما قسمت المنظمات والاتحادات الشعبية، وحيث اقتصرت عضوية فصائل الثورة تقريبًا على الميليشيا الفلسطينية والمقاتلين الفلسطينيين. هذا بالطبع إلى جانب الخراب في الجوانب الأخرى، ومن نماذجها «القواعد الثورية» في الجبل الأخضر برعاية أبو اللطف، وقواعد الشيوخ في الشمال بقيادة الشهيد أبو جهاد!.

وبالطبع أنا لا أتجاهل هنا الدور الذي لعبته قوى وأجهزة النظام الأمنية المضادة التي كانت تعمل كل شيء لحسم ازدواجية السلطة لصالحها.

في المقابل الافتراضي، لو أن الممارسة الميدانية لقوى الثورة كانت مبنية على رؤية فكرية وتنظيمية عربية لعملية الصراع، وعملت على حسمه بهذا الاتجاه فقد كان يمكن تلافي العديد من الكوارث الإقليمية التي أوصلتنا إلى الهزيمة في الأردن. ولنتأمل مجرد بعض النماذج التي كنت شاهدًا عليها بنفسي.

في السلوك اليومي وبسبب الصدامات والمواجهات، التي كانت شبه يومية مع قوى النظام الأردني، ما الذي كان يحصل؟. الميليشيا الموجودة في الشوارع، وفي الأحياء، هي ميليشيا فلسطينية، على الأغلب الأعم، رغم وجود مشاركات أردنية في القيادات الموجودة، لكن في الآخر، هذا الجسم المقاوم هو جسم فلسطيني، وعندما كانت تخرج طلقة من حي معين على مجموعة ما، دورية أو كمين . . إلخ، فقد كان يتم الذهاب فورًا إلى مصدر الطلقة المفترض، حيث تجري عمليات مداهمة وتفتيش لبيوت الأردنيين فقط باعتبارهم المتهمين، فيتم استحضار أو اعتقال أصحابها وتوجيه التهمة إليهم باعتبار من أطلق النار هو أردني، وفي تقديري أن هذا بالضبط ما كانت تخطط له أجهزة النظام.

| زياد مني: حدثت محاولات انقلاب عديدة شارك فيها «أردنيون» ومنهم اللواء علي الحياري وهو من السلط وتعرفت إليه في طرابلس الغرب، كما شارك أيضًا شركس ومنهم المرحوم عصمت رمزي الذي رأيت آثار التعذيب على رأسه، وغيرهم كثيرون. لسنا في حاجة إلى تأكيد هذا.

غضبة عيسى بطارسه

| **| نزيه أبو نضال:** ومن ذلك ما حدث كثيرًا خلال المواجهات العسكرية المختلفة مع النظام الأردني، كما في شباط وحزيران وأيلول 70، في أحد

الأيام زرت صديقي الشاعر العروبي والقومي الملتزم عيسى بطارسه الذي كان صديق العمر ولا يزال، وجنّد شعره من أجل فلسطين وقضايا الأمة. . فوجدته منفعلاً ثائرًا غاضبًا . . فقد أخذوه أكثر من مرة وحققوا معه وأهانوه، لأنه خرجت من المنطقة الموجود بيته بها رصاصة قناص على موقع ميليشيا. هكذا اتهم عيسى وعوقب من قبل الطرف الذي يناصره، وهو الطرف الفلسطيني، فقط لأنه أردني، صار كل أردني متهمًا. فصرخ بوجهي مطلقًا أقسى شتائمه ضدي وضد الفلسطينية وضد فتح والمقاومة: «فكوا عن ربنا، لا نريد لا فلسطين ولا فلسطينية في الأردن».

حين سمعته ارتعبت، قلت لنفسي: إذا كان مثل هذا الشاب المثقف، والملتزم القومي وصلت عنده الأمور إلى هذا الحد من الاحتقان فماذا سيكون موقف الأردني البسيط أمام هكذا ممارسات!!. خرجت من عنده راكضاً، لم أنتظر سيارة، وصلت عند كمال عدوان وأخبرته بما حدث وقلت له: هذه نذر الكارثة، إذا وصلت الأمور عند هذا الشاب إلى مثل هذا الحد، فمعنى ذلك أن كل الشعب الأردني صار ضدنا، وإذا لم نسرع لتدارك الأمر ومعالجة الآثام التي تمارس كل يوم في الشارع ضد الأردنيين . . فاقرأ على الثورة الفلسطينية في الأردن السلام.

لكن كما يبدو ما عاد هناك وقت لفعل شيء. ولو كانت فتح، وهي الجسم الرئيس للثورة تسمح بعضوية العربي داخل صفوفها، كنت ستجد آلاف الأردنيين داخلها، ولكن لم يكن هناك أي أردني، ولو كان هناك في الموقع الذي تعرض لإطلاق النار عناصر أردنية، فلا يمكن أن أذهب فقط إلى البيوت الأردنية، كأردني، لأبحث عمن أطلق النار، لأنه من الممكن أن يكون القاتل أو مطلق النار أردنيًا كما يمكن أن يكون فلسطينيًا فليس للمخبر أو الجاسوس جنسية ولا دين.

| زياد منى: دعني أناقش الأمر هنا، فقط من أجل إثراء النقاش[5]، كي نطرح مختلف وجهات النظر ونتمكن من إلقاء نظرة شمولية على الأمور، لكنني بكل تأكيد أوافقك على بعض النقاط. لكن كراهية الشعب الفلسطينين للنظام الأردني كانت ردة فعل على قهره وتآمره على فلسطين وشعبها وثورته. ردة الفعل هذه كانت خارجة عن السيطرة في بعض الأحيان، لكنها لم تكن موقف عصبي من الأردن والأردنيين. نايف حواتمة أردني ومسيحي، ولم يعارضه أحد انطلاقا من ذلك وإنما بسبب مواقفه السياسية الانهزامية والاستسلامية التي

(5) for the sake of argument

طلاها بلون أحمر[6]. وضافي الجمعانـي قائد الصاعقة الأسبق كان أيضًا أردنـيًا. في كلامك أقرأ حساسية تشبه حساسية الفلسطينـي تجاه النظام الأردنـي وخطأ ربطه بالمطلق بالشعب. النظام الأردنـي نفسه لم يكن يثق بجيشه الذي كان في معظمه من الفلسطينـيين، فأرسل قوات البادية "الباسلة" التـي لا تعرف إلهًا سوى المليك المفدى!. عند الحديث عن «التجاوزات» لابد من ربطها بممارسات النظام الأردنـي تجاه فلسطين وأهلها.

مع ذلك، أود ذكر أمر للتاريخ فقط وللذكرى. عندما كنت أدرس في بريطانـيا عام 1968، أبلغنـي بعض الأساتذة في الكلية التـي كنت أدرس فيها أن دانـي شمعون [أم دوري؟] كان يدرس في الجامعة الملاصقة لها وأنه عرف بحماسه الشديد لفلسطين ونقده اللاذع للغرب ولبريطانـيا تحديدًا بسبب مسؤوليتهم عما حل بنا من كارثة إبان احتلالهما أرضنا. في الوقت نفسه كان معي في الكلية شاب لبنانـي «مارونـي»، كان يحاول تحريض الشباب الفلسطينـيين واللبنانـيين المسيحيين ضدي حيث كان عاشقًا لجلالة المليك المفدى. كان يقول لهم، أمامي: ولاك، إحنا مسيحية؛ لازم نتضامن مع بعض. رفضوا جميعهم. كانوا يردون بالقول: إحنا فلسطينـية. اللبنانـي كان يدرس هندسة طيران، كان يرد: أنا عربي. أنا مع فلسطين. الحرض كان مارونـيًا؛ لكن دوري شمعون كان أيضًا مارونـيًا.

العائلة السجينة

|| **نزيه أبو نضال:** إليك مثالاً آخر على تلك الممارسات. ذات يوم اتصلت بي عائلة صديقي نزيه خوري الذي اخترت اسمه كاسم حركي لي. استغاثوا بي عبر الهاتف أن جارهم، وهو قيادي كبير في المقاومة من «جبهة التحرير

(6) «المليك المفدى» اعترف في لقاء مع مجلة أمريكية بانه كان يتقاضى أموالاً من وكالة الاستخبارات المركزية، لكنه استدرك بالقول إنها كانت تصرف لتطوير الجيش!. وفي مقال آخر او في كتاب، ولا اذكر التفاصيل هنا، قال إنه حول منها مئة وخمسين ألف دولار إلى نايف حواتمة لتساعده في الانشقاق عن جورج حبش. لكن كان لقيادات حركة فتح دورٌ مهمّ في ذلك الانشقاق حيث ارسلت قواتها، ومعها «الصاعقة» لحماية فلول الجبهة الفارة من قوات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وكان لها دور في انشقاق الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وانشقاق جبهة التحرير الفلسطينـية، وانشقاق المنشقين عنها، ثم انشقاق العديد من الحركات والتنظيمات اللبنانـية. ولاشك في ان تلك القيادة مارست ادوارًا مماثلة في انشقاقات أخرى حيث تبين وجود قائمة «عربية» للقبض منها ضمت وجوهًا معروفة في مختلف الميادين.

العربية» «التابعة لبعض العراق - ز م» قد أغلق بالطوب المدخل الوحيد للدرج الموصل لبيتهم في جبل حسين، والذي يستخدمونه منذ سنوات طويلة، معتبرًا أن هذا الدرج، تهوية، له، وليس من حق هؤلاء الجيران استعماله، رغم أنه ليس عندهم أي طريق بديل لبيتهم غيره. كان هناك فقط شباك صغير يفتح على حوش الجيران، من الناحية الثانية وكان الأب كبير السن ويعمل في البريد، كأمين مستودع، يدخل منها لينزل إلى عمله، وكذلك الأم (تتعربش) لتخرج من البيت عند الضرورة القصوى. شيء مهين ومذل ومؤلم، وكان أولادهم الشباب يعملون خارج الأردن. اتصلت العائلة بي وأخبرتني بالوضع، فأبلغت قيادة فتح بالمهزلة. قالوا بما أن فيها «جبهة التحرير العربية»، فهذه مهمة الكفاح المسلح الفلسطيني، فذهبت إلى منير الريس، وكان مسؤول الأمن في الكفاح المسلح وهو محامي وشاعر، وضعته في صورة الوضع المهين للعائلة.

فقال: يجب أن تراجع أولاً أمانة عمان وتحضر منها المخططات اللازمة لنعرف لمن الحقوق.

قلت له: يا رجل توجد عائلة وضعت في السجن، والوضع لا يحتمل. يعاد فتح مدخل الدرج كما كان ثم تبحث أمانة عمان الحقوق.

قال: أنا لا أستطيع أن أعمل شيئًا. هذه تحتاج إلى قرار من أمانة عمان.

حاولت أن أبيّن له بشاعة الوضع وضرورة التدخل لكن من دون جدوى.

نزلت إلى الأمانة وإذ بالموضوع يستغرق أسابيع، وبالطبع الشرطة لا تتدخل وعلى مدخل الدرج مسلحون لحراسة بيت القائد الفلسطيني.

وها أنا أجد نفسي وقد وقفت عاجزًا تمامًا، عن فعل أي شيء!!

فما الذي أنقذ هذه العائلة؟ أيلول الأسود!. وقتها هدم السور، والناس تنفست الصعداء. هل رأيت أين الكارثة؟.

وحين وقعت أحداث أيلول، التقيت بجار لنا في جبل النظيف، اسمه أبو فايز دُمر بيته بقصف هاوزر الجيش الأردني لأنه كان قريبًا من موقع عسكري لفتح.

قلت له: الحمد لله على السلامة، هل رأيت ما فعله الجيش الأردني بك؟

فقال: [والله على قلبي مثل العسل، المهم، يطردوا هالفلسطينية من عندنا].

كان المواطن الشرق أردني يرى في الشارع سلطة فلسطينية تعتدي عليه فيما نظامه الأردني الذي كان على عداء طويل معه قد بات مغيبًا فكان أن اختار قذيفة هاوزر يطلقها جندي أردني وتهدم بيته كي يخلصه

من عنصر ميليشيا فلسطيني يهينه أو يعتقله، وهنا بالضبط بشاعة الاختيار. كانت مصلحة النظام أن يفرّق وكانت مصلحة الثورة أن توحّد لكنها فعلت العكس تمامًا. ونحن حين ننتقد خطايا المقاومة هنا إننا لا نمنح صكوك براءة لأعدائها.

كان تدهور الأمور مريعًا فقبل عام فقط أي في عام 1969، كانت شقيقاتي وبعض نساء الحي قد شكلن لجنة اسمها كنزة الفدائي، وكانت نسوة الحي، وهو حي شرق أردني بمعظمه، وكانت عضوات اللجنة تلف على البيوت بيتًا بيتًا، فإما أن تحيط كنزة أو تدفع ثمن صوفها لتصنعها امرأة ثانية، وخلال وقت قياسي قدمت هؤلاء النسوة الأردنيات الطيبات من منطقة جبل النظيف، مئات الكنزات، ومع كل كنزة رسالة من أم أردنية مجهولة لابن فدائي يقاتل العدو الصهيوني، وكانت أم فايز واحدة من هؤلاء الأمهات.

لعلها تبدو قصصًا صغيرة، ولكنها تكشف حجم الخراب الذي مارسناه في الأردن، على قاعدة الأردني والفلسطيني، والأردن بالذات بلد شديد التشابك عائليًا. أنا مثلاً، زوجتي فلسطينية، وأختي زوجها فلسطيني في الجيش الأردني، وأختي الثانية زوجها فلسطيني كذلك (الشهيد جورج شفيق عسل)، وهذا أنموذج يتكرر في المجتمع الأردني، وهذا التشابك الكبير والحميم، جرى فرطه بحد السكين، فتحول الناس إلى كتل متصارعة.

وأريد أن أضيف شيئًا، لقد وجد لدينا في الأردن ما يسمى بسطوة القوة، طبعًا الناس كانت مضروبة على رأسها بهراوة قمع النظام لسنوات طويلة جدًا وفجأة، وجد أبناء المخيمات والتعتير والمهمشين، من البائعين على الطرقات، وسائقي التاكسي والباحثين عن عمل .. إلخ، وإذ بهم وقد صاروا كلهم ميليشيا ويحملون السلاح. فكانت تحدث التعديات والتجاوزات من بعض هؤلاء، وهذا لا يبرئ النظام الأردني الذي كانت تسارع أجهزته المحترفة إلى تضخيم هذه الحوادث أو افتعالها وحتى تلفيق بعضها، خاصة بالنسبة للجنود والضباط الأردنيين، وأتذكر هنا صديقًا لنا، وهو قائد كبير، في الجيش الأردني، برتبة عقيد قد قال لي يومًا: ما هذه الميليشيا، ألا يوجد ارقى من هذا المستوى لوقف هذه الممارسات والتصرفات، في الشارع، يعني ما في غير البوكجي والخضرجي والسرسري تحملوه السلاح؟!.

قلت له: ما الذي يمكن ان نفعله؟، هل نستورد شعبًا فلسطينياً من السويد حتى يصنع ثورة؟.

| زياد منى: وقوات البادية "الباسلة"؟!. إنهم لا يعرفون كتابة اسمهم . ..
هل فهمتني أخي نزيه؟.

|| **نزيه أبو نضال:** هذا هو شعبنا وسنقاتل به، وهذه الأخطاء يجب أن نصلحها، ونتحمل ما لا يتم إصلاحه حتى نصلحه، ولكننا لم نكن نملك الرؤيا أو الخطط الكفيلة بمعالجة كل تلك الأخطاء والخطايا. والأدهى من ذلك كنا متورطين في خلل استراتيجي قاتل هو الإقليمية الفلسطينية.

| زياد منى: أنا أوافقك على وجود «إقليمية فلسطينية» في ذلك الوقت، وحتى الآن، وأنه وجدت تجاوزات في ذلك الوقت، ولكن أكثرها كان يعالج. «الفدائيين» ظلوا محبوبين من الجماهير حتى آخر يوم. كنا نشعر بذلك. على سبيل المثال، كان أصحاب «السرفيس» يصرون على عدم أخذ أجرة التنقل من الفدائي. كانوا يعرفوننا لأننا كنا وقتها نلبس الخاكي. أنا لا أوافقك على التجاوزات الكبيرة. نعم كان هناك بعض القادة الذين يمارسون أمور غلط، لكنها كانت قليلة ومحدودة. من ناحية أخرى، أنا لا أنفي أنه حصلت ردة فعل قوية من «الفدائيين» تجاه «الشرق أردنيين» الذين كان ينظر إليهم على أنهم عملاء نظام باع فلسطين (مفروشة، كما يقال) وتآمر عليها وعلى شعبها وقمع كلمة فلسطين وفلسطيني بالقوة («العائلة الأردنية الواحدة» كما كان مليكها المفدى يردد). أنا نفسي عشت لحظة من هذه اللحظات في شعفاط عندما كنت في إجازة صيفية في عام 1964. كنت أسير في الشارع الرئيس الذي يقود من القدس إلى بيت حنينا. فجأة بدأت قوات البادية تنتشر على جانبي الطريق وتهجم على أي شخص متواجد في الطريق وتجبره على الوقوف والتصفيق لجلالة المليك المفدى الذي كان سيمر في طريقه إلى قصره في بيت حنينا.
لذلك عندما نتكلم في موضوع تجاوزات عناصر، ومنها الميليشيا التي كانت وقتئذ بقيادة الراحل الكبير أبو داود، علينا الحديث عن قمع الهوية الفلسطينية التي مارسها ذلك النظام المتصهين بامتياز. لقد كان الشعب في حالة غليان من تآمر النظام المستمر على «العمل الفدائي» وكانت تلك التصرفات، والتي أدينها بكل تأكيد، ردة فعل عفوية على معاداة النظام لكل ما هو فلسطيني. ثم إن القسم الأكبر من سكان المملكة كان فلسطينيًا، ولايزال كذلك.
لننظر الآن إلى التحريض على كل ما هو فلسطيني في مملكة شرق الاردن، التي بنيت على حساب فلسطين وهويتها وأهلها. هذا التحريض الرخيص والبدائي الذي تجند لتصعيده بقايا الشيوعيين

الهمل المرتدين وغيرهم، يثيرون النزعة العصبية المتخلفة بعدما لم يبق لهم ومنهم أي أثر بسبب غبائهم وضيق أفقهم و و و. الأمران متلازمان، ومن غير الصحيح الحديث عن أي منهما من دون ربطه بالآخر.
لنتذكر أنه عندما رفعت الجبهة الديمقراطية شعار «كل السُلطة للمقاومة» وأغرقت جدران عمان بالشعار، كانت تدعوا عمليًا إلى تسلم السلطة في البلاد. فتح وقفت ضد ذلك، وكان عناصر «فتح» يضيفون إلى شعار الديمقراطية حرف الألف ليصبح (أكْل السَلَطة للمقاومة)!!.
أنت تعلم أفضل مني، وكنا كوادر بإمرتكم وقتها. الأوامر لنا من القيادة كان وقتها أن هدفنا تحرير فلسطين فقط (أي الأراضي المحتلة عام 1948، والتعليمات القيادية لنا كانت الإجابة بالنفي عن السؤال إن كان هدف الثورة الفلسطينية تسلم السلطة في الأراضي المحتلة عام 1967. الأوامر كانت واضحة، وكنا نفاجأ عندما تطرح الوفود الأجنبية أو الصحفيين الأجانب علينا مثل هذا السؤال.
أخي نزيه، عندما خرجنا/طردنا من الأردن بكانا الشعب، وهذه مفخرة لنا جميعنا!!.

"مصيبة فتح" وفتح المصيبة

| زياد مني: أتذكر هنا حكاية صغيرة: كنت ذات مساء عند أبو عمار حيث يعقد اجتماع القيادة الفلسطينية الموحدة، بعد توقف أحداث أيلول . . فجاء شخص اسمه «المصيبة» وهذا هو لقبه، على الموتوسيكل الخاص به، وكان يعيث فسادًا في عمان، وتسبب بخروقات متكررة لوقف إطلاق النار، وقد حضر لأن لديه أمرًا من أبو عمار أن يُسجن ليلاً، ويترك نهارًا، لماذا؟ لا أعرف. المهم أنه حين جاء أبو لطف لتوسط له عند أبو عمار: [اتركه مشاني. بلاش سجن الليلة]. لكن أبو عمار رفض قائلاً: يللا، عالسجن. فكيف يمكن تفسير كل هذه الأحكام والوساطات والممارسات والمخالطات!. وفي الآخر تبين أن المصيبة هذا مخابرات أردنية، وأظن أنه قُتل بعد أيلول.

| | **نزيه أبو نضال**: نعم هناك عشرات الشواهد والحكايات عن خطورة ما كان يجري، وادى إلى الهزيمة في أيلول. كانت تلك هي المقدمات التي قادت إلى اختراق العقل الفلسطيني لأول مرة بمنوعات برامج التسوية، والتي انتهت إلى البرنامج المرحلي بعد حرب تشرين 1973، كان ذلك البرنامج من ثمار الهزيمة المرّة في ايلول، وليس ثمرة انتصار جزئي [معنوي] في حرب تشرين.

| زياد منى: تجربة المقاومة في الأردن تطرح سؤالاً كبيرًا: لماذا ارتدت المقاومة الفلسطينـية نسبيًا إلى المدن حيث تشكلت ازدواجية السلطة بدل الاستمرار بمقاتلة العدو الصهيونـي؟.

| | **نزيه أبو نضال:** هنا بالضبط تكمن المفارقة القاتلة التـي أسقطت شعاري فتح الوهميين: كل البنادق نحو العدو وشعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، فلم نستطع فعليًا مواصلة إطلاق النار على العدو، ولم نحسن لا عدم التدخل ولا التدخل، وهنا يستحق الأمر وقفة قصيرة:

في البداية وإثر كارثة حرب حزيران67 شكلنا ما يعرف بالقواعد الارتكازية، داخل الضفة الغربية، ولكنها لم تلبث أن صفّيت جميعها، لأنها غير قادرة على أن تحمي نفسها بسبب الطبيعة غير المؤهلة لإخفاء وتموين قطاع من المقاتلين داخلها، وشيئًا فشيئًا ضربت، وبدأت هذه المجموعات تتراجع من الداخل إلى الأغوار، وفي الأغوار أخذت تتعرض لمحاولات تطويق وإبادة من قبل النظام الأردنـي، وبسبب هذا الضغط بدأت ترتد على صورة ميليشيا إلى المدن، لتحمي نفسها، ولكن، وهنا الكارثة. فإذا كان مفهوماً أن يكون فدائيو الداخل وحتى الأغوار فلسطينـيين فلا يجوز في المدن الأردنـية أن تشكل المقاومة ميليشيا فلسطينـية، تأخذ شكل سلطة فلسطينـية. وعلينا أن ننتبه إلى خلفية العقلية الأردنـية التـي احتضنت مهاجري فلسطين عام 48 وتعايشت معهم سنـين طوال مقتسمين البيت والرغيف وكوب الماء، وتعانقوا معًا أزواجًا وجيرانًا وصفقوا للفدائي الذي انتصب واقفًا ردًا على أنظمة الهزيمة في حزيران وصمد مع الجندي الأردنـي في «كرامة» العز، وهو على استعداد أن يقاتل معه، وأن يستشهد معه من أجل فلسطين، ولكنه أردنه هو، ولا يريد لضيفه أن يتطاول عليه، المقاومة الفلسطينـية وميليشياتها لم تقرأ المشهد جيدًا . . فكان أن أصبح للنظام الأردنـي، وربما لأول مرة مثل هذه القاعدة الشعبية من المؤيدين.

| زياد منى: هذا «العداء» المستحكم بين الطرفين كان ولايزال قائمًا بين شعب مضطهد ونظام متصهين مسؤول مسؤولية مباشرة وأساس عن اغتصاب فلسطين وطمس الهوية الفلسطينـية لعقدين من الزمن. بل إنه خُلق من أجل تسهيل اغتصاب بلادنا وطمس هويتنا الوطنـية. دعنـي أعطي أمثلة أخي نزيه، وأنت تعرف أنـي ماركسي قومي عربي لا أؤمن بالهويات الإقليمية. عندما كنت في المعتقل في مدرسة المشاة، وصل عدد المعتقلين هناك إلى ما يقرب الاربعة آلاف إنسان، وكلهم تقريبًا من المدنـيين حيث قامت قوات

البادية باعتقال كل ذكر في المنطقة التي احتلوها بلغ الرابعة عشر فما فوق. كانت مهمة القائمين على معسكر الاعتقال إذلال البشر، وأنا شاهدت بعيني كيف كانوا يعذبون «فدائيًا» في المعتقل وسط المعتقلين. كان يقارب الموت، ولكنهم لم يتوقفوا عن ضربه. لم أعرف هويته، لكن آخر كلمة له كانت طلب الماء. وعندما عاد أحد جند قوات البادية "الباسلة" بكوب ماء، قال له زميله: فش داعي، خلص مات. كان توزيع الماء في المعتقل فوضوي، ولست ممن يصارعون. الأكل كان خبزًا عفنًا كسحن من أرسله إلينا، والماء كان يوزع من خزانات كبيرة يتصارع على فوهتها مئات البشر. رآني ضابط برتبة نقيب (ثلاث نجوم) فسألني عن سبب حالة الضعف التي كنت أمر بها. قلت له إنني أشعر بالعطش ولا أستطيع المصارعة من أجل كوب ماء. فأمر الجندي حارس الخيمة مقره بأن يصطحبني إلى صنبور ماء يقع خارج السلك الشائك المحيط بساحة الاعتقال. رآنا نفر من قوات البادية يرتدي العقال الأحمر، مقلوبًا، فسأل الجند عمن سمح بذلك فقال: سيادة الضابط. توجه الجند إلى ذلك الضابط بالقول: الله يلعن أبوكم يا هالفلسطينية وأبو اللي علمكم العسكرية. في اليوم الثاني «اختفى» الضابط ونفر البادية "الباسلة" بقي.

مرة أخرى، عندما بدأت قوات البادية "الباسلة" الهجوم على عمان، كنت كما ذكرت في الحسين. كنا نراهم يتقدمون ووصلوا بمصفحاتهم وناقلات الجنود ودبابتهم إلى أطراف الشارع الجاني الذي كان مقر «الجبهة الشعبية - القيادة العامة» يقع فيه. بدأت المعارك مع قوات البادية والمسافة بيننا لم تكن تزيد عن عشرين أو ثلاثين مترًا. كنا نراهم يتقدمون ناقلات الجنود المدرعة والدبابات التي كانت تقصف أطراف البيوت وأسوارها. بعد المفاجأة الناجمة من وصولهم بهذه السرعة إلى دوار مكسيم - علمنا لاحقًا أن أفراد الكفاح المسلح الفلسطيني قرب الدوار الثالث والذين شكلوا، نظريًا، خط الدفاع الأول، سلموا أنفسهم من دون أي طلقة، قام الفدائيون بالتصدي للآليات بما توافر من مضادات الدروع «م د» (ار بي جي 2) ودمروا نحو عشرين الية وكانت بقايا جثث بعض الجنود المتفحمة لاتزال داخل الآليات المحترقة. المهم في الامر اننا كنا نسمع الجنود الفارين من ناقلات الجنود يصرخون: دخليكم، إحنا فلسطينية إحنا فلسطينية، إحنا من جنين. المقاتلون لم يدققوا في هويات المهاجمين وإنما في تصرفاتهم. لم يكن هوية المهاجم تهمنا، وإنما فعله. ونحن نعرف أن مليك البلاد المفدى ارسل قوات البادية "الباسلة" التي كانت تطيعه ليس لأنها

أردنية [هو وعشيرته أصلاً وافدين إلى الأردن من الحجاز] ولكن لأن المدربين الإنغليز والامريكيين والصهاينة ربوهم وفق حكمة معروفة . . لم يكن الأمر المهم إن كانوا فلسطينيين أو أردنيين. طبعًا لم نتوقف، واحتفل الفدائيون بمجزرة آليات جيش البادية «الباسل» في دوار مكسيم (الشهيد فراس العجلوني) حيث انسحبت إلى ما وراء الدوار، ولكن إلى حين.

قصة أخرى ربما توضح مدى عمق كراهية الفلسطينيين لهذا النظام المتصهين، لا بل الصهيوني. عندما التحقت بفتح، فعلت ذلك من دون دراية الوالد رحمه الله وفرارًا من البيت، فلحق بي إلى الأردن محاولاً «استعادتي»، لكن كما تعرف من دون جدوى. قال لي كلمات لن أنساها مدى الحياة: لا تظن أنك أكثر وطنية مني، فلو كنت أظن للحظة أنك ستحارب «اليهود» لجررتك من أذنك وأجبرتك على الالتحاق بالثورة، ولو رفضت ذلك لكنت تبرأت منك ولطردتك من البيت. لكن هذا النظام وبقية الأنظمة العربية هي من سلم بلادنا ل«اليهود». لقد باعونا وباعوا بلادنا من أجل عروشهم، وأنا لا أريد أن تزيد مصيبتي بأن يقتل البُداة الجلف والعرب ابني.

| | **نزيه أبو نضال**: بدأت المعارك بين الميليشيا الفلسطينية وقوات النظام الأردني، فصرنا نخوض معركتين، معركة عبر الأغوار مع العدو وهي حرب أقرب إلى العبثية، إذا فكرنا فيها عسكريًا، فهي مجرد صواريخ وهاونات، وأحيانا محاولات عبور إلى الداخل، وكان يتم استدراج الجيش الأردني للمشاركة في ما سمي بعمليات القشرة، وقد تحدثنا مثلاً عن تجربتي «عين البيضا»، و«غور الصافي»، والمعركة الوحيدة التي كان لها وزن وجدية وحققت مردودًا رغم عدد من النتائج السلبية، كانت «معركة الكرامة»، حين تقدم العدو نحونا داخل الأراضي الأردنية . . فأوقعنا به نحن والجيش خسائر حقيقية. لكن أن تتقدم أنت نحو مواقع العدو فكانت المسألة صعبة، كان هناك أحزمة من وسائل الأمان ومن حقول الألغام والأسلاك المكهرطة والمناظير الليلية الخ . . ورغم ذلك كان الشباب يقطعون الأسلاك المكهربة بالبنجلور ويدخلون، لكنها تظل مجرد عمليات صوتية، ولم يكن ممكنًا، في ظل موازين القوى أن تحقق هدف التحرير، لكنها قد تزعزع استقرار العدو وتصنع ضجيجًا عاليًا، ربما يؤدي إلى إحداث تفاعلات في عملية الصراع العربي الصهيوني، حيث تصبح جيوش الطوق طرفًا في هذا الصراع، أي إبقاء الصراع مشتعلاً إلى حين أن تحدث مشاركة عربية عسكرية في المعركة.

أما الذي كان يراهن على أن الطرف الفلسطيني يستطيع أن يحارب منفردًا، وبنى على هذا الأساس تنظيمه، كما في حالة فتح، وبدأ ينفذ عملياته، فقد خسر العمق العربي للمعركة، وانتهى به المطاف إلى صرخة (يا وحدنا).

| زياد منى: صرخة «يا وحدنا»، روج لها كثر وفي مقدمتهم الراحل محمود درويش، واستخدمت لتصعيد العصبية الإقليمية ومهدت الطريق للاستسلام وتفضيل «اليهود» أبناء عمومتهم على أهلهم العرب. لكن أنا أعرف أن هدفنا، كما تربينا وقتها في فتح، أن نبقي الصراع مشتعلاً، إلى أن تصير الأوضاع العربية، أي الجيوش العربية، مؤهلة لمعركة تحرير فلسطين. هذا كان أساس «فكر» فتح. هنا أتذكر كلمة لأبو عمار قالها لنا في أحد الاجتماعات التنظيمية وقت الاتحاد الثلاثي، مصر وسورية والعراق: مثل هذا الاتحاد يحرر فلسطين. أي لم تكن لدى القيادة الفلسطينية فكرة أو وهم بأنهم هم من سيحرر فلسطين، وهدفهم لم يكن أكثر من إبقاء الصراع مع العدو مفتوحًا. كنا «واقعيين» من هذه الناحية، حتى بعد مجازر أحراش جرش وعجلون، لكن إدراك تلك الواقعية كان من أجل تغييرها، وليس كما حدث لاحقًا، أي من أجل الانخراط فيها وتثبيتها.

|| **نزيه أبو نضال:** ولكن يوجد فارق في الوقائع، أنت تمارس فعلاً مسلحًا ضد العدو بإمكانياتك المحدودة كفلسطيني، ولكنك لا تملك أن تحرك بندقية عربية ولا صاروخًا عربيًا. الآن، أنت تريد أن تبقي القضية مشتعلة لغاية تأهيل الوضع العربي للإسهام في الصراع، هذا الكلام العام للموضوع، ولكن في التطبيق العملي، كانت البندقية العربية، كما في الأردن وغيرها، ترتد عليك ولا تقاتل معك، لأنك تورطها في حرب لا تريدها. فما جوابي أنا كفلسطيني على هذه الحالة. المطلوب مني كفتح أو أي فصيل آخر، أن أكون جزءًا من حال تنظيمية عربية، لأنني ما دمت أقول إن الرهان هو على العمق العربي، إذن يجب أن أبني فكري وأبني أدواتي التنظيمية بما ينسجم مع هذه الرؤية. فإذا كان من الاستحالة أن احرر وحدي فلسطين، إذن عليّ الآن أن أبني تنظيمًا فلسطينيًا عربيًا ذا فكر فلسطيني عربي أيضًا لكي نقاتل معًا من أجل فلسطين، ولكن، إذا كنت أنا كفتح أحول دون دخول العربي في تنظيمي، فكيف ساراهن على عمق عربي؟! ومن دون ذلك فإن كنت أنت فلسطينيا أولاً، فهو اردني أولاً، وهو لبناني أولاً.

| زياد منى: أوافقك على هذا من دون تحفظ.

|| **نزيه أبو نضال:** وثمة حقيقة أساس بينتها في كتابي «تاريخية الأزمة في حركة فتح» وهي أن الجسم المؤسس للحركة ينتمي إلى أصول ومرجعيات الإخوان المسلمين، وخيار هؤلاء الأيديولوجي ضد الذهاب إلى مشروع قومي عروبي موجود، بل إلى حل إسلامي أممي لا وجود له أنذاك.

ولذلك فنحن نقول إن الخلاص الوحيد أن تكون عربيًا أولاً، ولا خيار عدا ذلك سوى الاستشهاد أو المساومة أو كليهما معًا، وانظر تاريخ المشهد الفلسطيني.

| زياد منى: ولكنها لو كانت فعلت ذلك لاتهمت بالسعي إلى قلب النظام في الأردن واستلام السلطة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ثمة إشكالية في هذا. حتى عام 1971 كنتُ مواطنًا من التبعية الأردنية (بعدها رفضت السلطات الأردنية تجديد جواز سفري، وطلبت مني التوجه إلى الأردن للخضوع لتحقيق المخابرات، لكنني رفضت). فكيف لا يُسمح لي بتولي السلطة هناك!. هل أنا مواطن أردني فقط دعمًا للعدو الصهيوني وعندما يتعلق الأمر بطمس الهوية الفلسطينية «المستقلة»!. طبعًا هذه وجهة نظر النظام وأتباعه من بقايا الشيوعيين وغيرهم من قوى التخلف الذين لا هم لهم سوى التحريض على كل ما هو فلسطيني. ربما الخطأ الأول والرئيس الذي ارتكبته قيادة «فتح» أنها لم تسع فعلاً، لا قولاً كما تصرفت إبان أيلول الأسود، إلى قلب النظام الأردني المتصهين ومساعدة القوى الوطنية في الأردن [ولا أقول: الأردنية] على تسلم دفة الحكم هناك.

|| **نزيه أبو نضال:** هذا السلوك الإقليمي هو الذي وجه إليها التهمة. سأقول لك كيف: لو كان الإطار العام للعمل هو برنامج الثورة في الأردن، بأداة عربية أردنية - فلسطينية فمن المفترض، أن يكون ذا بعدين، بعد تحريري وطني من أجل تحرير فلسطين وبعد اجتماعي مطلبي. وبالتالي يجب أن تكون هناك شراكة كاملة في الصراع الوطني والاجتماعي. ولكننا لم نفعل ذلك ووقعت الكارثة في الأردن. وهذا على كل حال موضوع نظري طويل سيخرجنا من المذكرات إلى التحليل الفكري والسياسي.

| زياد منى: مرة أخرى إلى الموقف الفلسطيني العام من النظام الأردني. عندما وقع المشرق العربي للاحتلال البريطاني الفرنسي

خلال الحرب العالمية الأولى، كان عدد سكان عمان لا يزيد عن ثلاثة آلاف نسمة، تسكنها بعض العائلات ليس غير.
هذا النظام طمس اسم فلسطين [ممنوع قول: فلسطيني وأردني. الكل أردني]. دخل الدولة المتسولة، ومازالت كذلك، كان من تحويلات الفلسطينيين المقيمين في الخارج إضافة إلى عائدات السياحة الدينية التي يقوم بها الأوربيون مباشرة إلى مطار قلندية الواقع قرب القدس، أو عبر بوابة مندلبوم، على ما أذكر. معظم ما يتبقى من الدخل العام، بعد حسم سرقات رأس النظام، كان يستثمر في عمّان. أنا رأيت بعيني وضع بعض قرى «الضفة» عام 1964 وبعد ذلك حتى الاحتلال الصهيوني. لقد كانت تعيش في عصور ماقبل التاريخ، لكنني كنت أرى مستعمرات العدو من طولكرم تحتنا ومنها نتانيا وهرتسيليا متوهجة في الليل. نمو عمان تم على حساب فلسطين. صحتين على عمان وعلى أهلها، لا مشكلة عندي الآن. أهلنا في فلسطين وفي عمان وفي غير عمان كانوا يرونه ويعيشونه. مشاعرهم لم تكن مصطنعة وإنما ذات أرضية معاشة. معقول أن المواطن من التبعية الأردنية يعيش في مخيمات: البقعة وعقبة جبر ونابلس والخليل وشنلر والوحدات والحسين واربد ووووو. أنا لا أريد حكم عمّان ولا حكم أي شارع في أي بقعة من العالم، لكن ثمة معضلة لم تحل إلى الآن. كلامك عن البعد القومي صحيح وأوافق عليه من دون تحفظ، وأنا لا يهمني من يحكمني من العرب ما دام عادلاً، لكن ثمة ممارسة يومية وقناعات للشعب، ناتجة من تجاربه التاريخية، وهذه تجلت في فترة النهوض الوطني الفلسطيني في الأردن. قلت هذا كله شارحًا ولست مسوغًا إطلاقًا للتجاوزات ولا موافقًا عليها.

الفصل السابع:
أسئلة بعد أيلول في سورية

| زياد منى: شكلت تجربة الأردن وخاتمتها الكارثية في أيلول 70 ثم في تموز الأحراش 71 مفصلاً مهمًا في مسيرة فتح والثورة الفلسطينية، وأظنها كذلك لك شخصيًا بسبب التماس المباشر مع الموضوع الأردني والفلسطيني معا. فكيف واجهت المرحلة الجديدة؟.

|| **نزيه أبو نضال:** هنا أتذكر أنني بعد خروجنا من الأردن، قد وقفت أمام سؤال مركب شخصي وعام: على المستوى الشخصي سألت نفسي: هل أنا موجود الآن في صفوف الثورة لأنها فكريًا ونضاليًا تعبر عن خيار موضوعي لي، ولأنني فعلاً مقتنع بالبقاء والعمل فيها، أم أنا الآن مجبر لأنه ليس لدي خيار آخر، فلا جواز سفر أو إقامة أو عمل ولا تتوفر لدي الحدود الدنيا لشروط الحياة. فقد تركت الجامعة وأنا في السنة الأخيرة، وليس عندي حتى شهادة ليسانس أشتغل بها، فقلت لنفسي الشيء الوحيد الذي سيجعلني أجيب عن هذا السؤال هو الحصول على الليسانس الذي حال بيني وبينه التحاقي بالمقاومة، وهذا يعني أن أقدم امتحانات السنة الأخيرة في جامعة القاهرة، وبعدها أستطيع أن أحسم الاختيار بأن استمر أو أقول: السلام عليكم، وأذهب لأعمل بشهادتي، وأكون ملك نفسي. ولكنني فوجئت برفض إدارة الجامعة للطلب كوني تركت الجامعة لمدة

خمس سنوات، ولا حق لي بأن أكمل الدراسة، كنت آنذاك في دمشق وكان يتابع الموضوع صديقاي جهاد الكبيسي وأبو بديع، لكن تدخل أساتذة في قسم اللغة العربية كانوا يتابعون تجربتي وكتاباتي، ومنهم الدكتور عبد المنعم تليمة، وكان أديبًا ومفكرًا سياسيًا جميلاً أيضًا، فدخل بكل وزنه حتى فرض أن أكمل امتحانات السنة الأخيرة، وكان موعدها لحسن الحظ مترافقًا مع اجتماعات «المجلس الوطني» و«المؤتمر الشعبي العربي» الذي كنت عضوًا فيه ما مكنني من تقديم الامتحانات والنجاح بتقدير جيد مرتفع أهلني للحصول لاحقًا على دبلوم الماجستير من بيروت بإشراف الدكتور عبد القادر القط بتقدير امتياز.

وهكذا قررت البقاء، وأكملت مسيرة الثورة وأنا مقتنع بأنني الآن أكمل بقناعتي، وليس بحكم الضرورة، وكان من الممكن مثلاً أن أشتغل بالتدريس في دمشق، حيث كانت سورية ولا زالت تفتح ذراعيها لأي عربي للعمل حتى في الوظائف الحكومية.

ولكن تبقى الأسئلة الكبرى مطروحة، حول تجربة الأردن، وما ثبت بالممارسة وعلى مستوى البرامج من فشل ذريع لهذه القيادة غير المؤهلة، وتذكرنا بما قاله أبو حاتم في منتصف عام 68 بأن لا أمل يرجى منها، وبأن علينا أن نشكل بديلاً لها.

وهكذا بدأ التيار الديمقراطي في حركة فتح بالتبلور التدريجي ولكن في سياقات غرائبية من الانفجارات والمفاجآت.

التيارات الديمقراطية

| زياد منى: هل صارت محاسبة بعد أيلول؟. مثلاً في الزرقاء كان من المفروض وقتها أن تصمد، ولكنها سقطت بعد أول نصف ساعة، هل حوكم قائدها العسكري آنذاك أبو أكرم الذي أكد لنا عندما زرناه مع وفد أجنبي بأن المدينة قادرة على الصمود والسيطرة على المنطقة بأكملها، مع أن القيادة في عمان كانت تقول لنا: إن مدينة الزرقاء ساقطة عسكريًا بسبب احتوائها ومحيطها على معسكرات للجيش الأردني؟. هل حوسب أحد في فتح بعد أي هزيمة على الإطلاق؟.

|| **نزيه أبو نضال:** لا، لم يحاسب أحد، المحاسبة تعني أن أحدًا هزم وسيدفع الثمن، وذلك غير ممكن لأننا دائمًا نخرج بانتصارات الصمود والتضحيات! لولا المؤامرة! وموازين القوى! والتخلي العربي!! ويا وحدنا!!!.

إن بطولة الاستشهاديين هي الموت وليس النصر، ونحن قدمنا هذا الكم من التضحيات وصمدنا ولهذا لا أحد يعترف بهزيمة أو بتقصير أو بوجود خلل في بنية المقاومة نفسها، لتجري المحاسبة على أساسها. فكان ردنا كتيار ديمقراطي، حول مسألتين، لمواجهة هذا الخلل وهذا الخراب:

أولاً: عقد مؤتمر عام للحركة للمحاسبة وإعادة التقييم وبالتالي رسم سياسات وبرامج جديدة فكرية وتنظيمية.

ثانيا: علينا، نحن، كتيار ديمقراطي، أن ننظم أوضاعنا لنكون قادرين على تشكيل رافعة لحماية مسيرة الثورة وحماية خطها الفكري والسياسي حتى لا نتعرض لما تعرضنا له في الأردن.

وهكذا بدأنا بتشكيل إطارات منظمة وشبه منظمة داخل تيار معارضة واسع كان يعتقد أنه منسجم حول الأسس والثوابت، وعلى أرضية موقف ديمقراطي تقدمي موحد ضد ما كنا نراه من هيمنة يمين متخلف على مقدرات الحركة، وهي غالبية قيادة الحركة، كما بينا في كتابنا «تاريخية الأزمة في حركة فتح» من ذوي الأصول وربما المرجعيات الإخوانية، والتحريرية ومن أبرزها خالد الحسن (أبو السعيد).

هذا الاصطفاف اليساري لم يلبث بعد تجربة الأردن أن أخذ شكل تيار ديمقراطي واسع للمحاسبة والمعالجة وتصويب المسار، ولكن لم يلبث أن ظهر أول خلل في صفوفه حين بدأ بعض رموز هذا التيار بتبني برنامج مرحلي للتسوية على الطريقة السوفييتية.

(نشير هنا، من أجل وحدة الموضوع، إلى أننا سنتحدث عن التيار الديمقراطي وصولاً إلى حدوث الانشقاق الكبير في فتح عام 1983).

بدايات الخلل الاستراتيجي الوطني والبرامجي

|| **نزيه أبو نضال:** قاد اتجاه طرح برنامج التسوية المرحلية الجديد، داخل حركة فتح اثنان من ذوي الخلفيات الشيوعية وهما نمر محمد صالح (أبو صالح) وماجد أبو شرار رحمهما الله، وقد جرى أول طرح لهذا البرنامج عام 1971 في بيت أبو حاتم (محمد أبو ميزر) بدمشق.

قبل ذلك كان أبو اللطف (فاروق القدومي) قد طرح الفكرة في مؤتمر حركة فتح الثاني الذي انعقد في بلدة الزبداني بسورية عام 1968، فجرى التصدي له بصورة حاسمة، فسحب من التداول، ولم ينقذ أبو اللطف من

السقوط في انتخابات المؤتمر سوى حماية ابو عمار له.

| زياد منى: إذن هذه هي مرجعية ابو اللطف حيث تحدث اكثر من مرة أنه هو صاحب برنامج المرحلية، وليس نايف حواتمة. في الحقيقة كان يفتخر بما يستحق الخزي.

| | **نزيه أبو نضال:** لاحقًا وقبيل حرب تشرين 1973 ظهرت في بيروت أطروحات الجبهة الديمقراطية وكتابات نايف حواتمة حول المرحلية الفلسطينية في مجلة «الحرية»، وتبين بعدها أن قيادة فتح تدعم سرًا هذا التوجه، وأن «الديمقراطية» كانت مجرد دورية استطلاع لليمين الفلسطيني، والمدعوم من الشهيدين أبو صالح وماجد أبو شرار وعدد محدود من الكوادر المتقدمة في فتح وعدد من موظفي منظمة التحرير. وقد جرى إقرار البرنامج المرحلي، المعروف بالنقاط العشر، في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، في حزيران عام 1974.

| زياد منى: الجبهة الديمقراطية كانت مدللة عند قيادة فتح. فقد كانت تصبغ باللون الأحمر كل برامج وسياسات المنظمة اليمينية والمنحرفة. لقد كانت قيادة فتح تدفع سرًا للجبهة الديمقراطية ميزانية شهرية، بل وتمنحها امتيازات كثيرة ومنها على سبيل المثال «لطش» بعض العمليات العسكرية. فقد كنت أزور الأخ أبو جهاد برفقة الأخ العزيز وديع لنتحدث معه في أمور الحركة. وحدث في ذلك اليوم أن الجبهة الديمقراطية أعلنت عن عملية كبيرة. كان القائد الشهيد الكبير أبو جهاد متضايقًا وشرح لنا أنه كان يستعد للإعلان عن عملية عسكرية نفذتها القوات في شمالي فلسطين المحتلة عندما أعلنت الديمقراطية مسؤولتها عنها. طلب منه أبو عمار وقتها السكوت عن الأمر، وقال: إن ذلك كان يحدث على نحو دائم، وأنها هدية من القائد العام للتابع «الماركسي» الوفي. وعندما قام القائد العام بإعلان «التجنيد الإجباري» في عام 1981، كان هناك اتفاق على أن معسكرات التدريب تابعة للكل ولا يسمح لأي تنظيم بجمع الناس ويجب إلحاقهم بقوات جيش التحرير. وكنت ممن «تم لمهم» من ألمانيا الشرقية، لكن القائد العام سمح للجبهة الديمقراطية بلم الناس في شوارع بيروت والمخيمات وإجبار البشر على العمل "سخرة" في قواعدها.

| | **نزيه أبو نضال:** جاء ابو صالح وماجد أبو شرار، إلى الشام، بعد مداولات مع عدد من الشخصيات الوطنية في الأردن من بينهم إبراهيم

بكر، وقد التقوا معنا في بيت أبو حاتم، كنا مجموعة الإعلام أنا وحنا مقبل وأبو فارس ومجموعة إقليم سورية: أبو معن الشاويش وأبو نضال إسماعيل أبو شمالة، وشؤون الأردن: قدري (سميح أبو كويك) ويحي يخلف وجمعة الناجي وكفاح (موسى عودة)، وربما آخرون كخالد أبو خالد ولكن لا تحضرني أسماؤهم، من الكادرات الديمقراطية في الحركة.

في اللقاء معنا جرى طرح التصور الجديد وضرورة أن نتبنى كتيار ديمقراطي البرنامج المرحلي كبرنامج لمواجهة النتائج التي أعقبت حرب أيلول، ويقوم جوهر الفكرة كما طرحت، بأننا ونحن ضعفاء، بعد هزيمتنا في الأردن، يجب أن نستقوي بطرف دولي كبير هو الاتحاد السوفيتي. فإذا طرحنا هذا البرنامج، الذي نتقاطع فيه مع البرنامج السوفيتي للتسوية (قرار 242)، فسوف نسند ظهرنا إلى حائط قوي.

قلنا لهم إن المعارك العسكرية نتائجها دائمًا في السياسة، والنتيجة العسكرية لمعارك الأردن، أيلول وتموز، هي بالضبط هذا البرنامج المرحلي الذي سيجعلنا ندفع ثمن الهزيمة العسكرية سياسيًا، وطرح هذا البرنامج بالتقاطع مع السوفييت سيعني حكمًا أنك تبحث عن التفاوض مع العدو بديلاً للكفاح المسلح، الذي سيصبح مجرد هيكل، أو أسلوبًا للضغط. ومن هنا تنبع الحكمة التي لخصها ماو تسي تونغ من تجربة الثورة الصينية «في أيام الهزائم تمسكوا ببرنامجكم الاستراتيجي وعند الانتصارات تستطيعون تقديم تنازلات تكتيكية».

لم يثمر اللقاء مع أبو صالح وماجد عن أي نتيجة وتصدى له إجماع الحضور، حتى أن أصحابه تجنبوا طرحه في المؤتمر الحركي الثالث، باستثناء مداخلة هزيلة من أحمد عبد الرحمن قمنا بالرد عليها وكشف أبعادها فوئدت في مهدها.

المؤتمر الحركي الثالث وعضوية العربي في حركة فتح

|| **نزيه أبو نضال**: دخلنا المؤتمر الثالث لحركة فتح، تموز 1971 في حمورية داخل غوطة دمشق، بمشاركة عدد محدود من العرب غير الفلسطينيين، بحكم المواقع التي كانوا يحتلونها في الحركة. وكنا جميعًا مسكونين بهاجس كبير ألقى بظلاله على المؤتمر وشكل سؤالاً إجباريًا علينا من واقع التجربة أن نجيب عليه: هذه الثورة التي أعطيناها أعمارنا ومستقبلنا، وباتت في مقدمة

قوى الثورة العالمية، لماذا انتهت إلى ما انتهت إليه من فشل ذريع وهزيمة شاملة؟.

| زياد منى: هذا بالضبط هو هدف مشروع هذه المذكرات. إن التجربة العيانية المباشرة، وليس مجرد التحليل النظري، من سيجيب على هذه الأسئلة الكبرى التي تمتد على مساحة تجربة الثورة الفلسطينية المعاصرة.

| | **نزيه أبو نضال:** تمامًا، ومن هنا أنا أريد أن أقدم تجربتي الحية والملموسة بالوقائع واليوميات، ومن خلالها يتبين لكل من يقرأ أو يرى لماذا فشلت هذه التجربة. هي لم تفشل فقط لأن النظرية التي كانت فوق مختلة، بل لأن الممارسات أيضًا فيها مئة تفصيلة غلط. يعني الخلل كان في الحياة اليومية والتفاصيل الصغيرة، حيث تسكن الشياطين.

في الجانب النظري كان المقتل الإقليمي في الأردن، الذي حول، كما بينا، نصف شعبنا ضد نصفه الثاني، وفعل في لبنان ما يشبه ذلك، ولهذا بالضبط خضنا في المؤتمر الثالث معركة تغيير النظام الداخلي لحركة فتح حيث يسمح بعضوية العرب في الحركة، وقد تصدى لنا فيها خالد الحسن، وأخوه أبو أيمن (علي الحسن) كما تصدى أبو جهاد، وكثيرون من الفتحاويين اليمنيين خاصة، وقاتلوا ضد مبدأ عضوية العربي في حركة فتح. ولا زلت أذكر بعض مداخلتي في المؤتمر: باختصار، العربي مثلي مسموح له أن يدخل قوات العاصفة ويستشهد من أجل فلسطين، ولكن لا يحق له أن يسأل كيف وأين يجب أن أستشهد، أي لا أجرؤ أن أطرح أسئلة على الإطار الذي سأستشهد أنا بداخله. مسموح لك أن تكون مقاتلاً ومشروع شهيد، لكن من غير المسموح لك أن تكون في إطار التنظيم الذي يحدد سياسة فتح وبرنامجها.

وكانت النتيجة أن اتخذ قرار في مؤتمر حركة فتح الثالث، بعضوية العرب لكن عمليًا لم ينفذ، ذلك أنه رغم أخذ القرار ووضعه في النظام الداخلي، فإن جسم التنظيم الفتحاوي، كما قيادته، لم يهضم هذه الفكرة، وبقيت فتح فلسطينية. وإن سُمح فيه نظريًا للعرب أن يكونوا أعضاء فيها.

وفي المؤتمر ارتفعت أصوات تطالب بالمحاسبة على التقصير وما ارتكب من أخطاء وخطايا ومن أشكال الفساد، خاصة في الجانب المالي، وأحيلت الأمور لاجتماعات لجان تحقيق لم تجتمع. كما طرحت في المؤتمر قضية العاصفة والتجييش ونظام القوات الجديد إثر انضمام الآلاف من الجيش الأردني،

بعد أحداث أيلول، إلى صفوف حركة فتح . . إلخ . ..

وبرزت في المؤتمر الثالث بوضوح ظاهرة تجنيح إقليم العراق بقيادة صبري البنا (أبو نضال) وأنه يمهد لانشقاق قادم باسم «فتح المجلس الثوري».

كما قدم أبو أيمن (علي الحسن) نظرية التفجير المتسلسل التي تستبدل قوات فتح العسكرية بمجموعات من الخلايا السرية التي تقوم بعمليات نوعية لإبقاء الصراع مفتوحًا ونقله بالتسلسل إلى الساحات العربية. هذه النظرية نفسها هي التي كان يتبناها كذلك شقيقه خالد الحسن، وكانت موضوع محاضراته في معسكر 99.

| زياد مني: خالد الحسن المقيم معظم الوقت في خارج ساحة المعركة صاحب مقولة: ليس ثمة من يمين ويسار في فتح، الكل وطني. وقد رأينا ما وصلنا إليه بفعل هذا الفكر اليميني.

| | **نزيه أبو نضال:** بدأنا تشكيل إطار شبه منظم للتيار الديمقراطي وضم، خلال فترات متلاحقة، مجموعة كبيرة من الأسماء إلى جانب من ذكرنا في لقاء دمشق، من بينها ناجي علوش، أبو داود، أبو نضال البنا، أبو خالد الصين، مي صايغ، أبو نائل (عبد الفتاح القلقيلي)، أبو فادي (منير شفيق عسل) ومن القوات أبو خالد العملة (موسى محمود العملة)، أبو موسى (سعيد موسى مراغة)، أبو مجدي (محمود البدر)، واصف عريقات . . إلخ. وتمكنا من تشكيل مراكز قوة فاعلة في العديد من المواقع: الإعلام، العلاقات الخارجية، شؤون الأردن، ولاحقًا تنظيم الغربي، وأقاليم: سورية، العراق، ليبيا، أميركا، الاتحاد السوفياتي، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، اتحاد المرأة الفلسطينية، وضم آخرين حتى بين معتمدي وسفراء حركة في العالم، والذي انضم بعضهم لاحقًا إلى انتفاضة 1983 . . إلخ.

| زياد مني: معلوماتي أنه وجد كادر آخر متضامن مع هذه التيارات منه جميل شحادة وعاطف أبو بكر وعلي فياض وعباس زكي وحكمت زيد والشهيد عز الدين القلق، وغيرهم من معتمدي أقاليم فتح.

| | **نزيه أبو نضال:** هنا أريد أن أتوقف قليلاً عند مفصل اعتقد أنه مهم، وسيلقي الضوء على أشياء كثيرة في عموم تجربتنا في حركة فتح: من الواضح وجود أعداد هائلة من الكوادر، جاؤوا من منابت فكرية ومن مرجعيات سياسية متباينة ومختلفة، فمنهم من جاء من موقع شيوعي أو

من موقع بعثي قومي أو ماركسي، أو مستقل . . إلخ، تجمعوا معا كلهم، خاصة بعد هزيمة حزيران، لوجود سهم باتجاه فلسطين، للنضال المسلح من أجل تحريرها، ضمن برنامج وطنـي عريض متفقين عليه. ولكن في مجرى الصراع وفي الممارسة حدثت إشكالات، وبرزت أسئلة وتحديات من نوع آخر، لم يعد التماس المباشر مع العدو الصهيوني وحده، بل دخلنا في شبكة معقدة من الصراعات العربية خاصة في منطقة الطوق وما تمثله من امتدادات على الساحة العربية لها في داخل فتح حضور قوي كالسعودية ودول الخليج، بل وصولاً إلى المغرب، وصار هناك بالتالي قيادات أساس تشد الحركة باتجاه اليمين العربي، فيما ذهب ذوو الخلفيات اليسارية الليبرالية الديمقراطية والقومية نحو مواقف مغايرة ضد هذا التوجه وضد ممثليه. ونحن نعلم أن فتح في بنـيتها الأساس التنظيمية حركة يمينـية، ونمت في دوائرها وخلاياها الأولى حول الأخوان المسلمين، بل ومن داخل تنظيم الأخوان. وحين بدأت كوادر فتح الأساس عمليات التنظيم، فمن البديهي أن تسعى لتنظيم ما يشبهها، من أصدقاء وأقارب . . إلخ. فتعاظم الجسم اليمينـي الدينـي في داخل فتح انطلاقًا من بؤرة المركز التـي شكلت الحركة، وبرزت توجهاته بالممارسة وبالسلوك الإعلامي والثقافي والفكري . . إلخ.

عناصر اليسار الديمقراطي لم يكن لديهم ما يمنع من العمل في إطار واحد مع اليمين، مادام الهدف النضال من أجل تحرير فلسطين، لأن هذه حركة تحرر وطنـي تحوي في داخلها كل الاتجاهات، لكن عندما تؤثر هذه الاتجاهات في مجرى العمل اليومي، وفق معطياته المستجدة وبالتالي في الهدف النشود، فكان لابد من أن تتولد عناصر الصراع والخلاف. فتشكل في مواجهة هذا اليمين، وخاصة ضد الممارسات الفردية لقيادة ياسر عرفات بالدرجة الأولى، قوى تريد أن تصلح هذا الوضع، وتصوب الحركة باتجاه خط تحرر وطنـي بعيدًا عن الفكر اليمينـي، وبعيدًا عن التسلط الفردي. وكان ما يجمع هذه التـيارات الديمقراطية، التـي أسميها تـيارات وليست تـيارًا واحدًا، هو الوقوف ضد الغلط بالفكر والسلوك والسياسة، وكان من رموز هذا اليسار الوطنـي العام أسماء معروفة ومهمة لم تلبث عند بدء التبشير بالبرنامج المرحلي عام 1971 مثل أبو صالح وماجد أبو شرار وأحمد عبد الرحمن، أن وجدناها تنتقل إلى خندق ياسر عرفات فيما صمت اليمين الإسلامي (أبو جهاد وخالد الحسن) إلى حين، تاركين لبعض اليسار الفلسطينـي لعب دور حصان طروادة داخل

القلعة الفلسطينية، وفي مقدمة هؤلاء نايف حواتمة والجبهة الديمقراطية وبعض الشيوعيين العرب من ذوي النهج السوفييتي، مثل كريم مروة، أو من «اليسار» العربي اليميني كصادق جلال العظم، وهنا نصل إلى المفصل المهم. فحين طرح البرنامج المرحلي، أصبح الهدف الذي تجمعنا كلنا عليه وهو تحرير فلسطين في مأزق خطير، أدخلنا في منحنىً نوعي: نحن جئنا معًا لنحرر فلسطين وها أنتم تأخذوننا إلى تسوية مع الإسرائيليين، إذن هنا نختلف، فبدأت الاصطفافات التي شكلت فرزًا هائلاً ليس على مستوى فتح فقط، بكل تياراتها اليسارية والديمقراطية، وإنما على مستوى الساحة الفلسطينية، خاصة بعد حرب تشرين 1973، وظهر ما يسمى جبهة الرفض، وجبهة القبول. صار الجسم الرافض من داخل فتح لا يقل قوة عن الجسم القابل داخل فتح، خاصة بوجود أطراف حتى من اليمين كانت في موقع الضد كذلك بحكم أيديولوجيتها الدينية التحريرية.

وبالتالي فإن قيادة فتح لم تكن من القوة بحيث تبطش بالقوى الرافضة لخيار البرنامج المرحلي، خاصة أنها ليست داخل فتح وحدها، وإنما على امتداد الساحة الفلسطينية، وعلى المستوى العربي أيضًا، فكان أن امتدت جبهة الرفض من فتح إلى الساحة الفلسطينية وصولاً إلى بغداد، وقد انعكست هذه الحالة بأدق تفاصيلها داخل فتح، بكل أجهزتها ومكوناتها العسكرية والتنظيمية، كما انعكست داخل الساحة الفلسطينية، وخاصة على الاتحادات والمنظمات الشعبية. وعلى سبيل المثال حين جرت انتخابات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، سواء في فرع لبنان أو في الأمانة العامة في مؤتمر تونس، كان الاصطفاف الذي حدث في القوائم الانتخابية بين فتح الرافضة مع الجبهة الشعبية ومع جبهة التحرير العربية وجبهة التحرير الفلسطينية وجبهة النضال الشعبي ومع المستقلين الذين كان موقفهم منسجمًا مع هذا الموقف، ضد فتح القابلة مع الديمقراطية والصاعقة وبعض المستقلين والموظفين، وقس على ذلك في بقية الاتحادات والمنظمات الشعبية.

كانت تلك هي ردة الفعل العامة على طرح البرنامج المرحلي، ولكن في الخلفية العميقة للمشهد كانت تحدث استقطابات من نوع آخر، ذلك أن ما تسمى المعارضة في فتح هي تيارات وليست تيارًا واحدًا، وبالتالي حين فقدت البوصلة، التي هي الكفاح المسلح من أجل فلسطين ولم تعد البوصلة

موجودة عمليًا، ارتد أصحاب هذه الاتجاهات لجذورهم الفكرية والسياسية. صار كل واحد يريد أن يحمي خياراته وقناعاته، ما دامت الخيارات المشتركة الموحّدة قد فقدت أو انتهت، وهنا بانت أو كُشفت الخلافات العميقة بين أعضاء التـيار الديمقراطي.

| زياد منى: وهناك من كان يعلق على الوضع بالقول: فتح ليست حركة، إنها «حركات»!!.

| | **نزيه أبو نضال:** في البداية ابتعد، كما قلنا، ماجد أبو شرار وأبو صالح بخلفياتهما الشيوعية، عن أبو حاتم وقدري، وناجي علوش ومي صايغ البعثيين، وعن نزيه أبو نضال القومي الماركسي، وهناك مجموعات فتحاوية جاءت بخلفيات فكرية وطنـية أو تقدمية مثل يحيى يخلف وكفاح وجمعة وأبو معن وأبو نضال إسماعيل، وحنا مقبل وأبو فارس وخالد أبو خالد، وحنا ميخائيل (أبو عمر) ود راجي مصلح. . إلخ. وهناك مجموعات كبيرة من دون خلفيات فكرية سياسية أو حزبية مسبقة.

ويلاحظ من خلال المسارات اللاحقة لخيارات هذه القوى كيف تحولت وافترقت.

مثلاً كان معنا في الإطار الديمقراطي بعد أيلول 70 أحمد عبد الرحمن، الذي نشط في تشكيل تنظيم من قوات «فتح» في جنوبي سورية، عندما كان مسؤولاً عن إذاعة الثورة في درعا عام 1971. بعدها اعتقله عرفات وهدده بالإعدام، بتهمة أنه كان يعدّ لانقلاب عسكري، فاعترف أن لله حق، وسلم أسماء الشباب العسكريين، وكان من بينهم الشيخ نصر يوسف، المحسوب على أصدقاء التـيار اليساري وعمر أبو ليلى، ومن وقتها انتقل أحمد عبد الرحمن إلى معسكر ياسر عرفات.

| زياد منى: وبحماس شديد كحماسه لصبغ شعره الشائب. أما القائد العام فقد كان ذكيًا وداهية، يتسامح ويغفر كل شيئ . . إلا أن يُشرك به!.

| | **نزيه أبو نضال:** وهناك تجربة منـير شفيق عسل الذي أضحى الآن «منـير شفيق» والذي كان شيوعيًا سوفيتـيًا وصار في سجن الجفر ماويًا، ثم داعية ومروجًا لمقولة «التضامن العربي» بين الجماهير والأنظمة العربية بما فيها نظامي كامب ديفيد في مصر والنظام السعودي، وبعدها صار خمينـيًا إسلاميًا، ثم شكل ما سمي بالكتـيبة الطلابية، مع محجوب عمر وسعد وشقيقه

الشهيد جورج شفيق عسل (أبو خالد) ومعين الطاهر، ملتحقًا بصيغة تحالف مع أبو جهاد وأبو عمار ومنهيًا بذلك تحالفه مع ناجي علوش وأبو داود وأبو نضال البنا.

وفي سياق هذه التحولات والانشقاقات كنا أبو حاتم وأنا وآخـرون، في منتصف السبعينـيات قريبين من صبري البنا ومجموعته، ومن بينها ناجي علوش وأبو داود، ونسعى لفرملة اندفاعاته، كي لا يذهب بعيدًا في انشقاقه نحو التطرف وعمليات الاغتـيالات الداخلية، ولكن عبثًا. بل إن ناجي علوش وأبو داود أنهيا تحالفهما معه، وكان معهما حنا مقبل الذي جرى اغتـياله في قبرص بتاريخ 1984/5/13 على يد جماعة من تنظيم أبو نضال البنا، بدعوى ملكية دار «القدس برس» الصحفية، وكنت قبلها وسيطًا بينهما لتسوية الأمر، بحكم علاقتـي بحنا وبعاطف أبو بكر وصبري البنا، ولكن من دون جدوى.

وقس على ذلك، مثلاً أبو خالد العملة وإلياس شوفانـي وأبو فارس (مرعي عبد الرحمن). هذه المجموعة شكلت ما يشبه الحزب الشيوعي الفلسطينـي تحت غطاء «مجموعة المية»، في القطاع الغربي. وتقول الأخبار إن أبو خالد العملة اكتشف أن أبو فارس كان يوصل أسرار التنظيم إلى عرفات فهدده بالتصفية . . فأرسله القائد العام لاستكمال دراسته في موسكو، ثم التحق مستشارًا له في تونس ثم في رام الله.

> زياد منى: الآن عن موضوع اعتقال القائد العام ناجي علوش (أبو إبراهيم). رواية واحدة تم تداولها وهو أن شقيق الأخت العزيزة الراحلة أم إبراهيم زوج ناجي علوش، أي منـير شفيق عسل، هو من أبلغ القائد العام بعلاقة الأول بصبري البنا، وأنه عرف بذلك منه شخصيًا (سرب ناجي علوش المعلومة عن علاقته مع أبو نضال العراق إلى منـير شفيق عسل بطريق الخطأ). أبو فادي، أي منـير شفيق عسل، وكان هو والأخ الراحل حنا ميخائيل «أبو عمر» أول مسؤولين لي في قسم «العلاقات العامة» في مقر الإعلام المركزي في عمان، نفى ذلك على الدوام، وهذا من حقه. مصدر الرواية العديد من الأخوة ذوي العلاقة، لكنهم فضلوا عدم ذكر اسمهم. أما مصدري بالخصوص فهو القائد الكبير أبو داود، رحمه الله، أبلغنـي بها وبالتفاصيل التـي ذكرتها قبيل رحيله إلى دار الخلود، وهذا ما يشرح سبب إصرار المرحوم على مقاطعة منـير شفيق عسل حتى وفاته. الحريص على معرفة

التفاصيل يمكنه الاتصال بالأخوة ذوي العلاقة فغالبيتهم مازلوا بيننا ولله الحمد، ويتمتعون بأقصى درجات اليقظة وقوة الذاكرة، وهم يقيمون في عمان.

| **نزيه أبو نضال:** وكان يلتقي داخل هذا الإطار ضباط وطنيون رافضون لفكر التسوية سواء في قوات اليرموك أو قوات العاصفة مثل أبو موسى وأبو مجدي، وواصف عريقات .. إلخ، وخلفياتهم الفكرية لم تكن شيوعية. ولعلنا نجد حين نصل إلى المرحلة اللبنانية ثم إلى انشقاق أو انتفاضة فتح 1983 وما حدث بداخلها من تصفيات وانشقاقات ما يلقي مزيدًا من الضوء على ظاهرة التفتت المتسلسل داخل تيارات فتح الديمقراطية المعارضة.

| زياد مني: «تيارات فتح معارضة» نعم. أوافقك على ذلك. أما مسألة وصفها بأنها ديمقراطية فلا أوافق عليها. لقد كان القادة الفاعلون في تلك التيارات عسكرًا. أذكر الضجة التي اندلعت في العالم بسبب الانقلاب العسكري في اليونان. لم أكن أفهم وقتها سبب إدانة «حكم الجنرالات» إلى أن تعرفت حكم «الجنرالات» في فتح (الانتفاضة). العسكر لا يفهمون سوى لغة الأوامر ولا يتقنون النقاش، هذا إن كانوا يعرفونه أصلًا. أقول هذا من باب شعوري بخيبة أمل كبيرة من شخصيات كانت تشكل ظاهرة متقدمة في فتح ضد التسوية مع العدو وضد التخلي عن فلسطين. لكن هذا لا يمنعني من التعبير عن عميق احترامي للقائد العسكري الكبير أبو موسى وأني أعده شخصية وطنية فلسطينية كبيرة وجب الحفاظ عليها وتذكر إنجازاتها العسكرية دفاعًا عن الحركة الوطنية الفلسطينية في ساحات النضال ضد العدو، رغم ما حصل.

| **نزيه أبو نضال:** نلاحظ مما تقدم أن هذا الجسم الواسع، الذي كان يبدو متماسكًا من حيث المظهر، كان شديد التباين من حيث الجوهر والموقف الفكري والسياسي الحقيقي، ومن أجل هذا أخذ ينفرط على التوالي، ويذهب باتجاهات مختلفة، وسنعود لاحقاً إلى بعض هذه المحطات.

| زياد مني: اسمح لي هنا أن أقدم ما لدي من معلومات عن الموضوع. لاشك في انه كان ثمة عمل دؤوب لفرملة اندفاع القائد العام واستبداده واستفراده بقرارات الحركة كبيرها وصغيرها. لم اكن أعرف ذلك، وإن كنت أرى اجتماعاتهم المستمرة في مكتب «العلاقات الخارجية». كنت قبل ذلك وصلت إلى درجة «القرف» والقناعة بضرورة الابتعاد نهائيًا.

حصل مرة أن جاء أبو خالد العملة إلى منزلي ويقع في نفس بناء مكتب «العلاقات الخارجية» (في الطابق الثالث) في منطقة أبو شاكر المحاذية لمطعم «يلدزلار»، وطلب السماح له ب«الكولسة» مع الأخ ناجي علوش في الشقة. رحبت به بالطبع، لكنني طلبت منه أن يسمح لي بالنوم، وأضفت القول: إن ما تفعلونه مضيعة للوقت. انتهى أمر فتح من زمان. بلا مجلس ثوري، بلا بلوط. أذكر أن أبو خالد العملة احتج في اليوم التالي، بتحبب، إلى الأخ أبو حاتم قائلا: «شباب العلاقات» هؤلاء فاقدون الأمل بالمرة.

المعلومات التي لدي والتي حصلت على تفاصيلها قبل أشهر قليلة فقط تقول إن مجموعة من 15 قائدًا سياسيًا وعسكريًا في حركة فتح اتخذوا قرارًا بمنع تمركز القوات الدولية في جنوبي لبنان عقب الاجتياح الأول عام 1978، والعمل على تخريب وقف إطلاق النار الذي وافق عليه القائد العام من دون استشارتهم، ويبدو أنه تم بالتنسيق مع الراحل الكبير أبو جهاد. المجموعة هذه كانت تضم عضوي لجنة مركزية هما أبو إياد (صلاح خلف) وأبو صالح (نمر صالح). ومن أعضاء المجلس الثوري، وأرجو من العالمين بالأمر التصويب: صبري البنا (أبو نضال)، محمد أبو ميزر، أبو خالد العملة، أبو موسى، أبو مجدي، أبو داود، نصر يوسف، كمال الشيخ، مي الصايغ، وناجي علوش (كان في الجزائر عندما اتخذ القرار، لكنه وافق عليه لاحقًا). وقد أنيطت بأبو داود والأمن الموحد التابع لأبو إياد مهمة التصدي للقوات الدولية، وفعلا بدأ بالتحرك لكن القائد العام كان على اطلاع بتفاصيل الأمر من أحد أعضاء تنظيم أبو خالد العملة، كما أسلفتَ، فبدأ بعملية اعتقال واسعة النطاق شملت عناصر كل من أبو داود وناجي علوش إضافة إلى قوات الأمن الموحد حيث استنفرت قوات ال17 على مكاتب الأول وحدث إطلاق نار على بعضها في حي أبو شاكر. كما سمعت أن الأخ العزيز الشهيد عاطف بسيسو وأمين الهندي رحمه الله اعتقلتهما قوات أمن القطاع الغربي التابعة لأبو جهاد بينما كانا متجهين إلى الجنوب. المهم في الأمر أن التحرك فشل واعتقل القائد العام ناجي علوش ورجاله ثم حصل ما حصل بخصوص المؤتمر الصحفي الذي كان أبو حاتم ينوي عقده. وقد أوردت صحف لبنانية وقتها خبرًا عن اعتقال القائد العام الأخ ناجي علوش «لأسباب مسلكية»!. وعندما خرج أبو إبراهيم من الاعتقال اتصل من غرفتي بمكتب «العلاقات الخارجية» وبحضوري بالأخ العزيز أبو أحمد (طلال سلمان) صاحب جريدة «السفير» التي أوردت الخبر طالبًا منه نشر رده تحت طائلة

الاستعانة بالقضاء. موقف ابو أحمد يكن سهلاً[1]، لكنه نشر بعض رد أبو إبراهيم في اليوم التالي.

ويبدو أن أبو إياد عقد صفقة مع القائد العام منعت الانفجار الكبير، ولكنها سمحت للأخير بتسوية حققت له الحسم داخل الحركة لصالحه (ومن تجليات ذلك أن صورته علقت في مكتب «العلاقات الخارجية» للمرة الأولى حيث كان أغلبنا يرفض وضعها. كنا نقول ساخرين: القائد العام في القلب، وإذا علقنا صورته على الحائط نكون قد أخرجناه من قلوبنا!. الصور للشهداء فقط [وكنا نعلق صورة الشهيد جورج شفيق عسل]. بعد هذه «الهزيمة المرة» قيل لنا: لا نريد محبتكم، ضعوا صورته أحسن لكم. وهذا ما حصل فعلاً). وشكل القائد العام محكمة خاصة (بعدما رفض مسؤول القضاء الثوري، واسمه على ما أظن محمود الروسان، الحكم بالقتل على بعض عناصر أبو داود وناجي علوش)، بقيادة شخص اسمه أبو صلاح (هو من حقق معي عندما اعتقلني القائد العام[2]) وحكم عليهما بالقتل، ونفذ الحكم على حائط كلية الهندسة في منطقة الطريق الجديدة. في اليوم التالي توجه القائد العام إلى عائلتي العنصرين معتذرًا وباكيًا. وشاع في ذلك الوقت أن الشهيد أبو إياد أعطى موافقته على حكم القتل،

(1) جرت محاولات عديدة لاغتيال صاحب جريدة «السفير» الأخ العزيز طلال سلمان ونسف المبنى، اتهمت بتدبير إحداها «قيادات فلسطينية» عملت نيابة عن النظام العراقي.

(2) أود هنا توضيح أن اعتقال القائد العام لي والذي دام أيامًا معدودة، وكان أولاً في السجن في صبرا (المسمى ال19) ثم في مكتب شؤون الجرحى (كان رئيسه راسم الغول وكان يطلق على نفسه لقب: يسار ال17، أما الجهاز فكان اسمه ال18)!. لا اعرف إلى الان سبب اعتقالي، وإن كنت أظن أنه كان بسبب وشاية من الوكر في برلين، المسمى سفارة فلسطين. مع أن اعتقالي تم صدفة وبسبب تواجدي في مقر ال17 للقاء الأخ أحمد الازهري لطلب منحة دراسية لشقيق الأخ نبيل ابو ردينة الذي كان أنهى التوجيهية في فلسطين المحتلة بامتياز، إلا أن بعض حراساته ومرافقيه كانوا ينقلون لي تهديدات مستمرة بالاعتقال، إلا أنهم لم يكونوا قادرين على تنفيذ التهديد من دون أمر من رئيسهم. عندما أحضرت لمواجهة القائد العام في شقته الواقعة في أعلى المبنى الذي يحوي مكتبه، سألني عن سبب هجومي المستمر على قيادة المنظمة وسياستها، أي: الهجوم على شخصه. وعندما اجتمعت قيادات تيارات ديمقراطية لبحث امر اعتقالي، اتفقوا على إرسال الشاعر الأخ المرحوم معين بسيسو للقاء القائد العام وسؤاله عن السبب. رده كان: إنه يشكل حزبًا شيوعيًا في فتح بالتعاون مع المخابرات العراقية!! - وقتها أطلق الأصدقاء لقب «الأمين العام» علي تهكمًا على تلك التهمة. التهمة الجاهزة دومًا، عميل للعراق، عميل لسورية، عميل لليبيا، ولكن لم يتهم احد إطلاقًا بانه عميل للنظام المصري أو السعودي أو لوكالة الإستخبارات المركزية أو المخابرات الالمانية او الفرنسية ... أو غيرهم. طبعًا كان تلفيق التهمة مفضوحًا، فصدام حسين كان يعلق الشيوعيين العراقيين على اعمدة المشانق، أو يرمي بهم في نهر دجلة كما سبق القول. وعندما قام القائد الشهيد ابو جهاد بالاستفسار من القائد العام عن

لكنني حصلت على تأكيدات بعدم صحة ذلك إطلاقًا وأنها إشاعات أطلقها مكتب القائد العام لتسويغ ما حصل[3].

بعدما حصل ما حصل، غادر أبو داود رحمه الله إلى الجزائر بطائرة خاصة أرسلها له الرئيس الجزائري بعدما أعلمه سفير الجزائر في

سبب اعتقالي وقال إن كل ما يبدر عني من عمل في المانيا مرتبط باوامر منه [رغم ان ذلك لم يكن صحيحًا]، جاءه الرد: «دع لي القضية هذه»، وهذا ما أخبرني به الأخ نبيل ابو ردينة عندما زارني في سجن راسم الغول الذي صفي في الصراع الفتحاوي الداخلي بين مختلف الأجهزة على السلطة إثر الخروج من بيروت - رحمه الله. التهمة كانت على طريقة «وديه السجن وبكرة الصبح أوجه لو تهمة»، وهو ما قاله القائد العام لأبو حسن سلامة عندما اعتقل أحد الأخوة من مكتب العلاقات الخارجية. لم يطلق سراحي إلا بعد أن استعرت المسالة بتقديم أبو حاتم، مسؤول العلاقات الخارجية في حركة فتح، استقالته من الحركة وأعلم بها السفارات الصديقة التي تدافعت لمعرفة ما يجري في الحركة، فبدت ملامح فضيحة جديدة اضطر القائد العام لأن يتداركها بإطلاقي. في ظني أن القائد العام كان يريد «تأديب» اليسار مجددًا باعتقالي. ولا شك في أن وشاية الوكر في برلين وترشحي لانتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين «فرع المانيا الشرقية - لايبزغ» على راس قائمة «فتح» ضد قائمة المكتب الرسمية التي كانت تضم كل من فتح والديمقراطية والصاعقة والحزب الشيوعي في غزة والحزب الشيوعي في الضفة، والانتصار عليهم ساهم في حملة كراهية ضدي، رغم أن قائمة «فتح» التي كنت على رأسها ضمت مناضلين من فتح كان أحدهم شقيق أحد قدامى حراس القائد العام. لقد أشعرني ذلك الاعتقال بمهانة كبيرة، خصوصًا أن القائد العام كان ابلغني بأنه سيحولني إلى المحكمة العسكرية الخاصة التي أصدرت حكم القتل بحق مناضلين من تنظيم أبو داود وناجي علوش. قد قيل لي إن قائد تلك المحكمة الخاصة قضى هرسًا في ركام سيارته التي أوقفها ليلاً على خط سكة الحديد في تونس كي يضاجع مومس، فداهمها القطار؛ وتمت «لفلفة» القضية كالعادة وسجل بأنه قضى «شهيد الواجب الوطني»!. لم أفهم سبب اعتقالي، أنا الفار من نعيم العيش بين أهلي، والذي نفذت أوامر القيادة من دون تردد، حتى عندما كانت ترسلنا إلى الموت، أجد نفسي معتقلاً مع مجرمين وقتلة وجواسيس، وتحت إمرة سجانين يفتقرون إلى أي مقدار من أي قيم أخلاقية، والشيء الوحيد الذي أوصلهم إلى هذا الموقع ولاؤهم الأعمى لمن أطعمهم من جوع والبسهم من عري. مع هذا، أقول: سامح الله من كان مسؤولاً عن ذلك، والتاريخ يشهد الأن من كان المحق ومن المخطئ، من كان يخدم العدو ومن كان يحاربه حقًا. واضيف هنا أن الزنزانة التي أنزلت فيها أولاً كانت تضم معتقلين من تنظيم الاخوين ناجي علوش والراحل الكبير أبو داود، وكانت جدرانها مغطاة بشعارات منها: فلسطين عربية، تحيا فلسطين، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار . . إلخ. ياللعار!.

(3) الآن هذه مناسبة للقول بصريح العبارة إنني لم أكن على اطلاع على هذه المسائل، ولم اكن يومًا عضوًا في أي من تيارات فتح. ولم يسبق للاخ أبو حاتم ان طلب مني أي أمر بهذا الخصوص أو حاول كسبي. كل ما فعله عندما عدت إلى صفوف الحركة بعد إنهاء دراستي في بريطانيا عام 1974 ان جلسنا سوية لا ثالث لنا، تحدث فيها من القلب عن اوضاع الحركة والفساد المستشري فيها وحذرني منها عارضًا علي مساعدتي في أي أمر يقدر عليه ومن ذلك السماح لي بالعودة إلى العمل في جهاز «العلاقات الخارجية» لحركة

لبنان نـية القائد العام تصفيته (وربما كان سفره إلى الجزائر جزءًا من صفقة عقدها الراحل الكبير أبو إياد مع القائد العام)، وغادر ناجي علوش إلى العراق أو غيرها. أبو داود شعر بأن رفاقه خذلوه وتركوه يقاتل وحده وأنه دفع الثمن غاليًا نـيابة عن آخرين فترك العمل في فتح وقضى معظم وقته في ألمانـيا الشرقية حتى ذهب إلى تونس ومنها إلى قريته سلوان، ومنها عاد إلى دمشق حيث توفاه الله في مطلع شهر تموز عام 2010.

فتح، الذي كان يرأسه (كان ابو اللطف مفوضـه)، وهذا ما حصل حيث عدت للعمل مع الأخوين العزيزين وديع والشهيد جورج شفيق عسل (أبو خالد). وضـم المكتب وقتها إضافة إليهما كل من محمود اللبدي والأخ الراحل فيصل عويضـة الذي توفي بذلك المرض اللعين، والاخوة الاعزاء طارق سلامة وسلمان المرفي ومحمود عيسى، وكان مسؤول الإدارة الاخ عبد السلام تـيم، وكان من الذين تركوا الجيش الأردنـي بعد أيلول الاسود، ثم عاد إليه بعدما اكتشف حقيقة ما وصلت إليه حركة فتح. وأرجو المعذرة إن نسيت اسمًا. كما أود الإضافة هنا أنني ما كنت انضممت لو دعيت لأنـي لي موقفًا حاسمًا من عمليات الاغتـيال، عدا عن ان التحرك كان متاخرًا جدًا. لقد اغتال أبو نضال مجموعة من الشباب المناضل ومنهم صديق عزيز هو الشهيد عز الدين القلق معتمد «إقليم فتح» في فرنسـة. لقد نقل عنه قبل اغتـياله انه اجرى اتصالات سرية مع العدو (كما كان الأمر مع سعيد حمامي ممثل فتح في بريطانـيا، وغيرهما). لقد تحدثت اكثر من مرة مع الشهيد عز الدين القلق، والمرة الاخيرة كانت قبيل اغتـياله بيومين نفى فيها بشدة صحة ما نقل عن اتصاله بالعدو. لقد فجعنـي ذلك العمل الخسيس بحق مناضل وطنـي صديق عزيز. ملاحظة أخيرة، ثمة من يود نفي ان يكون قد نسق مع ابو نضال العراق والقول إنه كان مطرودًا من حركة فتح. الحقيقة هي اننا عندما كنا نسال عن وضع ابو نضال، في أعقاب تصريح الشهيد ماجد أبو شرار بأنه طرد من فتح وحكم عليه بالقتل، كانت الإجابة تاتـي: ابو نضـال عضو مجلس ثوري والنظام الداخلي للحركة لا يسمح بتجميد عضو مجلس ثوري أو طرده إلا من لجنة من اعضائه وبعد التحقيق معه.

الفصل الثامن:
متفرقات دمشقية

| | **نزيه أبو نضال:** حين غادرنا الأردن بعد أيلول 1970 بأسابيع قليلة، انتقلنا إلى دمشق لإصدار جريدة «فتح» اليومية من هناك، بعد استحالة إصدارها في عمان، ومن دمشق كانت ترسل لبيروت لتعاد طباعتها، وفي بعض الأحيان كنا، لهذا الغرض، نأخذ (بلاكات) الصحيفة أنا، وأحمد عبد الرحمن، في سيارته. وقد كنت حين اندلعت معارك الأحراش في جرش وعجلون، قد التحقت، مؤقتًا، معه بإذاعة درعا، لمواكبة سير العمليات العسكرية.

بعد ذلك لم تلبث جريدة «فتح» اليومية أن تحولت إلى صحيفة أسبوعية، كان يسهم في رسم وتصميم أغلفتها ورسومها الداخلية، فنانان كبيران، هما مصطفى الحلاج، ويوسف عبدلكي.

رحلة إلى الشرق: الصين وفيتنام وكوريا

من محطات تلك المرحلة أن أتيحت لي فرصة كبيرة لزيارة الصين، للمشاركة في احتفالات التضامن مع الشعب الفلسطيني، التي أقيمت في ذكرى النكبة يوم 15 أيار، وكذلك لحضور الاحتفال الكبير بعيد 1 أيار 1971، حيث احتفلنا بعيد العمال في ميدان تي أن منه في بكين، بمشاركة مئات الألوف، حيث قدمت أجمل اللوحات الفنية الراقصة، وحيث انطلق مهرجان الأسهم النارية المدهشة.

واحتفاءً بفلسطين، أقيمت أنشطة جماهيرية وإعلامية لدعم الثورة الفلسطينية، وفي الاحتفال المركزي الذي عقد بالمناسبة، ألقيتُ، بصفتي ممثلاً لفلسطين، كلمة الضيوف المشاركين والصحافة العربية. وكان يوجد حضور بارز لعدد من الصحافيين العرب، أذكر من بينهم فريد الخطيب، وعلي بلوط (لبنان)، وأحمد الجار الله (الكويت)، وآخرين من سورية واليمن والعراق والجزائر، وعدد من اتحاد كتاب آسيا وإفريقية. وانضم إلينا بعد أيام، رشاد أبو شاور من فلسطين.

التقينا على هامش تلك الاحتفالات، رئيس الوزراء الصيني شوان لاي، واطلعنا على تجربة الثورة الثقافية في جامعة بكين، ودروس في الطب الشعبي، وعلاج الصم والبكم بوخز الإبر الصينية.

وكان أغرب ما جرى معي في الصين درس الحساب الذي تعلمته في أحد الصفوف الابتدائية في بكين: تقول المسألة: في إحدى المعارك، قَتَلَ ثوار فيتنام 14 جنديًا أميركيًا، وفي معركة أخرى، قتل ثوار فلسطين 5 من الجنود الصهاينة، فكم خسرت الإمبريالية في هاتين المعركتين؟. وكان على المعلمة بالطبع، أن تشرح لطلابها عن ثورتي فيتنام وفلسطين، وعن أميركا، وعن معنى الإمبريالية. كان ذلك درسًا في الحساب على الطريقة الصينية.

ولكن المدهش حقًا في الصين، هو مستوى التنظيم الدقيق لأبسط الأمور، وبما يفوق كل تصور وخيال، فإذا كان معبود الكوريين الشماليين كيم إيل سنغ، فإن معبود الصينيين الأول التنظيم البسيط الذي يصنع المعجزات: في شنغهاي، زرت أحد مصانع الحديد والصلب العملاقة، كما زرت بيتًا متواضعًا بداخله طاولة مستطيلة يجلس حولها زهاء عشرين امرأة من نساء الحي، وعلى نظام «السيريه» أو «خط الانتاج»، كانت تتم أمامي صناعة راديو ترانزستور صغير، يبدأ بخطوة أولى، لينتقل بالتدريج إلى العاملة الأخيرة، وخلال وقت قياسي، وإذ بالراديو الصغير الذي صنع توًا، يقدم هدية إلى الضيف الفلسطيني.

كان برنامج رحلتي أن أتوجه بالطائرة من شنغهاي إلى هانوي، ثم أعود إلى شنغهاي مجددًا، ومنها إلى كانتون، فهونغ كونغ، فكراتشي، فالقاهرة، ثم دمشق. خلال زيارتي الطويلة للصين، تجمعت لدي مجموعة من الأمتعة والكتب الصينية والكورية المترجمة إلى العربية، والهدايا الثمينة، ومنها راديو شنغهاي، وكنت أضعها في حقيبة منفصلة . . فقلت لمرافقي: ما دمت سأعود

إلى شنغهاي فلم لا أترك هذه الحقيبة الإضافية الثقيلة، في الفندق واخذها في رحلة العودة، وقد كان.

في فيتنام

|| **نزيه أبو نضال:** في فيتنام، زرت العديد من المواقع والمتاحف، ومن بينها بيت الراحل العظيم هوشي منه، ومتحف حربي فيه تجسيدٌ مدهشٌ، لوقائع معركة ديان بيان فو، التي قادها الجنرال جياب.

وفي هانوي، التقيت، في ورشة عمل، مع أعضاء في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفيتنامي، لإطلاعهم على تجربة الثورة الفلسطينية، وكان المدهش، درجة الاطلاع والمتابعة والحرص على معرفة أدق التفاصيل، ومدى ارتباطها بالخلفيات السياسية والفكرية للثورة.

كما زرت عددًا من المواقع العسكرية التي تتصدى للطائرات الأميركية الحربية، وتسقطها، بالرشاشات الخفيفة، وهناك أهدوني خاتمًا مصنوعًا من معدن إحدى الطائرات وعليه رقم الطائرة المُسقَطَة، ومن بسطاء المقاتلين، هناك تعلمت سر تواضع الكبار، وكيف يعلو صوت الغناء على صوت المدافع، وكان المشهد الذي لا ينسى في الشوارع وعلى أطراف البحيرات، رؤية آلاف العشاق، فوق دراجاتهم الهوائية يلهون بحرية وفرح، وهم يواصلون إلحاق الهزيمة بالإمبراطورية الأميركية، بعد أن هزموا قبلها الإمبراطوريتين الفرنسية واليابانية.

في هانوي، دعاني السفير الصيني إلى العشاء، وفي نهاية السهرة أبلغني بأن رحلة طائرتي في اليوم التالي إلى شنغهاي قد ألغيت بسبب الأحوال الجوية، واستبدلت برحلة مباشرة إلى كانتون، فأبلغته بخجل عن وجود حقيبة لي في فندق شنغهاي، قال: سنتابع الموضوع.

في اليوم التالي غادرت هانوي إلى كانتون، وأنا على يقين بأنني قد فقدت حقيبتي، وما فيها من ذكريات ثمينة. فقد تعلمت في بلادنا أن وفدًا زائرًا يضيع، فكيف بحقيبة صغيرة!. في مطار كانتون، كان الرفاق الصينيون باستقبالي، حيث أخبروني بأسف بأن خط الطيران مع شنغهاي لا زال مغلقًا، ولهذا لم تصل حقيبتي بعد إلى كانتون، وأضافوا: نأمل أن تصل وأنت معنا هنا، وإلا فسنوصلها إليك في هونغ كونغ، أو إلى سفارتنا بدمشق. شكرتهم محرجًا ومقللاً من شان مسالة حقيبة صغيرة شغلت اجهزة الدولة

الصينـية في هانوي حيث اتصل سفيرها بالخارجية في بكين، فوزارة الإعلام باعتبارها الجهة الداعية، فالمرافقين في شنغهاي وكانتون وربما في هونغ كونغ والسفارة الصـينـية بدمشق.

وصلت هونغ كونغ وكان الرفاق الصينـيون بانتظاري في محطة القطار، واصطحبونـي إلى فندق ميرمار حيث سأقضي 48 ساعة للتعرف على هذه التجربة العجيبة، وفي اليوم التالي نزلت أتجول في شوارعها، وأتفرج كيف يعيش الناس حياتهم في القوارب، عدت إلى فندقي مرهقاً كي أرتاح قليلاً . . دخلت غرفتـي وكانت هناك على السرير بانتظاري حقيبة شنغهاي!.

كيف طارت من شنغهاي إلى كانتون واستقبلت في المطار ثم ودعت في القطار المتوجه إلى هونغ كونغ حيث استقبلت هناك وجرى نقلها إلى فندق ميرامار حيث وجدتها بانتظاري على سريري.

وتذكرت بحزن، صديقي أبو نائل، الذي بقي في الصين حوالي ست سنوات، لم تصله خلالها رسالة واحدة من المركز، تحدد له هذا الموقف أو ذاك، أو تقول له: افعل كذا أو لا تفعل كذا، وكان الصينـيون يسألونه عند وقوع حدث معين، يا رفيق: ما الموقف، أو ما التعليمات التـي وصلتك، وطبعًا يعرف الصينـيون أن البريد لا يصل، وأن جهاز اللاسلكي معطل منذ سنوات، فكان يوهمهم بأن بعض ما تبثه إذاعة الثورة مثل «من س إلى ص، العصفور فوق الشجرة . . إلخ) رسائل مشفرة من القيادة للسفارات الفلسطينـية، ونحن فقط الذين نحلها وفيها التعليمات، ثم يجتهد بتأليف أي جواب. فمن غير المقبول أمام الصينـيين، أن تكون هناك منظمة وثورة لا تتواصل أو تسأل عن ممثليها وسفرائها.

فهل نسأل بعد ذلك لماذا هزمنا!. ولماذا يتقدم العالم من حولنا ونحن نتراجع بلا هوادة.

في كوريا الشمالية

| | **نزيه أبو نضال**: وخلال رحلة الصين، قمت بزيارة إلى كوريا مع الصديق عبد الفتاح القلقيلي (أبو نائل) سفير فلسطين في كل من بكين وبيونغ يَنغ وهانوي عدة أيام، للاطلاع على جوانب من التجربة الكورية، فاخذونا إلى متحف أم كيم إيل سونج إضافة إلى متاحف كيم نفسه كما اصطحبونا إلى نهر عريض لنرى من أين بالضبط قطع كيم وهو شاب النهر

سباحة، وخلال الزيارة خضعنا لترتـيبات بروتوكولية عجيبة قبل أن نلتقي بالرئيس الكوري كِيم إيل سُونغ ووزير خارجيته خوام، وفي اليوم التالي نشرت صورنا مع الرئيس في الصحف الكورية، فكنا حيث نتجول ينظر إلينا بانبهار، ويكاد الناس يتلمسوننا تبركًا . . فقد كنا إلى هذا الحد قريبين من الرئيس المحبوب من عشرين مليون كوري . . فعرفت معنى عبادة الفرد، وخطورة ذلك على الثورات والدول والشعوب.

الفصل التاسع:
المرحلة اللبنانـية

| | **نزيه أبو نضال**: مع بدايات العام 1971، كانت قيادات حركة فتح والمقاومة الفلسطينـية، تحتل مواقعها الجديدة في بيروت، وتتموضع قواتها في الجنوب تدريجيًا فيما عرف آنذاك باسم «فتح لاند»، وذلك في أعقاب «اتفاقية القاهرة»، التي عقدت في 3 تشرين الثانـي 1969، لتنظيم العمل الفدائي في لبنان. وتم ذلك كله باحتضان شامل من الجماهير والقوى السياسية الوطنـية اللبنانـية، وعلى رأسها القائد الاستثنائي كمال جنبلاط.

ولحظة وصولنا إلى بيروت، كجهاز إعلامي مركزي وعلاقات خارجية، وجدنا أنفسنا في صراع مع قيادة تنظيم فتح في لبنان وأجهزته، ممثلة بحمدان عاشور والحاج طلال أبو غزالة، المدعومين من أبو يوسف النجار وأبو جهاد (خليل الوزير)، فيما عرف بصراع «المقيمين» و«الوافدين» أو «الأغراب»، وبالطبع حسمت المعركة للوافدين من الأردن والشام، ومعهم كل إمكانات الثورة وقياداتها، وواصلنا العمل في إعلام وجريدة فتح على دوار الكولا، وفي إطار التـيار الديمقراطي.

| زياد منى: قبل الدخول بتفاصيل التجربة اللبنانـية أرجو أن تحدثنا عن موضوع «الشرخ» و«الموج الإقليمي»، ومن منظور تجربتك الشخصية.

نشرة «لبنان العربي»

|| **نزيه أبو نضال**: كان أكثر ما يقلقنـي آنذاك، ضرورة العمل كي لا تتكرر تجربة الأردن المريرة في المسألة الإقليمية، فنتحول مجددًا إلى فلسطينـيين ولبنانـيين. ومن أجل درء هذا الخطر، عملت على إصدار نشرة خاصة باسم «لبنان العربي»، تصدر عن القوى الوطنـية اللبنانـية والفلسطينـية في لبنان، وبدعم وتمويل من إعلام فتح، الذي كان يقوده ماجد أبو شرار، وقد صدرت النشرة بالتعاون مع المسؤول التنظيمي لمنطقة صيدا واسمه صخر الجنوب، وهو غير صخر أبو نزار (يحي حبش رحمه الله). ركزنا في النشرة على الوحدة البرنامجية بين المشروعين الوطنـي الطبقي، والقومي التحريري، انطلاقًا من تجربة الأردن الأليمة، حيث حاولنا في نشرة «لبنان العربي»، ألا نقع في هذا الفخ، وأن يكون هناك حركة وطنـية ترصد موقعها ودورها، ولا نكون نحن بديلاً لها، ولا ندخل بزواريب محلية تضعنا بمواجهة الشعب اللبنانـي. ولا شك في أن الفسيفساء الطائفية في الساحة اللبنانـية، شكلت نوعًا من الحماية، لانقسام لبنان بين مسلم ومسيحي، فاصطف المسلمون مع المقاومة (المسلمة)، ولذلك لم يكن الشرخ واضحًا وكبيرًا مع الجماهير اللبنانـية (المسلمة عمومًا). لكن الشرخ فعليًا كان تحت الرماد، وإن لم يكن فاقعًا كما حدث في الأردن. كنا نحاول أن نعزز فكرة وحدة أطراف المجابهة ضد العدو الصهيوني، وضد العدو الطبقي، وترسيخ ذلك من خلال هذه النشرة، لكنها لم تصمد طويلاً، لأسباب مختلفة، حيث أصدرنا فقط نحو 10 أو 12 عددًا، كانت صرخة في واد، فالموج الإقليمي كان عاليًا وعاتـيًا وعميقًا، وهذا ما حدث في نهاية المطاف، رغم الفوارق بين الحالتـين، ورغم ما بذلناه من جهود، ورغم أطروحات كمال جنبلاط و«الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينـية».

نشرة «شؤون الأردن»

|| **نزيه أبو نضال**: وانطلاقًا من ذات الهاجس كان من الطبيعي، وبحكم التجربة والانتماء والاهتمام الخاص، أن أعمل مع شباب جهاز «شؤون الأردن» في فتح، الذي كان يقوده قدري (سميح أبو كويك)، بمعاونة ثلاثة من الكوادر المتقدمة في الحركة هم يحي يخلف وجمعة الناجي وكفاح (موسى عودة)، وكان معهم في مكتب بيروت سعد (عبد القادر جرادات) الذي انضم

لاحقًا إلى الكتيبة الطلابية وتنظيم منير شفيق عسل، واستشهد مع جورج شفيق عسل في معارك الجبل.

انصب اهتمامي في هذا المجال على جانبين: الأول، تولي إصدار نشرة «شؤون الأردن» في بيروت، وهي خاصة بتنظيم فتح داخل الأردن. وكان من المساهمين في النشرة، إضافة إلى كوادر جهاز «شؤون الأردن»، غانم زريقات ذي الأصول البعثية. ومن الطريف أن أذكر هنا حجم النقاش الذي دار حول تسمية جهة إصدار النشرة. فهل هي «الحركة الوطنية الأردنية» أو «الحركة الوطنية في الأردن»، وكنت أقاتل لتثبيت الخيار الثاني، احترامًا لتنوع مكونات المجتمع في الأردن، وهكذا كان. وقد استمرت بالصدور فترة طويلة نسبيًا إذا قيست بنشرة «لبنان العربي».

الجانب الثاني: «اتحاد طلبة الأردن - فرع لبنان»، الذي كان يقوده فايز عدوان. وكان من مهماتي في إطار هذه العلاقة، الإشراف السياسي العام على عمل شباب فتح في الاتحاد الذي يتولون قيادته، وتمثيل فتح في مؤتمرات «الاتحاد العام لطلبة الأردن» الذي كان يسيطر عليه فعليا البعثيون القريبون من العراق، رغم أن أمينه العام آنذاك كان صالح قلاب المحسوب على بعث صلاح جديد. وكان يمثل البعث العراقي في التفاوض، عضو القيادة كمال فاخوري، كما حدث في مؤتمرَي الاتحاد في سوق الغرب، بلبنان وفي بغداد. وكان هاجسنا في العمل آنذاك سواء على الساحة اللبنانية أو الأردنية تكريس فكرة عروبة العمل، والقتال من أجل بناء الأطر القومية التي تعكس هذه الروحية، تجاوزًا للفخ الإقليمي الذي وقعنا فيه في الأردن. ولذا، حين جاءني ذات يوم في بيروت موفق محادين ومحجوب الروسان مع عدد من قيادات حزب يساري شرق أردني كان يجري تشكيله في الأردن من دمشق، وعرضوا علي الانضمام معهم وتولي قيادة هذا الحزب، قاتلت بشدة ضد هذه الفكرة، لأنها الوجه القبيح الآخر لإقليمية فتح الفلسطينية في الساحة الأردنية. ولحسن الحظ فإن هذه المحاولة لم تعمّر طويلاً حيث تشرذمت أولاً ثم انقرضت.

مفوضًا سياسيًا في «قوات العاصفة»

|| **نزيه أبو نضال**: بعد فترة من وجودي في بيروت شعرت بالخوف من أن هذه المدينة الفاتنة قد تفتنني وتلوثني، فقررت مغادرتها والالتحاق بقوات العاصفة مفوضًا سياسيًا، وكان لدي غرفة صغيرة في منطقة الجامعة

العربية. فبعت أو وزعت كل موجوداتها كي لا يبقى ما يربطنـي بالخلف. كنت أبحث عن نوع من التطهير الذاتـي الذي دفعنـي أصلاً لترك الجامعة والالتحاق بالمقاومة. وهكذا انطلقت إلى الجنوب، مثل نوح، لا أنظر إلى وراء.

| زياد منى: أما بيروت فقد «لوثت» المقاومة. أذكر أنه في أيام عمان كان الذهاب إلى بيروت «شبهة». كل من كان يريد الذهاب إلى هناك كان ينظر إليه على أنه باحث عن المتعة الدنـيوية. لا أقصد هنا المس بأهل بيروت وشعب لبنان العزيز إلى قلبي والوفي لفلسطين، وإنما توضيح كم كانت بيروت مجتمعًا استهلاكيًا، والحرية الشخصية هناك لم تتوافر في أي بلد عربي اخر.

| | **نزيه أبو نضال:** كان توقيت الاختـيار في فصل الشتاء، وحيث قواعد المقاتلين في العرقوب معزولة وسط صقيع الثلوج، وكان علينا كي نصلها ونتحدث مع مقاتليها أن نؤمّن لهم معنا المواد التموينـية ومازوت التدفئة. ومن دون ذلك لن يسمعنا أحد.

كان أبو صالح آنـذاك، هو الذي يتولى موقع نائب القائد العام لقوات العاصفة، وكان ماجد أبو شرار يتولى موقع المفوض السياسي العام للقوات، وكنا معه ثلاثة كوادر، نحمل مشروع بناء جهاز التفويض السياسي في الحركة: أنا وأبو نائل، (عبد الفتاح القلقيلي)، وأبو عمر (حنا ميخائيل)، وكان يراودنا نحن الثلاثة حلمٌ شبيهٌ بفكرة معسكر ال99 في الأردن، ولكن هذه المرّة على مستوى قوات العاصفة. فأعددنا مشروعين أ و ب. الأول طموح للغاية، وكنا واثقين من أنه سيرفض، ولكننا قدمناه كتكتـيك كي يقبل الثانـي. وكانت المفاجأة أن القيادة قبلت المشروع الأول، فعلق أبو نائل: معنى ذلك أن عملنا بين القوات لن يطول.

| زياد منى: القيادة منعت الكوادر «اليسارية» الاتصال بالقوات تحت أي بند لأنها «ستلوث» فكرها بالمشاريع المعادية للتسوية.

| | **نزيه أبو نضال:** وهكذا كان. كان مكتب التفويض في دمشق لسهولة التواصل مع قواتنا في جنوبي سورية ومنطقة العرقوب. وخلال عملنا في القوات، اصطدمنا برغبة عارمة لدى المقاتلين بالالتحاق بتنظيم أيلول الأسود، والمشاركة في العمليات الخارجية ذات البريق الأخاذ: طائرات فارهة وملابس أنـيقة وحقائب سمسونايت، بدلاً من تعتـير القواعد وسط الثلوج، وحيث التفاوتات المريعة بين الضباط والمقاتلين البسطاء. وقد اكتشفنا خلال

فترة عملي القصيرة مفوضًا سياسيًا، المعدن الطيب والأصيل لمقاتلي شعبنا، ما دامت قياداته تناضل معه، بقلب وصدق، فلا تجد أحدًا يطلب إجازة، ولا أحد يطلب طعامًا خاصًا، وهم مستعدون أن يضحوا بلا حدود، طالما يوجد قضية، طالما يوجد قتال ضد العدو. ولكن، من دون ذلك، يراقبون بعضهم، بعيون لا تغفل: سيارة الملازم، ولباسه، وماذا يدخن؟، وكيف يأكل؟، وكيف يقضي إجازاته؟، وأين؟. وعندها تكثر مطالب المقاتلين، كل واحد يريد أن يرفع راتبه، ويطيل إجازته، ويريد لأسرته ولزوجته علاجًا ومساعدة، ولا يكف عن التفكير بقائمة مطالب لا حد لها. فرحنا نقاتل سياسيًا من أجل المساواة داخل القوات، وضرورة تصعيد العمل المسلح ضد العدو. كما كنا نحرض ضد هوس «العمليات الخارجية»، وبأن فلسطين تحرر من هنا، وفي الداخل، بمواجهة القوات الصهيونية، وليس ضد قطار في فيينا، أو خطف طائرة أو اقتحام سفارة في عاصمة أوربية.

وكانت النتيجة طبعًا أن استدعاني في دمشق عضو اللجنة المركزية خالد الحسن شخصيًا. قلت لنفسي «ولكن لماذا! فلا علاقة لخالد الحسن بالقوات ولا يعرف عنها شيئًا»، وإذ هو متابع لكل التفاصيل ويعرف أن نزيه أبو نضال هناك، ويعرف ماذا أقول وبما أحرض، ولهذا كان رأسي مطلوبًا. خالد الحسن قال لي وقتها: نحن لا نسمح بالعبث في القوات، وأنت خطر على القوات، وأبلغني قرار اللجنة المركزية لحركة فتح بطردي شر طردة كمفوض سياسي في قوات العاصفة، فاضطررت للعودة مجددًا إلى إعلام فتح في بيروت الذي كان يتولى مسؤوليته آنذاك أبو حاتم (محمد أبو ميزر). كان عمري آنذاك قد بلغ الثلاثين، وقد صار لزامًا أن أتزوج.

الزواج والمساومة

|| **نزيه أبو نضال**: قد يبدو حديثي عن زواجي عام 1973، ذهابًا نحو خصوصية ما، وَعدتُ بتجنبها، غير أن ما حدث معي كان بالغ الدلالة بصورة تستدعي كشفها أمام الجميع، كي نعرف بالضبط لماذا انهار الكثير من الشرفاء حين لم يجدوا ما يحمون به موقفهم وشرفهم الوطني، أمام محترفين في تركيع المناضلين وتحويعهم وإخضاعهم.

حين قررت الزواج، بعد استشهاد كمال ناصر، رفضت عائلة الفتاة، وكان يربطني بها علاقة صداقة حميمة، أن تزوج ابنتها لمشروع شهيد، وكانت

ترى، وهي على حق، بأن ابنتهم (نـينا جدع) المدرّسة بالجامعة الأميركية ببيروت، تستحق طبيبًا مثلاً، لا مناضلاً كادحًا مرشحًا للشهادة في أي لحظة، ولهذا فقد عقدنا خطوبتنا من دون موافقة أسرتها، ولكن كان شقيقها وشقيقتها معنا. بدأنا نستعد للزواج من دون أن نكف عن الاستعانة ببعض الوساطات العائلية لتليين موقف الأب والأم.

في ظل هذه الاستعدادات، تدخّل أبو حاتم عند ياسر عرفات من أجل مساعدة الزواج، فأنا متفرغ في فتح منذ العام 1967، ولا دخل عندي سوى مخصص ال400 ل ل، لا تكفي شابًا عزبًا، فكيف بمصاريف زواج وبيت زوجية. وقد جرى التقليد أن توفر فتح من خلال عرفات أو أحد «الأعمام [أي: الأبوات. ز م]» مثل هذه المساعدات للكوادر المتقدمة، أما العناصر المستجدة، فتُصرف لها تلقائيًا مساعدة زواج مقدارها 1500 ل ل.

بعد أيام أرسل عرفات مرافقه فتحي لاستدعائي إلى مقره في ال17، فقال لي أبو حاتم: هذا أكيد من أجل مساعدة الزواج.

ذهبت والحق يقال مستبشرًا، فأمامي مصاريف زواج وتأثيث واستئجار بيت جديد . . إلخ، ولم أكن أملك شيئًا من ذلك.

كان عرفات بانتظاري مع أبو إياد (صلاح خلف الملقب بالرجل الثانـي في حركة فتح)، فقال لي: سمعت أن أبو عماد (والد الخطيبة) يرفض زواجكما، إذا أحببت أذهب إليه وأقنعه بالموافقة.

شكرته على هذه الروحية، وأخبرته بأن الأمور تسير إيجابًا، ولا ضرورة ليشغل نفسه، إذ يكفيه مشاغل الثورة، وبدأت حديثًا عامًا في السياسة، ولكنه دخل فورًا على الخط الساخن، قال: مبروك، وأعطانـي كتاب مساعدة الزواج. قلت له: شكرًا، ووضعت الورقة في جيبـي، مطوية كما هي، وأكملت الحديث، بأخبار السياسة وغيرها.

قال لي أبو إياد: انظر في مساعدة الزواج فقد يكون المبلغ غير كاف.

قلت له: ما في مشكلة أنا مقاتل في هذه الحركة، وحقي آخذه، ولا أريد أكثر.

قال لي: لا، انظر.

فتحت الورقة، قرأتها وأعدتها إلى جيبي من دون أي تعبير أو انفعال، أو إبداء أي إحساس بأن هذا المبلغ هزيل، فقط 2000 ليرة لبنانـية، وكان يمكن أن يصرف من المالية، من دون المرور بقائد الثورة ياسر عرفات، والرجل الثانـي صلاح خلف.

وأدركت على الفور الكمين: هم يباغتونك في لحظة ضعف. أنت تريد أن تتزوج، وأمام زوجتك وأهلها يجب أن تفتح بيتًا، تستأجر، وتؤثث، وهم يعرفون أنه ليس لدي أي شيء إلا الأربعمئة ليرة التي آخذها آخر الشهر من الحركة. إنها اللحظة المناسبة لإذلالك وكسرك. كان ينتظر أن تقول: لا يا أخ أبو عمار، ما هذه الألفا ليرة لبنانية؟. هناك زواج وبيت وأثاث!! وسيقال لك عندها: بسيطة، فقط أنت اطلب.

ولكنك تعرف في المقابل، بأن عليك أن تدفع الثمن، فإذا كسروك انتهى. المهم ألا أنكسر، إذا كُسرتَ لمرة واحدة انتهى أمرك.

ولكنني بدل ذلك قلت له: شكرًا، إذا كان هذا هو حقي فقد وصلني ولا أريد أكثر من ذلك، وأكملت حديثي في السياسة وكأنه لا يوجد أمر آخر.

تدخل أبو إياد: ممكن أن المبلغ غير كافٍ؟. فقلت مقاطعًا: رجاءً أخ أبو إياد، لا أريد أن أتحدث بموضوع الزواج، نحن نتكلم بقضية أهم. دعنا نستكملها.

وقتها كنت قادرًا على الاحتجاج بأن الكوادر المتقدمة في الحركة تصرف لها عند الزواج عشرات بل ومئات الألوف، (آنذاك قيل إنهم دفعوا لأبو الزعيم مئة ألف ليرة لبنانية لتسوية مشكلة عذرية مع بنت جنوبية). ولكنني أدركت بأن لا جدوى.

> زياد منى: الحديث عن الفساد والإفساد يطول، ويحتاج إلى مجلدات، من المهم التذكير هنا أن أموال النفط والتكفيريين والمفسدين في الأرض، لم تكن تقدم لنصرة الثورة، التي لم تكن موجودة أصلاً. أموال التكفيريين والمفسدين في الأرض، أصحاب أموال النفط كانت تقدم كي تفسد الثورة ومنع قيام حركة وطنية معادية للإمبريالية. لذا كانت الأموال تقدم للفاسدين والمفسدين وليس للثوار. الأموال التي دفعها التكفيريون للإفساد والمفسدين، تكفي لتحرير فلسطين مئة مرة، ولكنها قدمت للتدمير وليس للبناء. وهو ما أوصلنا إلى ما نحن فيه. يمكن للمرء السؤال: لماذا لم تقدم الأموال تلك لحركات مقاتلة ترفض التنازل للعدو عن الوطن!!. القيادة المفسدة قامت بدورها بإفساد الساحات العربية كلها، وقائمة من كان يتلقى أموالاً منها نشرت والأسماء معروفة. عندما قلت لنبيل عمرو في برلين: حركة فتح خرجت مليونيرات بقدر ما خرّجت ثوارًا، كان رده: على هذه، تستحق الإعدام عشرة مرات. سامحه الله.

وربما وجب هنا القول، إن المؤتمر الحركي الرابع، طالب القائد العام

بتقديم كشف مالي عن إيرادات الحركة، فرفض وقال إنه على استعداد لتقديم المطلوب فقط ما يخص مقدار ال6% المقتطع من معاشات فلسطينيي الاغتراب. أما البقية، فإنها تأتي إليه بصفة شخصية، ولا دخل لحركة فتح بها. وقتها قرر المؤتمر عدم بحث المسألة جديًا.

لكن فساد القيادة وإفسادها، لم يكونا مقتصرين على الساحة الفلسطينية. يمكن للمرء الحديث مطولاً عن سرقة المصارف في أثناء «حرب السنتين» تحت إشراف «رفاق» بل و«أمناء عامين» [يقال: إنهم كانوا يعيدون توزيع أموال الإمبريالية، ليس غير]. يا للعار. كل مارس السرقة والنهب، عدا الجبهة الشعبية. أقولها للتاريخ. لكن الجبهة الشعبية الآن ليست ما كانت عليه في ما مضى[1].

| زياد منى: وما دمنا نتحدث عن المال هل تحسن وضعك المادي في الحركة بعد الزواج والمساعدة المالية الضخمة التي قدمتْها القيادة لك!.

| | **نزيه أبو نضال:** بعد مساومة الزواج، كان لا بد من الاعتماد على الذات. فاستأجرنا بيتًا بسيطًا وأثثناه بما هو ضروري وبالتقسيط، وبعد ذلك بفترة بسيطة، عملت في جريدة «اللواء» مسؤولاً عن صفحة «قضايا ودراسات» كما كنت أسهم في صفحة «الثقافة»، وكان دخلي من اللواء خمسة آلاف ل ل، في حين كان مخصصي الحركي أربعمئة ل ل، وكانت زوجتي تعمل أستاذة في الجامعة أيضًا، فاستغنيت بذلك ماديًا عن الحركة، ما ساعدنا على أن نستقل بموقفنا السياسي. ولهذا فقد كنت أقول ولا أزال: فليساعد الله أولئك المناضلين الشرفاء الذين ليس عندهم إمكانية عمل مثلي، ولا زوجة تعمل. أما الذين اعتمادهم على مخصص الحركة فقط، وله بيت وأولاد، فليعنه الله.

أبو الزعيم وعادل إمام

| زياد منى: على سيرة المال والفساد ما حكاية أبو الزعيم مع عادل إمام.

| | **نزيه أبو نضال:** في إحدى السنوات، حضر عادل إمام إلى بيروت

(1) كما يجب الحديث عن الفساد في الأقاليم، ولا اقصد هنا الفساد المالي فقط، وأذكر بالعلاقة فضيحة مدارس ابنائنا في الكويت التي كانت قيادة فتح تديرها وما قيل وقتها عن اكتشاف شبكة اعتداءات جنسية على التلاميذ، ولكن، كما العادة، تمت لفلفة القضية. ويضاف إلى ذلك الفضائح الجنسية بحق ابناء الشهداء وبناتهم في مدرسة أبناء الشهداء بسوق الغرب.

لتقديم مسرحية له على مسرح البيكاديلي. وقد روي على نطاق واسع آنذاك، الواقعة التالية:

ذهب أبو الزعيم إلى عادل إمام وقال له: تفضل معي.

رد عادل إمام باستغراب: على فين إنشاء الله.

قال أبو الزعيم: لعند ياسر عرفات.

قال عادل إمام مستغربًا: واروح أعمل إيه عند ياسر عرفات.

رد أبو الزعيم: تروح مشان تضحكه.

وحين رفض مستغربًا ساقه أبو الزعيم، كما قيل، مخفورًا إلى ياسر عرفات، وعادل إمام يصرخ محتجًا، فاعتذر منه وأطلق سراحه.

وقيل إن عرفات بعد انصراف عادل إمام ضحك كثيرًا من تصرف أبو الزعيم.

| زياد منى: سمعت القصة على نحو مختلف، وهي أن أبو الزعيم هذا، أرسل دورية لاصطحاب عادل إمام من المسرح. وعندما وصل إلى منزل الأول طلب منه: ضحكلي مراتـي، فكان رد عادل إمام: «أنا دمي خفيف في المسرح لكن سئيل أوي في ظروف زي دي»، فاضطر القائد العسكري «المغوار» إلى إعادته إلى الفندق، واضطر القائد العام إلى إقامة حفل في مدرسة أبناء الشهداء في بئر حسن لترضيته. قيل وقتها: إن عادل إمام سأل القائد العام: إنتو عندكم حاجة زي «قانون العيب»، فرد: لا، فأجابه: . . أمكم لغاية ما يصير عندكو. لكن يا أخ أبو عمار ده اللي حصل عيب يكون في الثورة الفلسطينـية.
بغض الطرف عن صحة الرواية فإنها تعكس موقف أبناء الحركة المخلصين، على حالة الاهتزاء التـي كانت تحاصرها، بسبب «قادة» كان القائد العام متمسكًا بهم إرضاء لهذا النظام أو ذاك، أو بسبب طاعتهم العمياء والتزامهم به شخصيًا.

اختطاف المناضل ناصر السعيد

| **نزيه أبو نضال:** وبالمناسبة أيضًا، فإن أبو الزعيم نفسَه، وبالتأكيد وفق تعليمات عليا، هو المتهم الأول باختطاف المناضل السعودي ناصر السعيد بينما كان خارجًا من جريدة «السفير» في بيروت. وبعد اختطافه نُقل مخدرًا إلى مطار بيروت حيث كانت هناك طائرة خاصة بالانتظار، وهكذا جرى تسليمه إلى النظام السعودي، مقابل مبلغ مالي كبير.

| زياد منى: أولاً، من الخطأ إلقاء اللوم على أبو الزعيم لأنه ما كان يتجرأ على أي عمل من دون موافقة القائد العام وغيره من القيادة الفعلية للحركة. لو عمل أي شيء لا ترضى عنه القيادة لكان القائد العام علق له مشنقة في الفاكهاني. وأريد التذكير بان القيادة اضطرت في نهاية المطاف، إلى إبعاد أبو الزعيم هذا عن مواقع قيادية. وقد قيل الكثير في عمالته للنظام الأردني، وانا سمعت من الراحل الكبير أبو إياد بأنه ثبت للقيادة أن أبو الزعيم كان يتخابر مع «الكتائب» في أثناء «حرب السنتين». أبو إياد قال وقتها بالحرف الواحد: لقد ثبت لنا بأنه جاسوس، وذلك عقب معركة (الكحالة) التي سقط فيها عدد كبير من عناصر القوات المشتركة بسبب كمين أعد لهم، ولم يكن أحد على دراية بالعملية سواه. بعدها أبعد من قيادة (العمليات المركزية) وعين بدلا منه الشهيد سعد صايل، على ما أذكر.

عرفات يحاصر «فلسطين الثورة» ماليًا ومقاطعة عبد الله الحوراني

|| **نزيه أبو نضال:** حاول ياسر عرفات وقف حملتنا ضد المرحلية وفكر التسوية، من دون جدوى، فلجأ إلى سلاح المال، حيث كان يسيطر آنذاك على ماليتي فتح ومنظمة التحرير . . فأوقف دفع فواتير طباعة المجلة التي تطالب بها مطبعة تجارية لبنانية. فتعاظم الدين حتى وصل إلى أكثر من 90 ألف ليرة لبنانية، كما تعاظمت مطالبات أصحاب المطبعة بتسديد ما لهم من ديون، وهددوا بوقف طباعة المجلة. وقد عقدنا اجتماعًا رباعيًا للبحث في إيجاد حل مالي بديل: كمال ناصر وأبو حاتم لموقفه الداعم لموقفنا، وبصفته مسؤول إعلام فتح وحنا مقبل وأنا، فاقترح كمال ناصر وقتها القيام بحملة اكتتاب عربية لتمويل المجلة، وبدأنا التخطيط للبدء بجولات عربية لهذا الغرض، ولكن رصاصات الموت في الفردان كانت أسرع. ففي ليلة العاشر من نيسان 1974 سقط كمال ناصر شهيدًا، ومعه القائدان الشهيدان كمال عدوان وأبو يوسف النجار.

ورغم الحصار المالي واصلنا التصدي لفكر التسوية الذي تزايد منظّروه بعد حرب تشرين 1973، وتابعنا مقاومتنا من خلال مجلة «فلسطين الثورة» دفاعًا عن برنامج تحرير فلسطين، فرفضنا أي أدبيات تنزل فيها خارج إطار هذه الاتجاه، وضاعفنا هجومنا الساحق على الجبهة الديمقراطية وأطروحاتها، وهنا صار لا بد من تغيير طاقم الجريدة، فنُقل أبو حاتم من الإعلام إلى العلاقات الخارجية، فيما تابعت أنا وحنا العمل بالمجلة والإعلام.

أرسل لنا ياسر عرفات عبد الله الحوراني رسميًا، وبقرار من اللجنة التنفيذية لاستلام الإعلام الموحد، مكان كمال ناصر، فأخذنا قرارًا بمقاطعته، أجمع عليه كل عناصر الإعلام الموحد، بمن فيهم من يعمل القهوة والشاي. ممنوع أن يتكلم معه أحد، في أي موضوع، بل ممنوع أن يعمل له أحد حتى فنجان قهوة. صمت كامل وقاتل، فرضت عليه مقاطعة كاملة، وخلال ثلاثة أيام اختنق عبد الله الحوراني. يدخل المكتب باعتباره مسؤول إعلام، يطلب أن يتكلم مع كادر المجلة فلا أحد يكلمه، يريد أن يعرف ما الذي يحدث في الإعلام فلا يرد عليه أحد، يطلب كأسًا من الماء لا أحد يعطيه، يجلس فقط وراء طاولة. فما الذي يستطيع أن يفعله، يذهب إلى عند أبو عمار شاكيًا فيحضر عرفات إلى الإعلام مهددًا: «مين دول غطاس وحنا اللي ماشيين وراهم؟. دول زيتونتين أمسحهم مسح». لاحظ، وكما ذكرت من قبل، هو لم يقل أبو نضال وأبو ثائر، بل كشف أسماءنا الحقيقية التي لا يعرفها أحد من شباب الإعلام تقريبًا لإثارة نوع من التعصب الديني ضدنا. يغادر عرفات وتستمر المقاطعة، يحضر عرفات ثانية وثالثة مهددًا، ولكن من دون جدوى. بعد أسابيع ذهب عبد الله حوراني إلى ياسر عرفات وقال له: صرت مضحكة، كل فترة تأخذني بيدي مثل الولد الصغير، وتوصلني إلى هناك ولا أحد يرد علي، صارت ولدنة»، وقدم استقالته.

بعد عبد الله حوراني مباشرة جاء ماجد أبو شرار. المعركة مع ماجد كانت مختلفة، أنا وماجد تجمعنا علاقة صداقة حميمة، وكانت الديون قد تراكمت على المجلة، ولم نعد تستطيع طباعتها، فصار استمرارنا في الإعلام بلا معنى، قلت لماجد: على الصعيد الإنساني، بيني وبينك يوجد تاريخ طويل، ولكن لا أستطيع الآن أن أستمر معك، وبعد كل هذا الخراب السياسي العميق بيننا. السلام عليكم، تفضل هذا الإعلام. تركت ومشيت، إلى العلاقات الخارجية مباشرة، وذهب حنا إلى مكتب «القدس برس». لم نعد قادرين على الصمود أكثر في الإعلام، لأنه لا يوجد أسلحة نستطيع أن نحارب فيها، ولا يوجد مجلة لنصدرها، فاستلم ماجد الإعلام. آنذاك ذهب ماجد بعيدًا عنا، وحتى عن الإطار العريض للتيار الديمقراطي. بات عنوانًا للبرنامج المرحلي وللتحالف مع ياسر عرفات، حتى انه كان يفاخر بذلك بطريقة كاريكاتيرية: أنا لست عضوًا في حركة فتح، أنا عضو في ياسر عرفات»، وأحيانًا «أنا خرطوشة أو طلقة في مسدس ابو عمار».

| زياد منى: لكنْ أبو عمار كان يهاجم ماجد!. في إحدى المرات هاجمه بعنف في اجتماع المجلس الثوري مكتب «العلاقات الخارجية» لأنه، كما قال القائد العام وقتها: أنت تخفي شهداء الثورة الفلسطينية وتعطي الأولوية لشهداء الحركة الوطنية اللبنانية. كان رد ماجد: هذا قرار المجلس الثوري للتشديد على الجانب الأساس في المعركة ألا وهو «اللبناني - اللبناني». لكن المجلة في عهد الشهيد ماجد كانت أحادية النظرة. أنا بدوري أطلقت عليها اسم «البرافدا»!. هذا وصل إلى الشهيد ماجد وزعل مني.

|| **نزيه أبو نضال:** حدث ذلك في مراحل أخرى وفي سياقات أخرى، لكن في تلك الفترة كان الصوت القوي المدافع عن ياسر عرفات، ولكن ماجد لم يكن موظفًا تابعًا، بل هو صاحب برنامج تقاطع مع برنامج عرفات وهو يعرف كيف يختلف وكيف يوافق ويناصر، هو يلعب جيدًا، ولهذا كنت أحبه واحترمه رغم خلافي معه، على عكس أولئك الموظفين الانتهازيين. استمرت القطيعة بيني وبين ماجد على المستوى الشخصي عدة سنوات، إلا في مناسبات عامة، حتى ذهابنا إلى روما، للمشاركة في المؤتمر العالمي لنصرة فلسطين، فكانت المصالحة وعودة المودة، ولكن لمدة ساعات كي أصل إلى خاتمة الحكاية مع ماجد ليلة اغتياله في روما عام 1981، كما سيأتي لاحقًا.

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

| زياد منى: لقد شاركتَ بتأسيس الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وانتُخبتَ رئيسًا لفرع لبنان. أرجو أن تحدثنا عن تجربتك في الاتحاد وعن الأزمة التي عصفت به والتي أدت إلى طرد قيادة الفرع رئيسه السابق منير شفيق عسل المعروف حاليًا باسم «منير شفيق».

|| **نزيه أبو نضال:** بعد وصولنا إلى لبنان، وبمبادرة من ناجي علوش ابتدأ العمل على تأسيس اتحاد جديد لكتاب فلسطين وصحفييها، بديلاً لاتحاد كتاب فلسطين شبه المجمد الذي تأسس في غزة بتاريخ 29 تشرين الثاني 1966 وكان يقوده آنذاك عودة عودة.

وقد تشكلت لهذه الغاية بقرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، عام 1972 لجنة تحضيرية برئاسة كمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية. وقد ضمت اللجنة التحضيرية عددا من ممثلي الفصائل

الفلسطينية وبعض المستقلين هم: غسان كنفاني (الذي استشهد في 8 تموز 1972 قبيل عقد المؤتمر الأول)، محمود درويش، شفيق الحوت، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ماجد أبو شرار، فريد الخطيب، نبيل شعث، إبراهيم العابد، بلال الحسن، ناجي علوش، مازن البندك، أنيس الخطيب، حنا مقبل، خالد علي مصطفى، هارون هاشم رشيد، خالد أبو خالد، نزيه أبو نضال (غطاس صويص)، غانم زريقات، عودة بطرس عودة، نادرة السراج، محمد زهدي النشاشيبي.

وقد لوحظ بفعل غلبة التيار القومي في جسم الكتاب الفلسطينيين مشاركة اثنين من العرب في اللجنة التحضيرية هما نزيه أبو نضال وغانم زريقات، ولاحقًا أصبح عدد آخر في مواقع الأمانة العامة مثل معن بشور وموسى شعيب، وبالفروع مثل محمود سويد ونازك الأعرجي، أو أعضاء مؤتمرات عامة مثل ليلى عسيران، نجلاء نصير، سلوى العمد، شريف الربيعي، أحمد الأزهري، رضوى عاشور، سعيد جواد.

كانت اجتماعات اللجنة التحضيرية تعقد في مكتب كمال ناصر الذي تميز بحرصه الشديد على الوحدة الوطنية، وقد مارس دورًا بارزًا في إنجاز هذه اللجنة لمهماتها وسط صعوبات وخلافات كبيرة، وفي نجاح المؤتمر الأول التأسيسي للكتّاب والصحافيين الفلسطينيين الذي عقد في بيروت من 6 إلى 9 أيلول عام 1972، وقد حضره 342 عضوًا بين كاتب وصحفي وإعلامي جاؤوا من مختلف الأقطار العربية بينما وصل عدد الحضور في جلسة الافتتاح التي عقدت في قاعة جمال عبد الناصر في جامعة بيروت العربية حوالي إلى ألف شخص بين مدعو وعضو.

رئيسًا لفرع لبنان بعد طرد منير شفيق عسل

|| **نزيه أبو نضال:** بعد ذلك بدأت عملية تشكيل فروع الاتحاد في مناطق التواجد الفلسطيني. فكان أن تشكل فرع لبنان الذي كان يضم زهاء الخمسمئة عضو، وترأسه في البداية منير شفيق عسل، ولكن لم يلبث أن اقصي عن الرئاسة، عام 1974، بقرار جماعي من أعضاء الفرع، بسبب مواقفه السياسية المنحرفة عن الإجماع الوطني، وجرى اختياري بديلاً عنه، أيضًا بالإجماع.

| زياد منى: كيف تمكنتم من المحافظة على استقلالية القرار المعارض للبرنامج المرحلي؟.

|| **نزيه أبو نضال:** لقد درج التقليد في كل الاتحادات والمنظمات الشعبية، بالاعتماد على فتح لدفع أجور ومصاريف المقرات ومهمات الوفود، وكانت بالتالي قادرة على السيطرة على هذه الاتحادات. وحين توليت رئاسة فرع لبنان، كان أول ما فعلتُه وباتفاق مع الهيئة الإدارية للفرع، التمرد على الهيمنة المالية لفتح، حيث يتساوى ما تقدمه مع أعلى إسهام يقدم من أحد الفصائل الأخرى . . فقمنا بتشكيل وفد التقى مع كل قادة الفصائل، وطرحنا عليهم خيار أن يسهموا بدفع مصاريف فرع الاتحاد، أو أن يترك لفتح الهيمنة عليه، وقد اكتملت جولتنا بنجاح تام، التقينا في نهايتها مع قيادة فتح وطلبنا منهم مساهمة مالية بنفس المبلغ الذي أخبرنا الشهيد أبو علي مصطفى باستعداد الجبهة الشعبية لدفعه. وهكذا استقل اتحادنا بخياراته وفعالياته ومطبوعاته من دون أن يستأذن أحدًا.

وقد انتخبتُ ثانية في أعقاب المؤتمر الثاني رئيسًا للفرع، وبقيت محتفظًا بهذا الموقع إلى ما بعد خروجنا من لبنان إثر اجتياح عام 1982.

مؤتمر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الثاني في تونس

| زياد منى: وماذا عن مؤتمر الاتحاد في تونس، والذي أثار في حينها ضجة كبيرة في صفوف الحركة؟.

|| **نزيه أبو نضال:** عقد المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في تونس من 4 إلى 9 آذار عام 1977، وكانت الصراعات بين مختلف الخطوط والاتجاهات السياسة في الحركة على أشدها: اتجاه يمثله ناجي علوش وحنا مقبل وخالد أبو خالد ومؤيد البحش، وكان أبو داود موجودًا كداعم سياسي له، واتجاه قريب منه سياسيًا كان رمزه السياسي أبو حاتم وكان يمثله يحي يخلف وأنا وباسم سرحان وأحمد دحبور وأنيس الصايغ ود حنا ميخائيل وعلي فياض ومرعي عبد الرحمن ونجلاء نصير وفيصل عويضة وجيهان الحلو. ومع هذين الاتجاهين يقف أعداد من المستقلين وممثلي الفصائل الفلسطينية: الجبهة الشعبية، جبهة التحرير العربية، الجبهة الشعبية «القيادة العامة»، جبهة النضال الفلسطيني، واتجاه ياسر عرفات ويمثله ماجد أبو شرار وأحمد عبد الرحمن وزياد عبد الفتاح والطيب

عبد الرحيم وصخر حبش، إضافة إلى عبد العزيز السيد، لكن بحكم علاقته الشخصية بماجد، ومع هذا الاتجاه الجبهة الديمقراطية ومنظمة الصاعقة.

احتدمت الصراعات بين الخطوط المختلفة في الحركة، ما أدى إلى تعطيل أعمال المؤتمر إلى أن تتفق فتح على ممثليها، ولهذه الغاية جرت انتخابات داخلية في فتح بإشراف أبو ماهر غنيم (عضو اللجنة المركزية في الحركة) لانتخاب ممثلي فتح في قيادة الاتحاد.

خلال تعطل أعمال المؤتمر كان عشرات الأعضاء يجلسون في البهو الواسع لفندق الهيلتون، وكنت مارًا من هناك حين ناداني الطيب عبد الرحيم، المعروف بولائه المطلق لياسر عرفات، وسألني بصوت عالٍ: ها؟ وين صارت خطوطكو (يقصد الخطوط المتصارعة في فتح).

قلت: لا زال الحوار مستمرًا.

قال: والله أنا شايف خطكو مثل خط البدوي!.

سألته: وما خط البدوي يا طيب.

فروى حكاية بدوي ذهب إلى نابلس، وأكل كنافة، ولكنه عند عودته أصيب بإسهال قوي جعله يترك خطا فوق الأرض، فلاقاه بدوي آخر وسأله عما فعل في نابلس، فراح يتغنى بالكنافة النابلسية. وحين سأله البدوي الثاني عن العنوان قال له: اتبع الخط.

وعلق الطيب: وانتو خطكو مثل خط البدوي.

فكرت لوهلة بضربه ولكنني اكتفيت بالرد قائلاً: تخيل يا طيب، الخِراء له خط وأنت لا خط لك.

وفي لحظة، انفجر بهو الفندق بضحك صاخب . . فتراكض أعضاء المؤتمر لمعرفة سبب كل هذا الضحك فرووا لهم حكاية خط الطيب. ولأن الرد لبس الطيب تمامًا، وهو المعروف بأنه مجرد تابع لعرفات وبلا موقف، فقد تم تداول حكاية «خط الطيب» على نطاق واسع بين أعضاء المؤتمر. وكلما رأى أحد الطيب، كان يتذكر النكتة ويضحك، فأصيب الطيب بنوع من البله والبكم، كنت تراه طوال الوقت يمشي تائهًا لا يعمل شيئًا ولا يريد أن يكلم أو يرى أحدًا، ولا أن يراه أحد، إلى أن انتهى المؤتمر.

بعد سنوات طويلة حين كان أبناء الحركة يتحدثون عن الخطوط السياسية يضيفون: و(خط الطيب).

انتهى مؤتمر تونس بانتصار واضح للنهج المعارض لفكر التسوية، حيث

جدد انتخاب ناجي علوش أميناً عامًا للاتحاد، ومعه كلّ من حنا مقبل، ويحيى يخلف، وخالد أبو خالد، وهاني مَنْدَس، وبسام أبو شريف، ومعن بشور، وعلي إسحق، ومعين حمود؛ ومن الاتجاه الآخر: ماجد أبو شرار، وزياد عبد الفتاح، وجميل هلال، وبلال الحسن، كما نجح: محمود درويش ومعين بسيسو.

خُيرت بين عضوية الأمانة العامة، ورئاسة الفرع في لبنان، ففضلت الخيار الثاني، وهذا ما فعلته في المؤتمر الثالث أيضًا.

مؤتمر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الثالث في فندق البوريفاج ببيروت

| زياد مني: المؤتمر الثالث للاتحاد عقد في بيروت "برعاية" قوات ال17! أليس كذلك؟.

| | **نزيه أبو نضال**: عقد المؤتمر الثالث للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في فندق البوريفاج ببيروت، ما بين 19 و24 نيسان عام 1980، وسط حماية عسكرية مسلحة، كان عرفات قد أمر بها، وهي أشبه بالحصار. وقتها كان ناجي علوش غائبًا لأنه كان مطاردًا ومهددًا بالقتل، وكذلك حنا مقبل، تحت دعوى علاقتهما بصبري البنا.

ولكن قوى المعارضة كانت لا تزال قادرة على المواجهة، رغم الحصار والتهديد وتعطيل أعمال المؤتمر، وكانت النتيجة حدوث نوع من التسوية حيث انتخب يحيى يخلف أمينا عامًا وأبو سلمى رئيسا للاتحاد وكلاهما محسوبان على التيار المعارض لفكر التسوية والبرنامج المرحلي. وكان من بين المحسوبين على المعارضة في الأمانة العامة الجديدة: بسام أبو شريف، غانم زريقات، رشاد أبو شاور، ناجي العلي، حسن الكاشف، ومن الطرف الآخر «التسووي»: زياد عبد الفتاح، أحمد عبد الرحمن، جميل هلال، فايز قنديل، محمود قدري، بلال الحسن. كما فاز عبد العزيز السيد ومحمود درويش الذي ذهب إلى الوسط الرمادي تحت شعار: مرفوضون لا رافضون.

كمال ناصر و«فلسطين الثورة»

| | **نزيه أبو نضال**: استمر صدور جريدة «فتح» في بيروت عن إعلام فتح الذي كان يقوده أبو حاتم إلى أن جرى توقفها من أجل توحيد الإعلام المركزي الفلسطيني من مختلف الفصائل في مجلة «فلسطين الثورة»، وكلف

كمال ناصر برئاسة تحريرها بمساعدة حنا مقبل ونزيه أبو نضال، وشارك من ممثلي التنظيمات: نبيل أبو جعفر (جبهة التحرير العربية) وسيمون خوري (الجبهة الديمقراطية) ونازك الأعرجي (الجبهة الشعبية) وسلوى العمد (فتح) وممثلون عن جبهة النضال الشعبي، وجبهة التحرير الفلسطينية، وهدى حمودة، وآخرون مستقلون مثل معين أحمد محمود.

عرفت كمال ناصر عن قرب ولزمن طويل نسبيًا، إذا ما قيس بزمن الموت السريع الذي كان يتخاطف الأصدقاء والقادة من حولي في كل لحظة. فقبل أن نعمل معًا في مجلة «فلسطين الثورة» «من حزيران 1972 إلى استشهاده في 10 نيسان 1973» كانت علاقتي بكمال ناصر تتمثل بلقاءات عمل متفرقة ومتباعدة. ابتدأت في إعلام منظمة التحرير الفلسطينية في عمان في أواخر العام 1969، ثم بعد أيلول 70، كنت حينها في جريدة «فتح» فيما كان كمال ناصر يعمل رئيسًا لدائرة الإعلام والتوجيه القومي، وكانت تجمعنا مع حنا مقبل وإبراهيم بكر جلسات عمل شبه يومية لمناقشة الخط السياسي الإعلامي. ثم تكررت لقاءاتنا في مكتبه ببيروت كأعضاء في اللجنة التحضيرية للاتحاد العام للكتّاب والصحافيين الفلسطينيين.

عندما تشكل الإعلام الفلسطيني الموحد، ظل هاجس كمال ناصر في كيفية إنجاح تجربة الوحدة الوطنية داخل الإعلام الموحد، رغم التناقضات الشديدة القائمة من جهة، ورغم عدم الجدية من قبل بعض الأطراف من جهة ثانية. وخلال عمله تميز كمال ناصر دائمًا بروح ديمقراطية عالية، فكان خط الإعلام والمجلة يرسم في اجتماعات أسبوعية للكوادر الإعلامية، وفي ضوء الموقف السياسي العام لمنظمة التحرير.

كمال ناصر كان يفرح كثيرًا حين يصطدم موقفه مع حماسة بعض الكوادر تجاه هذا الموقف أو ذاك. وكان يقول لنا بعد كل اجتماع عام: هذه الروح الشابة وهذه الحماسة التي تصل إلى درجة التطرف أحيانًا هما ضمانة الثورة واستمرارها. كثيرون غير كمال ناصر كانوا يستسهلون إصدار القرار، لكنه كان يؤمن بالحوار وبصراع الأفكار والمواقف والاتجاهات ويقول: «إن قرارًا جماعيًا خاطئًا هو أكثر صوابًا من قرار فردي صحيح». وهنا بالذات يكمن سر القوة عند كمال ناصر، لأن الإيمان بالديمقراطية وممارستها عمليًا يكشفان قوة صاحبها. قوته الداخلية وليس قوة السلطة والقرار.

افتتاحيات «فلسطين الثورة» كانت تكتب أسبوعيًا وفق تقليد لم يتغير؛

قبل موعد كتابة الافتتاحية. كنا نعقد اجتماعًا ثلاثيًا؛ كمال ناصر وحنا مقبل (أبو ثائر) وأنا، نتفق على الموضوع ونحدد عناصره الأساس. وكان هو من يكتب الافتتاحية معظم الأحيان، وكنت أكتبها بتكليف منه أحيانًا، وفي أحيان أخرى كان يكتبها حنا مقبل.

أن تكون في صلب العمل اليومي بمشاغله وتفاصيله وهمومه وصراعاته، وأن تظل في نفس الوقت قادرًا على المشاهدة الكلية للوحة الثورة، وقوانينها العامة، واستراتيجيتها العليا، هذا هو كمال ناصر . . وحّد النظرية بالممارسة، كما وحّد الشعر بالسياسة.

وعبر هذه الشبكة من العلاقات الجدلية المعقدة يتكامل عند كمال ناصر الذاتي مع الموضوعي. وهو حين يوحّد الممارسة بالنظرية، والشعر بالسياسة، يظل قادرًا على إقامة سور صين عظيم بين أطراف هذه العلاقة الموحدة والواحدة، حتى لا يطغى أحدهما فيختل قانون الثورة وقانون السياسة وقانون الإبداع.

هذا الرجل ونحن معه في الإعلام الموحد اصطدمنا بأطروحات المرحلية في الساحة الفلسطينية. فكان أن تحولت مجلة «فلسطين الثورة» إلى ساحة معركة للدفاع عن الثوابت الوطنية وعن البرنامج الاستراتيجي للثورة.

مركز الأبحاث على طرق الترويض

| زياد منى: بعد تمكن القيادة من إخضاع معظم أجهزة الحركة عملت على «ترويض» ما تبقى من منظمة التحرير الفلسطينية وإخضاعها بالكامل لبرنامجها السياسي، وفي مقدمة ذلك «مركز الأبحاث الفلسطيني»، والقيادة كانت تستخدم منظمة التحرير لفرض مواقف على فتح وكوادرها الرافضة.

|| **نزيه أبو نضال:** كان مركز الأبحاث الفلسطيني بقيادة المرحوم أنيس صايغ من المواقع الثقافية الرافضة لفكر التسوية، ولهذا حاصر عرفات المركز، واتخذ من خلال موقعه في قيادة منظمة التحرير سلسلة قرارات اضطرت رئيس المركز للاستقالة، فكان أن تعاقب بعده محمود درويش وصبري جريس. وكان أنيس صايغ، كما قال في مذكراته، قد سعى ومنذ تأسيس مركز الأبحاث إلى أن يكون مستقلاً ومهنيًا يُراعي الكفاءة والموضوعية، بينما أراده عرفات مجرد هيئة من هيئات منظمة التحرير ودوائرها، بتقسيم الوظائف والمنح حسب الفصائل وعلاقاتها معه شخصيًا، وليس حسب الكفاءات والحاجات

والانتماء لفلسطين. وكان عرفات يريده، كما يقول صايغ «مؤسسة خاصة تابعة له شخصيًا تخوض (حروبه) مع الاخرين سواء كانوا من الفصائل الفلسطينية أو حتى من منافسيه في حركة فتح». هذا أدى إلى استقالة أنيس الصايغ بعد أن فشل في منع قتل المركز ومجلة «شؤون فلسطينية» و«الموسوعة الفلسطينية»[2].

مجزرة باص عين الرمانة ودور عسكري في عين المريسة

| زياد منى: نعود إلى مهامك في فتح قبل النضمام إلى أسرة «اللواء». فهمت خلال حديثك عن صدامات عمان عن أن دورًا عسكريًا ما كان لك في المواجهات التي اندلعت عقب منجة بوسطة عين الرمانة؟.

|| **نزيه أبو نضال:** حين وقعت مذبحة باص عين الرمانة واندلعت الحرب مع ميليشيات الكتائب والأحرار سرعان ما تشكلت خطوط تماس بين بيروت الشرقية والغربية وتدافع الجميع للمعركة دفاعا عن الثورة، وكي يبرهن على وجوده كقوة عسكرية ميدانية وليس مجرد تيارات ديمقراطية في حركة فتح. هكذا تولى أبو داود وناجي علوش مواقع قيادية في ميليشيا بيروت، كما شكل منير شفيق (منير شفيق عسل سابقًا) ما عرف بالسرية الطلابية أو الكتيبة الطلابية التي قاتلت على بعض خطوط التماس في بيروت، كما قاتلت في الجبل.

بالنسبة لي واستكمالاً لدوري وخبرتي العسكرية، توليت مسؤولية القاطع العسكري الممتد من حي السلم إلى عين المريسة، حيث موقع قيادتي، آنذاك كان أبو صالح هو نائب القائد العام لقوات العاصفة، قلت له «عندنا مئات المقاتلين اللبنانيين وعندنا استعداد لنشكل ثقلاً عسكريًا على الأرض، نحن لسنا مجرد ظاهرة صوتية أو سياسية، والآخرون يحصلون من أبو جهاد على ما يريدون من ذخائر وأسلحة ونحن لا نجد ما نقاتل به، بل لا نملك حتى سيارة للتحرك على امتداد هذا القاطع العسكري الكبير الذي

(2) زياد منى: من المفيد الحديث هنا عن هبّة العاملين في المركز ضد صبري جريس حيث وقع كافة العاملين فيه، عدا عامل الشاي، على وثيقة ضده. وقتها أرسل القائد العام أحمد الأزهري لفض الاشتباك، ولكن مساعيه لم تنجح. وقف القائد العام إلى جانب صبري جريس الذي كان ينقل عن لسانه وقتها قوله إنه سيكون من دواعي شرفه أن يكون أول سفير لدولة فلسطين في دولة إسرائيل. بعدها أزيح صبري جريس الذي قضى على المركز عمليًا. عصب الفكر الفلسطيني في عهد أنيس الصايغ استحال بمجموعة غرف تقدم الشاي والقهوة للزائرين، و لم يتغير الوضع تحت رئاسة محمود درويش الذي خلفه.

أتولى قيادته، فيا أبو صالح نريد سلاحًا وذخائر، وقد بدأت شكوى الناس من عدم ردنا العسكري في مواجهة الكتائب». فكان يعطيني أمرًا للمستودعات ليصرفوا لي سلاحًا وذخائر للشباب، ولكن في المستودعات الخاضعة لأبو جهاد، كانوا يرفضون أوامر أو كتب أبو صالح، وأحيانًا يعطونني أسلحة قديمة بائسة أو شكلية، ومن دون صواريخ أو أربجيهات أو مدافع هاون.

أذكر مرة في عين المريسة، وقد اشتد قصف الكتائب علينا أن ضج الناس، وجاءني بعض وجهاء المنطقة محتجين: هؤلاء الكتائب يقصفوننا. ونحن صامتون. فأين أنتم؟ لم لا تردون عليهم؟!.

قلت لهم: نحن نعاني قلة القذائف والكتائب تنهال عليها المساعدات العسكرية بلا حدود. هل تعرفون ثمن القذيفة الواحدة؟ أكثر من ألف ليرة لبنانية.

وقتها كانت الألف ليرة مبلغاً كبيرًا، حوالي ثلاثمئة دولار.

واحد من البرجوازية السنية في المنطقة أخرج من جيبه رزمة فيها عدة آلاف وضعها على الطاولة وقال لي: أسمعني بهذه أصوات قذائفنا (وخبط على الطاولة) قال لي: أريد أن أسمع مدافع وصواريخ طالعة من عين المريسة عليهم، مثلما يضربون علينا نرد عليهم!.

ولم يكن من السهل أن نستمر من دون حد أدنى من الإمكانات، ولم يكن أبو صالح قادرًا على فعل شيء فقد كان السلاح والمال بيد أبو عمار وأبو جهاد.

مسؤول إذاعة «صوت لبنان العربي»

| زياد منى: لكنك استمريت في العمل الإعلامي مع الحركة الوطنية اللبنانية.

|| **نزيه أبو نضال**: بعد فشل تجربة العمل في القطاع العسكري (عين المريسة - حي السلم) كنت أتابع ذات يوم إذاعة «صوت لبنان العربي»، وهي تابعة لحركة الناصريين المستقلين (المرابطين) وكانت ذا مستوى بائس للغاية لا يليق بإذاعة صوت الحركة الوطنية اللبنانية. سجلت عددًا من الملاحظات وذهبت للقاء إبراهيم قليلات زعيم «المرابطون» وعرضت عليه ملاحظاتي، وحدثته عن تجربتي في إذاعات الثورة الفلسطينية في القاهرة وزمزم عمان ودرعا. استمع ببرود وهدوء وقال: بصراحة لا يوجد أحد عندي مؤهل لهذا العمل، ويا ريت تقدر تساعد الشباب. وافقت بحماس على العمل والمساعدة. فاتصل بمسؤول الإذاعة وأبلغه بالأمر، وهكذا وجدت نفسي

ومن دون ترتيب مسبق مسؤولاً عن إذاعة الحركة الوطنية اللبنانية. وقد استعنت فنيًا بقدرات عماد جدع، وهو شقيق زوجتي، ولفترة امتدت لسنتين أو يزيد.

لو لم يكن عبد الناصر مع فلسطين لما كنا ناصريين

| زياد منى: ما التغييرات التي اقترحتها ونفذتها؟.

|| **نزيه أبو نضال:** قبل استلامي الإذاعة كنا لا نكاد نسمع فيها سوى أغاني عبد الناصر مثل: «يا جمال يا حبيب الملايين»، وذلك بفعل هوى تنظيم «المرابطين» الناصري. فاستبدلت بمعظم هذه الأغاني أناشيد الثورة الفلسطينية والعربية ذات الإيقاع السريع، خاصة مع اشتداد المعارك العسكرية في بيروت. فذهب إليه نائبه القاضي وليد عيدو (وصار بعد ذلك من أقطاب 14 آذار حتى اغتياله في بيروت يوم 13 حزيران 2007، رحمه الله) شاكيًا. فاستدعاني إبراهيم قليلات وطلب من عيدو أن يعيد طرح ملاحظاته حول تغييب أغاني عبد الناصر أمامي. ابتسمت وأنا أخبره بأنني أصلاً ناصري، ولكن المسألة هنا مرتبطة بإيقاع الإذاعة. فمع اشتداد المعارك أنت تبث التعليقات السياسية التحريضية الحماسية، وهذه التعليقات يجب أن يتبعها مباشرة أناشيد وطنية سريعة أو مارشات عسكرية لرفع الروح المعنوية للمقاتلين وللناس، وهذا الإيقاع الحربي هو الذي يفرض علينا اختياراتنا الفنية، وليس لأننا نفضل النشيد الفلسطيني على الأغنية الناصرية.

عندها نظر إبراهيم قليلات إلى وليد عيدو قائلاً: أساسًا لو لم يكن عبد الناصر مع فلسطين لما كنا نحن ناصريين.

في «مكتب العلاقات الخارجية» للحركة و المهام الخارجية

| زياد منى: بعدها انتقلت إلى «العلاقات الخارجية» لحركة فتح.

|| **نزيه أبو نضال:** لا أنا كنت وقتها على كادر العلاقات الخارجية التي كنت قد انتقلت إليها بعد ترك الإعلام، وبعد الدخول السوري للبنان توقفت إذاعة «صوت لبنان العربي»، فتابعت عملي في «العلاقات الخارجية». وفي واقع الحال كان موقعًا سياسيًا أكثر منه مهام عملية، وقد ضمت العلاقات الخارجية، في فترات مختلفة، مجموعة متنوعة من الكوادر المتقدمة لم يلبث

العديد منهم أن باتوا سفراء لفلسطين في دول العالم، مثل: فيصل عويضة ونبيل قليلات وشوقي أرملي وسلمان الهرفي وأبو نائل (عبد الفتاح القلقيلي) ووديع أبو سعدة وزياد منى وجورج شفيق عسل وميادة بامية، وآخرين.

خلال وجودي في العلاقات أتيحت لي فرصة المشاركة في العديد من المؤتمرات وزيارة العديد من دول العالم، منها إيطاليا وفرنسا وهناك زيارة أخرى مهمة قمت بها إلى كوبا عام 1981، تبعتها زيارة أخرى لكوبا عام 1983. كما توليت رئاسة وفد الحركة في مؤتمرين بإسبانيا.

عاصفة في مؤتمر الحزب الاشتراكي الإسباني

|| **نزيه أبو نضال**: حضرنا للمرة الأولى أعمال أول مؤتمر يعقده الحزب الاشتراكي في داخل إسبانيا، وحين صعد المندوب الصهيوني، وكان وقتها وزير الزراعة، ليلقي كلمته طلبت من الوفد الفلسطيني الانسحاب، وكان السفير الفلسطيني في مدريد آنذاك أبو العز الدجاني موجودًا، وبالفعل تم الانسحاب. فوصلنا إشعار من رئاسة الحزب الاشتراكي بمنعنا من المشاركة في بقية أيام المؤتمر، لأنهم أبلغونا سلفًا، من خلال السفير الفلسطيني، بعدم الانسحاب خلال كلمة المندوب الإسرائيلي، إذا رغبنا بالمشاركة، ولم تكن لدي أي فكرة عن هذا الترتيب، كما أن أبو العز لم يكترث به. المهم حين علمت شبيبة الحزب الاشتراكي بتصرف قيادتهم ضد الوفد الفلسطيني نصبوا تظاهرة داخل القاعة وهم يهتفون بكلمة واحدة: فلسطين، فتعطلت أعمال المؤتمر، ما اضطر قيادة الحزب إلى التراجع عن موقفها، ودعتنا للمشاركة مع الاعتذار، وحين دخلنا القاعة دخول المنتصرين استقبلتنا عاصفة من التصفيق الحار من أعضاء المؤتمر، وقوفًا، لعدة دقائق، ونحن نرفع أيادينا بالتحية وننحني لهم مقدرين وشاكرين.

وكان المؤتمر الثاني في برشلونة وهو مؤتمر الأحزاب الاشتراكية لحوض المتوسط، وخلال أيام المؤتمر ألقيت في جامعة برشلونة محاضرة عن الوضع الفلسطيني الراهن.

بعد المحاضرة وقف عضو في الجبهة الشعبية ليهاجم برنامج التسوية الذي سيقودنا إلى مجرد دولة فلسطينية منزوعة السلاح! كان يريد إحراجي لاعتقاده بأنني ممثل رسمي لموقف المنظمة فسألته: هل توافق على تسوية مع العدو مع دولة مسلحة، فأجاب: بالطبع. فقلت له: أما أنا فلا أوافق حتى

على دولة مسلحة. فضجت القاعة بالضحك والتصفيق، ثم رحت أشرح بهدوء خطورة الإقدام على تسوية في ظل اختلال ميزان القوى مع الأعداء.

الزوتشه في الهند، لقاء مع إنديرا غاندي

|| **نزيه أبو نضال:** ومن الزيارات التي قمت بها خلال عملي في العلاقات الخارجية للحركة حين أبلغت بدعوة مفاجئة وغير منتظرة إلى نيودلهي، جاءني إلى بيتي ليلاً أحمد الأزهري (فاروق القاضي) مستشار ياسر عرفات للدول الاشتراكية، وأبلغني أن السفير الكوري الشمالي في دمشق يجتمع الآن في بيروت مع ياسر عرفات، وقد حضر ليؤكد ضرورة مشاركة م ت ف في مؤتمر زوتشه في نيودلهي الذي تقيمه بْيونغ يَانغ. وقال الأزهري: استدعاني أبو عمار وسألني: من تعتقد أن بإمكانه المشاركة في مثل هذا المؤتمر؟. فقلت له: ليس أمامك سوى نزيه أبو نضال المطلع على التجربة الكورية، وسبق له وزار كوريا الشمالية من قبل، فأمر على الفور بمشاركتي في المؤتمر.

وهناك قدمت الرؤيا الفلسطينية لمفهوم الزوتشة، والتي هي النظرية التي طرحها كيم إيل سنغ حول الاعتماد على الذات.

في المؤتمر فوجئنا بوجود ممثل مصري لنظام كامب ديفيد، وبأنه سيلقي كلمة فطلبنا من الكوريين منعه من ذلك، وإلا سنضطر آسفين للانسحاب من المؤتمر، وجلسنا ننتظر الجواب في بهو الفندق، والحافلات تنتظر في الخارج لتقل المؤتمرين إلى القاعة، وكان يتواجد معي ممثل عن الجبهة الشعبية صار على الفور في عداد الوفد الفلسطيني، وفي اللحظة الأخيرة جاءني المسؤول الكوري ليخبرني بأن المندوب المصري لن يشارك لإصابته بوعكة صحية مفاجئة، وهكذا استكملنا مشاركتنا في المؤتمر.

خلال أيام المؤتمر قمت بزيارة رئيسة وزراء الهند إنديرا غاندي، وكانت وقتها في المعارضة، وأجريت معها في بيتها الطيني البسيط لقاءً مطولاً نشر جزء منه لاحقًا في صحيفة «اللواء» اللبنانية، حيث كنت أعمل آنذاك.

عيد صحيفة «اللومانتيه» الفرنسية

|| **نزيه أبو نضال:** ومن بين الزيارات التي لا تنسى المشاركة في احتفالية فرنسا بعيد «اللومانتيه» وهي جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي، ضمن وفد كبير من منظمة التحرير كان من بين أعضائه محمود درويش

ومعين بسيسو وبسام أبو شريف ومحمد صبري كتمتو وزياد عبد الفتاح، وانضم الينا هناك إبراهيم الصوص ممثل فلسطين في اليونسكو. وفي ظل أجواء الاغتيالات الإسرائيلية للكوادر والكتاب الفلسطينيين فقد حرصت قيادة الحزب الشيوعي على إنزالنا في بيت سري للمكتب السياسي كان معدًا للطوارئ في حال قيام انقلاب عسكري على الديمقراطية، ويقع البيت في قلب المنطقة الصناعية خلف بوابة ضخمة لأحد المصانع التي يمتلكها الحزب. وقد وفروا لنا في ذلك المكان غرف نوم مريحة ومشروبات وأطعمة وفواكه . . إلخ، ومنعوا علينا، لأسباب أمنية، عدم استخدام الهاتف الدولي كي لا ينكشف المكان للسلطات الفرنسية، وبمجرد أن غادرنا المضيفون اشتغلت الهواتف الدولية: هذا مع صاحبته في لبنان، وذاك مع أهله في غزة أو طولكرم، وفي اليوم التالي أصر وفد الثورة الفلسطينية على مغادرة هذا المكان المعزول والانتقال إلى فندق الهيلتون. أبلغتنا قيادة الحزب بأنه إذا حدث لأي منا أي مكروه فإن الحزب لن يتحمل المسؤولية ومنعوا علينا البقاء فقط لمدة يومين هما وقت ضيافة الحزب لنا، وبعد ذلك اسكنوا حيث شئتم، ولكنهم أصروا على الانتقال إلى الهيلتون وكان ابراهيم الصوص قد تولى القيام بالحجوزات اللازمة وتم انتقالنا إلى هناك على حساب منظمة التحرير. بالنسبة لي شعرت بالعار من هذا السلوك المشين، وغادرت الهيلتون، منسحبًا من رفقة الوفد، إلى بنسيون بسيط ورخيص، وعلى حسابي الشخصي، ولكنه كما افترضت يليق بي.

| زياد منى: أنا شاركت ضمن الظروف نفسها في وفد المنظمة للمؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الإيطالي. الأخ أبو حاتم كلفني تدبير أمر حجوزات السفر بالطائرة مع الأخذ في الاعتبار الجانب الأمني. حجزت أكثر من رحلة وبأسماء مختلفة عبر مكتب وكالة سفر الحركة الذي كان مقره في مبنى الستراند في شارع الحمرا، ويرأسه الأخ عمر مراد، لكنني اخترت وقتها رحلة الخطوط الجوية الفنزويلية (فيازا).

الوفد كان برئاسة أبو حاتم وعضوية كل من عبد اللطيف أبو حجلة (أبو جعفر) مدير عام الدائرة السياسية وزياد عبد الفتاح وأخوة أخرين لا اذكر أسماءهم. الحكومة الإيطالية أبلغتنا بأن العدو الصهيوني يخطط لاغتيال الوفد فأنزلونا في فيلا خارج روما تحرسها مصفحات الجيش الإيطالي، بينما نزلت معظم الوفود في فندق الهيلتون، على ما اذكر. لكن ساد في وفدنا انضباط شبه كامل لأن

واحدًا من أعضاء الوفد غادر الفيلا من دون إذن ومن دون أن يترك عنوانًا. مرافق الوفد الإيطالي علق: لقد ترك هنا كي . . وأشار بحركة من يده إلى ما يقصده!!. ثم أبلغ رئيس الوفد بعدم تحمل الحزب أو السلطات الإيطالية مسؤولية سلامة ذلك «العضو» أو "عضوه".

نقاهة في بوتسدام

| زياد منى: أذكر بالخير لقاءنا في بيتـي في برلين.

|| **نزيه أبو نضال:** يوجد تقليد لطيف لدى اتحاد الكتاب في ألمانـيا الشرقية يقضي باستضافة عدد من الكتاب والمبدعين من أصدقائهم في العالم الثالث، لمدة ثلاثة أسابيع، يقضيها الضيف في الراحة والتأمل والكتابة. وفي ظل هذا الترتـيب وجهت الدعوة لاتحاد كتاب فلسطين لاختـيار اثنـين كضيوف في هذا البرنامج، فكنا غانم زريقات عضو الأمانة العامة، وأنا رئيس فرع لبنان، وكانت تجربة إجازة حقيقية لم اختبرها منذ التحاقي بالثورة. وخلال هذه النقاهة قضينا وقتًا ممتعًا برعاية راينر كاندل نائب رئيس اتحاد كتاب ألمانـيا وزوجته، كما التقينا بعدد من الطلبة العرب ومن كوادر الثورة الدارسين هناك ومن بينهم الصديقة سلوى العمد زميلتنا منذ جريدة «فتح» بعمان عام 1970، وكذلك الصديق زياد منى الذي استضافنا بترحاب في بيته وهناك أخبرنـي بأنه سيسمعنـي موسيقى ألمانـية لم أسمع مثلها من قبل، وعلى الفور أخرج اسطوانة وبدأ العزف السيمفونـي، بدأ مدمدمًا هادئًا ثم انفجرت الغرفة بالموسيقى . . بدأت أدندن مع النغم الذي أعرفه، وقلت لزياد هذه «كارمينا بورانا» لكارل أورف، فذهل لمعرفتـي موسيقى ظن أنها مجهولة في الشرق، وكان تعليقه غريبًا وطريفًا: والله انتو المسيحية بتخوفوا.

| زياد منى: أعترف بافتقادي للباقة وقتها، لكننـي قصدت أمرًا آخر وهو اطلاع مسيحيي الشرق من العرب أكثر من مسلميها على بعض جوانب الثقافة الاوربية، ولكن بالمعنى الإيجابي وليس الانعزالي السائد الآن في الإقليم لدى كثيرين.

|| **نزيه أبو نضال:** قضينا أيام النقاهة في قصر قديم لأحد النبلاء على ضفاف بحيرة وسط الثلوج، ومعنا ألمانـي طاعن في العمر وزوجته لخدمتنا وكلب أسود ضخم ربما لحراستنا.

في ذاك القصر المعزول عن ضجيج العالم مارست أنا وغانم لعبة إبداعية

مسلية نزجي بها فراغًا مديدًا، حيث رحنا نكتب قصائد سريالية كانت شائعة في بيروت أنذاك، وكان بطل بعضها كلبنا الحارس:

ها هو كلبنا الأسود
يصعد الدرجات
يتسلق جدارًا أبيض
يمضي إلى أعلى وأعلى
ربما كان يطارد في المدى
ذكرى رفيقته القديمة
التـي غادرته منذ سنوات
مع كلب أبيض.

ولعلنا كتبنا عدة دواوين ونحن لا نتمالك أنفسنا من الضحك، ومن يدري لو كنا نشرناها لنافسنا رسمي أبو علي وألقمناه حجرًا سيرياليًا.

جماعة السينما الفلسطينـية

| | **نزيه أبو نضال:** وفي إطار هذه الأنشطة شكلنا «لجنة السينما الفلسطينـية» بالتعاون مع «مركز الأبحاث الفلسطينـي» ممثلا بعصام سخنـينـي، وكان على رأس الجماعة مصطفى أبو علي وعدد من المهتمين بالفن السابع، من بينهم خديجة حباشنة ورسمي أبو علي، وقد شاركنا في مهرجان السينما الفلسطينـية في بغداد وحقق الفيلم الذي شاركنا به نجاحًا كبيرًا إذ فاز بالمدالية الذهبية وبجائزة مالية كبيرة.

في بغداد ومحاولة مصالحة صبري البنا وفتح

| | **نزيه أبو نضال:** وإلى بغداد سافرت أكثر من مرة للمشاركة في عدد من الفعاليات والمؤتمرات وكان من بينها محاولة قمنا بها أبو حاتم وأنا لإجراء مصالحة بين أبو نضال (صبري البنا) وفتح، وكدنا ننجح إلى الحد الذي أمر أبو نضال بالإفراج عن أسلحة للحركة كان يحتجزها، وأمر بإرسالها إلى مركز قيادة فتح في دمشق كبادرة حسن نـية، ولكن المحاولة باءت بالفشل في اللحظة الاخيرة. فقد دخل علينا في الاجتماع أحد العاملين في الإعلام وناول صبري البنا تصريحًا لابو اللطف لصحيفة إسبانـية حول قبول دولة مستقلة إلى

جانب دولة العدو. فانتفض أبو نضال صارخًا: جواسيس! قلت لكم هؤلاء جواسيس!! . . ثم أصدر أوامره بإعادة شحنة السلاح المرسلة للحركة إلى مستودعاتها في معسكر لفتح في ضواحي بغداد.

مشاركات ونشاطات أدبية

| زياد منى: لكن كان لك نشاط أدبي وثقافي.

|| **نزيه أبو نضال:** نعم، إضافة إلى تلك الزيارات والمهمات التي ذكرتها آنفًا، قمت بزيارات ونشاطات ثقافية وأدبية في كل من إيطاليا، وطرابلس الغرب، والقاهرة، ودمشق، أكثر من مرة.

ثم كانت لي مشاركات متنوعة من خلال العلاقات الخارجية للحركة أو اتحاد الكتاب الفلسطينيين. إلى تونس مع إحسان عباس ويمنى العيد للمشاركة في مؤتمر ابن رشيق[3] للنقد الأدبي في القيروان، كما أتيحت لي فرص الحضور والمشاركة في مؤتمرات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في كل من بغداد 1969، واليمن الجنوبي والشمالي (عدن وصنعاء) 1981، والجزائر، 1984، ولاحقًا في عمان، 1992، والمغرب، 1995، ودمشق 1997، وبغداد، 2001.

هذه الجولات الخارجية ترافقت مع نشاط كنا نقوم به لتعزيز وضع التيار الديمقراطي في الحركة في أوساط التنظيم والطلبة في الدول المختلفة عربيا وعالميا.

ومع هذا النشاط كانت تتواصل كتاباتي في الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية كجزء من حالة الصراع الفكري والسياسي المحتدمة في الساحة الفلسطينية، وفي أوساط المثقفين العرب، ومن هذه الصحف «السفير» و«اللواء» ومجلات «الهدف» و«البلاغ» و«الدستور» اللبنانية و«إلى الأمام» و«شؤون فلسطينية» و«قضايا عربية» و«دراسات عربية» و«المصير الديمقراطي» و«المعرفة» و«الموقف الأدبي» و«الكاتب الفلسطيني» و«السنابل» . . إلخ. كما أصدرت عددا من الكتب: «الشعر الفلسطيني المقاتل 1974»، «مواجهات سياسية 1978»، «جدل الشعر والثورة 1979»، «أدب السجون 1981»، «الثقافة والديمقراطية 1981» (مشترك مع إلياس خوري وحيدر حيدر وفيصل دراج)، وكراس «ثورة القسام 1976». كما شاركت مع آخرين بإصدار عدد من الكتب من بينها: «مناقشات حول الثورة

(3) ابن رشيق، هو أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني من نقاد المغرب العربي الكبار في القرن الخامس الهجري، له كتب عدة منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج.

الفلسطينية 1970»، «كمال ناصر 1973»، «الشهداء الثلاثة، 1973»، «ذكريات مع الشهيد كمال ناصر 1976»، «نجمة صهيون على جبين الشاه 1978»، و«أبو سلمى زيتونة فلسطين 1979».

وفي إطار هذه المواقف المعلنة والكتابات المبكرة في إعلام فتح وخارجه حاولنا قدر طاقتنا الدفاع عن ثوابت الثورة والتصدي للمنحرفين عنها، وبعض هذه المواقف والسجالات جمعت في كتابي «مواجهات سياسية» شملت ردودًا على صادق جلال العظم وكريم مروة ومنير شفيق عسل وناجي علوش حين كان متورطًا في تنظيم واحد مع (منير شفيق عسل) قبل الانفصال عنه. كانت أقسى الردود على نايف حواتمة حيث أطلقت عليه اسم «حصان طروادة» وأنه مجرد دورية استطلاع (يسارية) لليمين الفلسطيني. كان كل ذلك جزءًا من منظومة الصراع في المواقع التي نعمل أو ننشط بها.

| زياد منى: وكيف كانت ردة فعل القائد العام الذي يتبنى «أبو النوف» والديمقراطية!!.

|| **نزيه أبو نضال:** ذات يوم، وكان ذلك قبل إقرار البرنامج المرحلي عام 1974، كنت في مكتب الـ17 لرؤية عرفات بأمر ندوة قدمتها في احتفال للحزب الشيوعي اللبناني وطلب مني تمثيل المقاومة فيها، فدخل حواتمة عنده ولحني في المكتب، بعد انصرافه دعاني عرفات وقال لي: ازاي تكتب ضد نايف حواتمة؟. ما يصحش ترد عليه.

أجبته: يا أبو عمار هذا خرج في كتاباته على مبادئ الثورة وبرنامج منظمة التحرير، فلم لا أرد عليه؟.

كان يمكن أن يصعّد أكثر، لكنه لم يكن يضمن ردود الفعل.

قال مرتبكًا: إنت فتح! وكده لما ترد عليه بتديه قيمة.

لم تكن قيادة فتح آنذاك قد كشفت عن موقفها الداعم لنهج الجبهة الديمقراطية ولبرنامج التسوية.

ملحق: الخلل الاستراتيجي الوطني والبرامجي

|| **نزيه أبو نضال:** كان واضحًا لنا منذ ما بعد حرب تشرين أن قيادة الحركة ماضية باتجاه ترويض الحالة الفتحوية للقبول ببرنامج التسوية، وفي

هذا السياق عقد لقاء الكوادر في قبو مستشفى حيفا في مخيم شاتيلا، كي يخبرنا عرفات بفحوى الرسالة السوفياتية والدعوة التي تلقاها للمشاركة في مؤتمر جنيف للسلام. عندها طلب أبو حاتم منه الاطلاع على نص الرسالة والدعوة ليجري الحوار على أساسها فبهت عرفات من الطلب وقال مرتبكًا: إنها رسالة شفوية أبلغنا إياها السفير السوفياتي في بيروت وبأنه سجل بعض النقاط على دفتره الخاص. فرد أبو حاتم بأن قضية بهذه الخطورة لا يجوز أن يعتمد فيها على كلام شفوي. عرفات عدَّ ذلك تشكيكًا بكلامه فرفع صوته مهددًا، فرد عليه أبو حاتم بالمثل وأعلن انسحابه من الاجتماع. صعّد عرفات بتهديد أبو حاتم، أمام الحاضرين بإطلاق النار عليه وأمره بالبقاء؛ لكن أبو حاتم انسحب من الاجتماع، وانسحبنا أنا وحنا وآخرون معه.

وفي ظل هذا الصراع مع نهج التسوية، وتعاظم تشكل التيارات في فتح جرى إطلاق النار على منير شفيق عسل في قاعة الجامعة العربية، فتوارى عن الأنظار وأسرعت أنا وناجي علوش إلى المنصة نطالب الناس بالهدوء والبقاء في أمكنتهم لاستكمال الندوة المناهضة لفكر التسوية.

| زياد منى: يقال إن ال17 هم من أطلق عليه النار، وأنه احتمى بعد ذلك بالراحل الكبير أبو إياد الذي كان يمارس دور حامي «جبهة الرفض» الفتحاوية. والله أعلم.

اعتقال ناجي علوش وأبو حاتم يدعو لمؤتمر صحفي ردًا

| زياد منى: ولكن في مقابل كل هذه التحركات يبقى هناك الجانب العسكري فهذا التيار الديمقراطي هناك خاض بدوره الصراع في مواقعه مثل أبو خالد العملة وأبو موسى وأبو مجدي وعدد من الضباط والقادة في القوات العسكرية في جنوبي لبنان؟.

| | **نزيه أبو نضال**: نعم هذه قوى محسوبة على التيار الديمقراطي العام، ولكن لم تكن الأمور دائمًا في دائرة الصراع المباشر مع اليمين أو حتى مع أصحاب الفكر المرحلي. كانت القوات تخوض معركة حياة أو موت بمواجهة الحلف الكتائبي والقوى الداعمة له، ثم ما تبع ذلك من تدخلات.

| زياد منى: ولكن هذه الرموز مع التيار المتمثل بابو داود وناجي علوش، دخلت بمواجهة عسكرية مع ياسر عرفات بعد إعلان وقف إطلاق النار مع العدو الصهيوني عام 1978.

| **نزيه أبو نضال:** طبعًا، وكانت تلك صفحة عنـيفة من المجابهات المباشرة. وقتها أرسل أبو نضال البنا مقاتلين من بغداد لكسر وقف إطلاق النار مع العدو الصهيونـي فاستقبلهم ناجي علوش، وتم بأمر من عرفات إعدام إثنـين منهم، كما أمر باعتقال ناجي علوش.

| زياد مني: أولاً أود القول هنا إن معلوماتـي تقول إن صدام حسين أرسل وقتها عناصر من قوات «الجيش الشعبي» إلى لبنان، وبدلا من أن يضعها تحت إمرة حلفائه أمر قائدها بعدم تلقي أوامر من أي جهة عدا القائد العام شخصيًا؛ هذا في الوقت الذي كان فيه الصراع بين الطرفين وصل إلى حد الاغتـيالات المتبادلة. أعلم أنه وجدت خطط لتفجير سيارات ملغومة في بغداد، لكن القائد العام أوقفها حتى لا ينزل دم بكميات تعيق الصلح لاحقًا.
هذا ما أريد التصريح عنه بخصوص الصراع الفتحاوي - العراقي، أما عن الصدام مع سورية في لبنان فأمره مختلف. لكن حتى لا يظن القارئ أننا قررنا «التسلل» منه أقول هنا إننا، أنت وأنا، قررنا عدم الخوض فيه لأن الحديث عنه لابد وأن يجلب تعقيدات قد تستحيل هجومًا على سورية بصفتها من قوى «الممانعة» وإضعافها، وهذا ما لا نريده.
كما أود أن أضيف هنا ظنـي بأن الصدام في لبنان بين قيادة «فتح» والقيادة السورية كان انعكاسًا للصراع المصري السوري على النفوذ في المنطقة. ففور اتفاق القيادتـين في جدة واعتراف القاهرة بلبنان منطقة حيوية واستراتـيجية لسورية، توقف الصدام وعادت العلاقات الفتحاوية - السورية إلى «طبيعتها».
أما ما يتعلق بالمؤتمر الصحفي فإنـي أذكر هذه الواقعة جيدًا فقد كنت موجودًا في مكتب العلاقات الخارجية للحركة، ولم يخرج ناجي علوش من السجن إلا بعد أن هدد أبو حاتم بعقد مؤتمر صحفي في العلاقات حيث تجمع عشرات الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، وأنا اتذكر وقتها، انـي لأول مرة أرى أبو حاتم الهادي المسالم بهذه الحدة. كان يصيح: هذا عضو مجلس ثوري، إذا سكتنا عن ناجي علوش غدًا سيعتقل عرفات كل حركة فتح. ولم ينقذ الوضع سوى وساطة أبو إياد، حيث تم الإفراج عن ناجي علوش.

| **نزيه أبو نضال:** هذا صحيح وكنت موجودًا أيضًا، وكنا ننتظر مداهمة قوات الـ17 للعلاقات كي تعتقلنا.

محاولة اغتيال حنا مقبل

| زياد منى: تحدثت مع نبيل عمرو في برلين عندما التقيته بعيد خروجي من سجن القائد العام عن الموضوع وسألته عن سبب تعقبهم أبو ثائر، فقال: إنه على اتصال بأبو نضال البنا. لم أكن أعلم ذلك، لكنني نفيت له علمي بالأمر فأجاب: لو أردنا قتله لعملناها. كنا نريد أن نخوفه فقط. أنت كنت قريبًا مما جرى فماذا عن تفاصيل محاولة اغتيال حنا مقبل؟.

|| **نزيه أبو نضال:** جرت محاولة اغتيال حنا مقبل (أبو ثائر) في سياق تلك الفترة المحتدمة من الصراع وبأمر من عرفات كذلك، وهذه واقعة تستحق أن تروى:

كان حنا مقبل، على باب مصعد البناية الواقعة على كورنيش المزرعة، متجها نحو مكتبه، مكتب القدس بريس، وحين رآهم داخلين وهم يطلقون النار عليه ركض على الدرج، فلحقوه بالرشاشات، وتطايرت الرصاصات وشظايا الحجارة فأصابته بإصابات خفيفة، صعد للأعلى، فلم يلحقوا به وانسحبوا، وهؤلاء إما أنهم كانوا يريدون إرعابه فقط، كما قال لك نبيل عمرو، أو أنه نجا لأنه ركض بسرعة فاضطروا للمغادرة. ولكن عندما تطلق الرشاشات على أحد ما، كي تخيفه فمن يضمن ألا يُقتل بلحظة!!

المهم، بعد انصراف القتلة، هرب حنا من مكتبه وجاء واختبأ عندي في البيت، والآن أنا هنا أقدم شهادة مهمة للتاريخ، كنت وقتها عريسًا جديدًا، وقد استلمت الموقع الأساس في رئاسة تحرير مجلة «فلسطين الثورة»، وكان حنا وقتها مسؤول الإعلام تقريبًا، والآن بعد أن تم اغتيال كمال ناصر فأنا ببساطة مشروع شهيد أيضًا، وكذلك حنا مقبل، لأن العمليات الإسرائيلية، آنذاك كانت تستهدف رؤوس الكتاب والإعلاميين: غسان كنفاني، أنيس الصايغ، بسام أبو شريف . . إلخ. ولذلك فقد كنت، من باب الأمن والاحتياط، حريصًا أن لا يعرف أحد أين أسكن، ولا يعرف إلا قلة من الأصدقاء بيتي الجديد. وكنت أصل إليه بطرق ملتوية تحول دون تتبعي في أية مطاردة.

حين هرب حنا مقبل إلى بيتي كان يعرف بأنني في بيت آمن، لأنه غير معروف وسري، وفرصة ليختبئ فيه، ولكنني لم أكن مطمئنًا لأني لست بمفردي، يوجد زوجتي وأهلها، فإذا لم يرصدوني قد يرصدون أحدًا آخر ويعرفون البيت من خلاله، إذا كان هناك من يريد أن يعرفه، فقلت لحنا: أنا لست مطمئنًا دعنا نخرج من هنا، أخشى أن يدهموا البيت. وهكذا ذهبنا إلى

مكان آخر حيث اختبأ في بيت لظافر الخطيب (شقيق النائب زاهر الخطيب) وكان ظافر وقتها قائدًا ل«حزب الشغيلة» اللبناني، وتربطنا به علاقة ثقة واحترام، وكان بيته على كورنيش المزرعة مقابل مركز «المرابطون»، وقد اختبأ حنا فيه حتى جرت تسوية لاحقة مع عرفات.

حين عدت إلى البيت بعد تأمين أبو ثائر علمت من زوجتي، ولم أكن قد أخبرتها شيئًا عن محاولة اغتيال أبو ثائر بأننا بعد أن خرجنا من بيتنا بخمس دقائق فقط، وإذا بحوالي 15 شخصًا من أمن ال 17 يحاصرون البناية وينتشرون في الطوابق والمصعد والدرج ومدخل البيت، وكنت أسكن في الطابق السابع، طرقوا الباب فتحت أم نضال، نظرت وإذ بالمسلحين منتشرين في كل مكان، سألوها: أين حنا وأبو نضال نحن أمن الثورة ونريدهم، قالت لهم ببراءة تامة الآن كانوا هنا وخرجوا، ولا أعرف إلى أين، كان الأفضل أنني لم أخبرها شيئًا فبدا بوضوح أنها كذلك، لأنه من طريقتها في الكلام والباب مفتوح، ودعوتها لهم أن يتفضلوا. لم يفتشوا وذهبوا، وبعد ذهابهم نظرت من بلكونة البيت إلى الأسفل وإذ بثكنة عسكرية تتمركز عند مدخل البناية.

هذه الواقعة تدل على مدى حرص أجهزتنا الأمنية التي عرفت فورًا بيتي، وفورًا انقضوا ليبحثوا عن حنا للقبض عليه أو لقتله.

ثم كانت المفارقة، التي تكشف المشهد ونقيضه، فبعد أشهر قليلة، حين اندلعت الحرب بيننا وبين الكتائب، كانت فتح تبحث عن أسماء وعناوين بيوت الكتائبيين، في بيروت الغربية، لأنها مراكز خطرة على الثورة، فسألوا كل أجهزة أمن فتح بكل تعددها وضخامتها عن هذه العناوين فلم توجد أي معلومة لدى أي جهاز منها . . فقد كان كل مخبرينا ورصدنا العظيم، منشغلين عن جواسيس العدو الصهيوني والكتائبيين بالبحث عن بيت نزيه أبو نضال، فكان أن استعانوا بالقوميين السوريين وبالشيوعيين وأخذوا معلومات منهم، ثم داهموا بعض تلك البيوت واعتقلوا بعض الكتائبيين.

فقط لنتأمل المشهدين السابقين، لنكتشف حجم الخلل في البنية والبرامج والأداء والأولويات.

إكتشاف "جاسوس" في حي أبو شاكر

| زياد منى: هنا أود إضافة حادثة صارت معي تكشف مدى الاهتراء في صفوف تلك الأجهزة. عند تفاقم «حرب السنتين» أهداني أحد

مسؤولي الأمن الموحد أبو هشام جهاز راديو يحوي موجة إف إم كي نحاول من خلالها الاستماع إلى تخابر قوات الكتائب إن أمكن. بعدها ببعض الوقت اتصل بي وأخبرني بان اخذ الحيطة بسبب وجود خلية تجسس إسرائيلية كتائبية في المنطقة. كان تسلية لي في بعض الأحيان الجلوس على الشرفة والاستماع إلى تلك التخابرات، ولكننا نادرًا ما كنا نتمكن من متابعتها. في أحد الأيام اتصل بي أبو هشام وسألني إن كنت أضع جهاز اتصال في منزلي، فأجبته بالنفي. قال: إنس الموضوع. قررت ألا أنسى واتجهت إلى مكتبه الذي كان يقع قريبًا من مكتب «العلاقات الخارجية» لأستفهم منه عن المسألة لأن تهمة وجود جهاز لاسلكي في شقتي أمر غاية في الخطورة. تبين لي من الحديث معه أن بعض مسؤولي الأمن المركزي برئاسة الراحل هايل عبد الحميد (أبو الهول) أبلغوا الأمن الموحد بأمر الخلية المزعومة وطلبوا منهم المساعدة بسبب وجود مكتبهم في المنطقة ورغبتهم في تجنب حصول سوء فهم أو اشتباك مسلح بين الجهازين. ولكن عندما وصفوا له مكان البيت عرف بأنه يعود لي وطلب منهم الانسحاب.

بعدها علمت أنهم دخلوا الشقة وفتشوها (كان فيها حقيبة سفري بها بعض الملابس وخزانة بلاستيك وجهاز الراديو هذا سبب البلاء وقطعة سلاح كلاشينكوف). اتصلت بالأخ أبو حاتم وأبلغته بالأمر وبأني سأتوجه إلى مقر الأمن المركزي لاحتج. كما اتصل هو بالأخ الراحل أبو الهول محتجًا. لكنني كنت أود معرفة التفاصيل فتبين لي أن أحد الجيران، وكان تابعًا للأمن المركزي ومدمنًا على المخدرات، كان يريد أخذ الشقة التي كان يسكنها معي بعض حراسات أبو إياد الذين أحضرهم من مصر وكانوا يعرفون باسم ك 36 أو ما شابه ذلك، وكانوا من بدو سيناء وفلسطين الذين يتقنون العبرية وهم الذين، على ما قيل، من عبر قناة السويس قبل اندلاع حرب تشرين دوريات استطلاع أرسلها الجيش المصري تمهيدًا للعبور.

ما أغاظني في المسألة كلها أن الأمن المركزي هذا لم يكلف نفسه بتتبعي إلى مقر عملي في «مكتب العلاقات الخارجية» الذي كان يبعد مسافة خمس دقائق سيرًا على الأقدام. اعتذر وقتها الأخ أبو الهول مني وتبين أنها ناجمة عن سوء الأداء المعهود، لا سوء نية.

المؤتمر الحركي الرابع وتزوير أحمد عبد الرحمن المادة السابعة

| زياد مني: حدثنا عن المؤتمر الحركي الرابع من فضلك والدور الريادي

الذي مارسه أحمد عبد الرحمن بتزوير قراراه الرئيس المتعلق بالبرنامج المرحلي.

|| **نزيه أبو نضال:** عقد المؤتمر الرابع لحركة فتح أواخر أيار 1980 في مدارس أبناء الشهداء، شمال دمشق، أي بعد 9 سنوات على عقد المؤتمر الثالث في حمورية غوطة دمشق، في تموز 1971، وكانت قد تفجرت صراعات عنيفة خلال الفترة السابقة داخل فتح والساحة الفلسطينية، حول برنامج التسوية ذي النقاط العشر الشهيرة، وامتد الصراع عربيًا كذلك بما عرف بجبهة الرفض وجبهة القبول. وكما يحدث عادة في المؤتمرات السياسية، فإن موضوعات محددة هي التي تشكل الحيز الأساس للحوار، وتحتل القضايا الساخنة للخلافات والاتفاقات، أما بقية مواد وموضوعات البيانات والبرامج السياسية فإنها تمرر نسبيًا بسهولة كبيرة.

والمادة السابعة من برنامج «فتح» السياسي الذي أقره مؤتمرها الرابع كانت أنموذجًا لما قلناه، بسبب ما أثارته من نقاش واسع وحار. حتى أن قدري (سميح أبو كويك) عضو اللجنة المركزية الجديد علّق خلال إحدى مداخلاته قائلاً: هذه المادة برنامج سياسي كامل. ومن هنا، ورغم تعدد القضايا والإشكالات التي رافقت أعمال المؤتمر إلا أن المحور المركزي في كل ما جرى كان المادة السابعة التي تقدم بها كامل أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح، كمشروع للتصويت عليه، وهذه ظاهرة تحدث لأول مرة، وتكشف مدى (استلحام) قيادة فتح على تمرير هذه المادة، وقد جاءت الصيغة المقترحة على النحو التالي: «انسجامًا مع الموقع القيادي لحركتنا في منظمة التحرير الفلسطينية، وما ورد في البرنامج السياسي حول هذا الموضوع، وشرعية منظمة التحرير على الساحة العربية والدولية، واعتبار القرارات السارية للمجالس الوطنية الفلسطينية لمنظمة التحرير الفلسطينية جزءًا مكملاً للبرنامج السياسي للحركة كونها لا تتعارض مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية».

في هذه النقطة تحديدًا، كان واضحًا محاولة القيادة تمرير برنامج التسوية المرحلي ذي النقاط العشر كي يتبناه مؤتمر حركة فتح، فكان أن انفجرت هذه الصيغة المقترحة في المؤتمر الرابع، وكادت أن تفجر الحركة.

بعد تلاوة المادة المقترحة ورغم خطورتها الشديدة، اقترح رئيس المؤتمر نبيل شعث قبل التصويت أن يتحدث اثنان ضد واثنان مع، ورغم اعتراضنا

على هذا الترتـيب فقد فرض علينا، وكنت أحد الاثنـين اللذين تحدثا ضد هذه المادة، وحين انتهت المداخلات وبتنا بانتظار التصويت حدث أمر غريب في القاعة فقد بدأ العشرات من أعضاء المؤتمر بالخروج من القاعة، فهم يريدون التصويت ضد المادة المقترحة، ولكنهم لا يجرؤون، وهم على مرمى بصر أعضاء اللجنة المركزية . . فالكثير منهم مرتبط بعلاقات ومساعدات مالية شهرية من هذا القائد أو ذاك فستكون مهددة بالتوقف. ولأنه لا يريد أن يصوت مع مشروع اللجنة المركزية، فقد كان الحل الأمثل من منظوره مغادرة القاعة، وعدم المشاركة بالتصويت على أخطر قرار في تاريخ حركة فتح. وهكذا حين باشروا بعملية التصويت كان نصف القاعة خاليًا، ورغم كل ذلك فاز مشروع اللجنة المركزية بأكثرية هزيلة. وبعد إعلان النتائج صرخت في القاعة: الآن ليست هذه هي فتح التـي التحقت بها مقاتلاً من أجل تحرير فلسطين، ولهذا أعلن انسحابي منها، وصرخ آخرون بما يشبه ذلك، وقد صعدنا إلى غرفنا كي نحمل حقائبنا ونغادر المؤتمر وحركة فتح إلى الأبد، وأذكر كنا معا في غرفة واحدة نستعد للرحيل أنا وأبو حاتم وأبو نائل ومي صايغ، وكان في الغرف الأخرى حركة مشابهة، وأذكر من هؤلاء أبو معن وأبو نضال إسماعيل وآخرين، وفجأة ارتفعت أصوات السماعات تدعو لجلسة استثنائية طارئة. فنزلنا لنرى ما الأمر.

كان ياسر عرفات قد انتبه براداراته عالية التردد والحساسية بأن كارثة على وشك الحدوث وقد تفجّر الحركة، وبأن لا بد من تدارك الأمر . . وهكذا تقدم عرفات بصيغة معدلة تمت الموافقة عليها بالإجماع، وهي التـي عرفت باسم المادة السابعة.

| زياد منى: ما نص المادة السابعة الأصلي الصحيح قبل تزويره ؟.

|| **نزيه أبو نضال**: المادة السابعة تقول: «انسجامًا مع الموقع القيادي لحركتنا في منظمة التحرير الفلسطينـية، وما ورد في البرنامج السياسي حول هذا الموضوع، وشرعية منظمة التحرير على الساحة العربية والدولية، تعتبر القرارات السارية للمجالس الوطنـية الفلسطينـية لمنظمة التحرير الفلسطينـية جزءًا مكملاً للبرنامج السياسي للحركة بما لا يتعارض مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية».

ولقد كان واضحا حتى خلال سير أعمال المؤتمرات أن هناك من يدفع باتجاه

معاكس نحو تبني برامج المجالس الوطنية بما فيها برنامج السلطة الوطنية والدولة المستقلة. غير أن مثل هذا التعدد المشروع في وجهات النظر لا بد أخيرًا من أن يخضع لقرار الأغلبية الساحقة، ومن هنا جاء اقتراح الأخ أبو عمار بإضافة عبارة «**بما لا يتعارض مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية**».

ورغم كل هذا الوضوح والإجماع على الصيغة المعدّلة التي اقترحها أبو عمار فقد حدثت مغالطات والتباسات على هذه المادة، حيث أرسلت إلى بعض الصحف التي قامت بنشرها محرفة على الصورة التالية: «اعتبار القرارات السارية للمجالس الوطنية الفلسطينية . . . جزءًا مكملاً للبرنامج السياسي للحركة **انطلاقًا من عدم تعارضها** مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية». كما نشر أحمد عبد الرحمن لاحقًا كراسًا عن قرارات المؤتمر تضمن ذات الصيغة المحرّفة. وواضح أن التحريف هنا يعكس المعنى تمامًا حيث يعتبر قرارات المجالس الوطنية لا تتعارض مع برنامج الحركة ما ينسف روح ونص البرنامج السياسي بمجمله. كما ينسف الإضافة الواضحة والمحددة التي قدمها أبو عمار باعتبار قرارات المجالس الوطنية جزءاً مكملاً لبرنامج الحركة وبما لا يتعارض مع البرنامج السياسي لحركة «فتح» ومع مبادئها وأهدافها.

| زياد مني: هذه النقطة التي حرفها أحمد عبد الرحمن بأمر من القيادة بالطبع، وزور بالتالي قرارات المؤتمر.

| **نزيه أبو نضال:** نعم وهذه المغالطة والتحريف الواضحان ليست مسألة خطأ أو صدفة. فالبرنامج السياسي أقره المؤتمر ووقع عليه رئيس المؤتمر ومقرر اللجنة السياسية، وهو يتضمن النص الكامل للمادة السابعة كما ثبتناها في بداية هذا التعليق.

إن هذا النص الواضح الذي يحدد طبيعة العلاقة بين برنامج فتح وبرنامج منظمة التحرير يأتي منسجمًا مع روح ونص العديد من مواد البرنامج الذي اقره المؤتمر الرابع ومنها: «إن «فتح» حركة وطنية ثورية مستقلة وهدفها هو تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً وتصفية الكيان الصهيوني اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وثقافيا وفكريًا، وإقامة دولة ديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني. إننا نعتبر أن المشاريع والاتفاقات والقرارات التي صدرت أو تصدر عن هيئة الأمم المتحدة أو مجموعة من الدول أو دولة منفردة بشان

فلسطين، والتـي تهدر حق الشعب الفلسطينـي بكامل ترابه الوطنـي باطلة ومرفوضة».

وحول سمة المرحلة أوضح البرنامج «إن هدف مشاريع التسوية الامبريالية المطروحة تمزيق حركة التحرر العربي» ولذلك فإن المؤتمر الرابع لحركة «فتح» يعلن أن مقاومة هذه المشاريع مهمة ثورية لكافة فصائل حركة التحرر العربية وقواها الوطنـية، وقوى الصمود فيها، كما يقرر أن يحكم هذا التوجه كل خطوات الحركة المقبلة».

يضاف إلى كل ما تقدم التركيز الواضح على الأرض المحتلة عام 1948 «وتصعيد الكفاح المسلح في كل شبر من أرضنا المغتصبة».

على أرضية هذا الموقف السياسي الحاسم والواضح جاءت المادة السابعة من البرنامج باعتبار قرارات المجالس الوطنـية الفلسطينـية لمنظمة التحرير جزءاً مكملاً لبرنامج الحركة، ولكن وكما تنص المادة «بما لا يتعارض مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية».

وهذا يعنـي أن الخط السياسي لفتح وتعبئتها التنظيمية والجماهيرية تقدم على أساس برنامج التحرير الكامل من دون أي لبس، وعلى النضال ضد كافة مشاريع التسوية المطروحة بما فيها قرارات هيئة الأمم المتحدة التـي تفرط بحقوق شعبنا كما أوضحها برنامج الحركة وكذلك ميثاق منظمة التحرير.

إن من شأن هذا التحديد الواضح والحاسم لموقف فتح السياسي،كما كان مفترضًا، أن يوحّد ويصلب موقف الحركة على أساس نقاط برنامجية محددة تنهي مرحلة التباينات والالتباسات والخلافات التـي شهدتها الساحة الفلسطينـية ومن بينها ساحة فتح ، وتضع أقدام الجميع على أبواب مرحلة جديدة من النضال السياسي والمسلح بعيدًا عن أوهام التسوية، ولكن الأمور مضت وفق أهواء القائد والقيادة إلى النقيض.

لقد أردنا من طرح هذه المادة الهامة غرضين أساسين أولهما تحديد جوهر الموقف السياسي لحركة فتح، وثانـيهما إزالة الالتباسات والمغالطات التـي علقت بهذه المادة.

وهذا كله يعنـي ضرورة الالتزام بالبرنامج النضالي الاستراتـيجي الذي انطلقت حركة فتح على أساسه: إن الكفاح المسلح خيار استراتـيجي وليس تكتـيكًا . . . ولن يتوقف هذا الكفاح إلا بالقضاء على الكيان الصهيونـي

وتحرير فلسطين . . تحريرًا كاملاً . . وإقامة الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني.

| زياد منى: كلام نظري لا معنى له يمنح «الرافضين» عذرًا للبقاء في حركة مهترأة مستسلمة، وصدر عن قيادة غير مقتنعة بما بدأت به، وقاعدة لا تملك أدوات تنفيذ قراراتها فتوكل بأمر التنفيذ إلى من لا قناعة لها به، فانتهينا إلى ما انتهينا إليه. يبدو أنه القدر المحتوم الذي لا مفر منه. هذا ما يقوله الحاضر. كارثة وطنية بكل معنى الكلمة كانت تعبّد الطريق أمامها في بيروت.

| | **نزيه أبو نضال:** كلامك صحيح، ولم يكن لدينا أي أوهام بالنسبة لموقف القيادة، ولكننا، كتيار ديمقراطي، كنا نقاتل من أجل انتزاع نص واضح يمنحنا شرعية النضال ضد الانحرافات. هذا هو المنهج، وهذا هو القرار، وقبل ذلك هذا هو الخط الصحيح والوحيد لتحرير فلسطين. لقد حرصنا هنا على استعادة بعض الصفحات الجيدة في برنامج الثورة وكذلك كشف نهج التسوية المدمر الذي أوصلنا إلى أوسلو، وما تلاها في مؤتمر كلينتون بغزة، ثم برام الله من ذل وخراب.

في المؤتمر الرابع جرت انتخابات المواقع القيادية للحركة ودخلت دماء جديدة في المجلس الثوري، واللجنة المركزية، من بينها: قدري وماجد أبو شرار.

في غرفة ماجد أبو شرار ليلة اغتياله في روما

| زياد منى: الشهيد تغير كثيرًا «إيجابيًا» بعدما انتخب عضو لجنة مركزية. هذا الانطباع الذي خرجت منه بعد اجتماعي معه في الإعلام عقب انتخابه. وقتها طلب مني اللقاء به بعد إعدادي خطة عمل لقواعد الحركة في ألمانيا الشرقية.

أعلم أنك كنت في روما مع الشهيد أبو سلام، رغم ما كان بينكما من قطيعة. حدثنا عنه وعن ظروف اغتياله الذي تلى اغتيال السادات بيوم.

| | **نزيه أبو نضال:** استمرت القطيعة بيني وبين ماجد أبو شرار على المستوى الشخصي والسياسي عدة سنوات، إلا في مناسبات عامة، حتى ذهابنا إلى روما، في الأسبوع الأول من تشرين الأول من عام 1981، للمشاركة في المؤتمر العالمي لنصرة فلسطين، وكان يشارك فيه المطران كبوجي، وعدد

كبير من القيادات السياسية والفكرية من البلاد العربية والأجنبية، وكان ماجد آنذاك عضوًا في اللجنة المركزية لحركة فتح، ومسؤول القطاع الغربي فيها . . ما يضعه في دائرة الاستهداف المباشر من العدو الصهيوني، كما حدث مع كمال عدوان.

التقينا في بهو الفندق الذي سيعقد فيه المؤتمر في روما، وطبعًا بيننا على المستوى الشخصي، علاقة محبة واحترام رغم الخلاف السياسي، وهناك تاريخ من العلاقات الحميمة، حتى أن أم سلام، رحمها الله، عندما توفيت بالسرطان في لندن وأراد ماجد أن يكون معه أحد قريب حين يسافر لإحضارها اختارني أنا لأكون إلى جانبه، فلا أحد من الممكن أن يكون قريبًا منه أكثر مني. إلى هذا الحد كانت العلاقة حميمة بيني وبينه، فذهبنا إلى لندن وأحضرنا جثمان أم سلام ورجعنا. كانت علاقة الصداقة الشخصية قد تحولت إلى صداقة عائلية حميمة، وكانت آخر سهرة قضيناها معًا في بيتي ببيروت، ربما كانت سهرة رأس السنة عام 1978 وكان معنا على ما أذكر أبو حاتم ومي صايغ وأبو موسى وأبو خالد العملة والكاتبة السورية حميدة نعنع.

والآن ها قد التقينا في بهو فندق روما ونحن ننتظر حتى يوزعوا علينا الغرف، وكان الازدحام شديدًا للغاية. رآني ماجد في بهو الفندق فبادر بأن سلّم علي وقبلني في مصالحة حميمة، وجلسنا معًا في لحظات صفاء، قال لي: غرفتي فوق محجوزة لن أستعملها، اصعد واسترح فيها، وعلى مهلهم إلى أن تأخذ غرفتك، وتبقى غرفتي كتمويه بقية أيام المؤتمر، وقد أرتاح فيها قليلاً في النهار، لكن الآن لن أستعملها، وسأنزل في فندق آخر في روما. وكان نمر حماد، ممثل م ت ف في إيطاليا، قد حجز غرفة لماجد، سلفًا، في فندق المؤتمر بموجب اسم آخر بجواز تونسي كان قد دخل به مطار روما. ولكن ماجد ولأسباب أمنية أعطى جواز سفر ثانيًا جزائري لنمر حماد كي يحجز له في فندق آخر، غير فندق المؤتمر، وبذلك يكون قد دخل البلاد باسم تونسي، ونزل بفندق آخر باسم جزائري، وبالتالي هذا تمويه ممتاز، ينام هناك، وبالنهار في المؤتمر من الصعب أن يستهدفه أحد.

وهكذا في الساعات الأخيرة قبيل استشهاده تمت المصالحة ورجع الود، تمت تلك الليلة في غرفته في فندق المؤتمر، وفي اليوم الثاني تمت عملية اغتياله في فندق فلورا، شارع فينيتو، وكانت المسافة الزمنية بين حجز الفندق، من قبل نمر حماد أو من قبل نائبه السوري حسين عفلق لا تكاد تذكر. فمن أبلغ

الموساد حتى تمكنت من اغتياله قبل مرور أقل من 48 ساعة!؟ ولماذا لم يتم تحقيق جدّي مع هؤلاء الذين تنتصب فوق رؤوسهم علامة استفهام كبيرة كحبل المشنقة؟[4].

اجتياح لبنان عام 1982 : العمل في إذاعة «صوت فلسطين»

|| **نزيه أبو نضال**: حين بدأ اجتياح العدو الصهيوني للبنان في 4 حزيران 1982، تداعينا نحن الكتاب الفلسطينيين والعرب إلى اجتماع، في مقر العلاقات الخارجية للحركة، كي نأخذ مواقعنا في المعركة، وعلى الفور قدمت عدة مقترحات عملية: إصدار نشرات: منها «المعركة» التي ساهمت فيها بعدة مقالات، و«الرصيف» المنذورة لاسم سيديها علي فودة الذي مات مرتين في بيروت، وأبو روزا الذي مات في صيدا. كما ساهم الكتاب في العمل بوكالة الأنباء الفلسطينية «وفا»، وإذاعة (صوت فلسطين) صوت الثورة الفلسطينية، وعملوا كمراسلين ميدانيين على جبهات القتال. وكان لا بد من توزيع هذا العدد الكبير من الكتاب على هذه المواقع وغيرها.

كان نبيل عمرو أنذاك مسؤولاً عن الإذاعة، قال في اجتماع الكتاب: أنا يلزمني في الإذاعة اثنان فقط: نزيه أبو نضال وحنا مقبل.

وهكذا وجدت مكاني خلال أشهر الاجتياح في الإذاعة، استكمالا لتجربة زمزم 105 في أيلول 70 بعمان، وإذاعة درعا خلال معارك أحراش عجلون شمالي الأردن، في تموز 1971 وإذاعة صوت لبنان العربي خلال سنوات الحرب اللبنانية.

كانت مهمة الكتابة الإذاعية أن نحلل ونحرض ونعبئ ونرد على حملات الأعداء وعملائهم، وكنت كثيرًا ما أذهب إلى المقال أو التعليق الساخر، وذلك من خلال برنامج يومي كنت أقدمه بعنوان: «كلمة ورد غطاها»، ومن ذلك أن بيروت خلال أشهر الحرب كانت تعيش في ظل نظام تقنين الكهرباء، ولكن بيروت في الليل كانت تضاء بقذائف التنوير الإسرائيلية، فكتبت شاكراً العدو على إضاءة المدينة ومعلقًا: الله يستر ما يقننوا قذائف التنوير!.

ولكن بالطبع كان في الإذاعة مولّد كهربائي، وكنت أحرص على وضع

(4) سفير تشيكوسلوفاكيا في دمشق أبلغني عام 85/1984 بأن القائد العام رشح غر حماد مديرًا لمكتب المنظمة في براغ بعد انضمام عاطف أبو بكر «للانتفاضة»، لكن حكومته رفضت الترشيح لأسباب أمنية وصلتهم من استخبارات حلف وارسو وطلبت منه ترشيح شخص غيره (ز م).

قوالب ثلج في ثلاجة الإذاعة، في اخر الليل أحمل بعض الثلج، لزوم ما يلزم، لنا ولعائلة زوجتـي التـي هجرت إلى بيت قريب لهم وآمن في شارع الحمراء، وكنت أخبر نبيل عمرو ضاحكًا: هذا أجرتـي عن كتابات اليوم، ثم أذهب إلى حيث تنتظر الأسرة.

كان مقر الإذاعة بيت الأخت هند جوهرية، زوجة الشهيد المصور الفنان هانـي جوهرية، وكان نبيل عمرو يدير بكفاءة كادرًا كبيرًا من الفنـيين والإذاعيين المحترفين مثل خالد مسمار وطاهر عدوان ويوسف القزاز وصالح والسربيونـي ويعقوب شاهين، والكتاب المتطوعين مثل حنا مقبل ورشاد أبو شاور الذي كان يقدم برنامج «كلامنا بلدي» وغالب هلسا، واللبنانـية الشهيدة نِعَم فارس، وكانا يقدمان معًا برنامج «سلّي صيامك» ومقابلات من الميدان، وميشيل النمري وأمجد ناصر وزين العابدين فؤاد والفنان المصري عدلي فخري وسلوى العمد التـي قدمت من ألمانـيا مخترقة الحصار لتكون معنا، وهذا ما فعلته أسماء أبو علي والقصاص عبد الله الطوخي. كما وصل وفد الفنانـين والمثقفين المصريين، ليعلن تضامن قطاعات الشعب المصري مع المحاصرين. وكان الوفد يتكون من: علي بدرخان، فتحية العسال، ناجي جورج، جلال الغزالي، وأمين الهنـيدي. ووصل وفد آخر كان فيه الفنانة نادية لطفي التـي غادرت بيروت معنا على نفس الباخرة إلى طرطوس.

كنا جميعًا صامدين نقاتل بالكلمة والنشيد، وننتظر فرجًا يأتـي من خارج الحصار دون جدوى، وبعد أشهر الحصار بدأ «غراب البين» ينذر بالرحيل.

كان الموت يصرخ في بيروت، وقد أصم العالم كله أذنـيه . . فكان لا بد من قبول تسوية ما بالخروج عبر البحر ولكن كل منا يحمل سلاحه، حاولنا مقاومة هذا الاحتمال، ولكن كان يبدو أن لا مناص.

ذات يوم وقد تعاظمت احتمالات الخروج من بيروت، التقيت بأبو عمار حيث لا ينتظر أحد وجوده في منطقة الجامعة العربية التـي دمرها العدو وهجر سكانها، كان أبو عمار في المكان الذي لا ينتظره العدو، بعد المحاولة الفاشلة لقتله في بناية عكر في الحمراء التـي أبيدت مع قاطنـيها.

قلت: يا أخ أبو عمار المهم أن نصمد ولا نغادر بيروت، العدو لن يجرؤ على اقتحام بيروت، والحرب صبر ساعة.

قال: مشكلتنا أننا نسبب الموت والدمار لأهلنا اللبنانـيين الذين تحملوا

الكثير بصمت، وقيادة الحركة الوطنية بدأت تطالبنا بحل[5].

قلت: نعم هذه مشكلة جدية. الله يقوّيك.

خرجنا على متن البواخر المنتظرة، وسط تهليل وبكاء جماهير بيروت المحبّة والوفية، كان علينا حماية ما تبقى من أرواح الناس وأرواح البيوت. وقد سجل هذه اللحظات بامتياز رسام الكاريكاتير الفنان ناجي العلي.

كان اختيار السفينة أو الميناء الذي نتجه نحوه هو خيار سياسي في نهاية المطاف . . فقررنا التوجه إلى ميناء طرطوس السوري، رغم كل ما قيل لنا عن معسكرات تجميع بانتظارنا، أشبه بمعسكرات اعتقال، كنا لا زلنا نطمح بالعودة إلى لبنان نحو جولة جديدة من الصراع ضد العدو الصهيوني.

كان مشهد الأمواج البشرية المنتظرة في ميناء طرطوس هو أعظم ما شهدت في حياتي، وبه سنبدأ آخر فصل من هذه المذكرات، وهو المحطة الدمشقية التي انطلقت منها في رحلة الثورة المسلحة قبل 15 سنة.

(5) الحقيقة هي ان قيادات بيروت «السُنيّة» طالبت ابو عمار بالانسحاب من بيروت لانها «خط احمر!» ولا تقبل بتدمير المدينة، لكن لم يكن لتلك القيادات اي مانع في أن يدمر جنوبي لبنان على رؤوس اهله، وحدث هذا اكثر من مرة قبل ذلك كما في اجتياح عام 1982. كان بإمكان ابو عمار المماطلة شهرين آخرين ومد فترة الصراع المسلح مع قوات الغزو، لعل وعسى!! (ر م).

الفصل العاشر:
المحطة الدمشقية

في ميناء طرطوس

|| **نزيه أبو نضال:** غادرت بيروت في 1 أيلول 1982 على آخر باخرة باتجاه ميناء طرطوس أحمل حقيبة صغيرة فيها بعض الملابس والاحتياجات وستة كتب فقط: «النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية» لحسين مروة و«تاريخ الفلسفة العربية» لحنا فاخوري ورواية لا أذكر اسمها، وثلاثة كتب لي: «مواجهات سياسية» و«أدب السجون» و«جدل الشعر والثورة»، وذلك من مجموع مكتبة هائلة فيها آلاف الكتب، (أهديتها لاحقًا، من خلال صديق كي تحفظ في مكتبة الطائفة الدرزية القريبة، في تلة الخياط). كما اصطحبت معي خمسة أشرطة كاسيت: لفيروز وعبد الوهاب وكارم محمود والشيخ إمام وسيمفونية «كارمينا بورانا» لكارل أورف التي كان أهداني إياها زياد مني في ألمانيا الشرقية، وذلك من أصل مكتبة موسيقية فيها مئات الأشرطة والاسطوانات.

غادرت على الباخرة أنا وصخر الجنوب، وكان معنا عدد من القيادات الفلسطينية من أبرزها أبو إياد، كما كان معنا الفنانة المصرية نادية لطفي التي سرعان ما رفع معها المقاتلون التكليف لما تتميز به من محبة وتواضع.

اقتربنا مع غبش المساء من ميناء طرطوس وكان بانتظارنا أمواج من

البشر بعضهم ينتظر أحد الأحبة، من دون يقين، وآخرون سعوا عن نوايا تجميع القادمين في معسكرات فشكلوا حاضنة هائلة كرحم الأم لحمايتهم، ولحظة نزولنا الميناء، أخفتنا هذه الحاضنة بداخلها عن عيون الشاحنات العسكرية المنتظرة، وعيون عشرات الجنود المصطفين حيث سترسو الباخرة ...

ثم ولا أحد يدري كيف، ومن دون أي عنف جرى تبديد أو احتواء هؤلاء الجنود، وسط طوفان الجماهير، حتى لم يعد لهم وجود.

كان المشهد من على ظهر الباخرة عصيًا على التصديق: عشرات الألوف يتدافعون على رصيف الميناء كموج البحر يمينًا ويسارًا، ولو اختلت حركتهم باتجاه آخر . . وراء وأمام، لسقط الألوف منهم في البحر . . لم يكن هناك أي ساتر يحول بينهم وبين مثل هذا الاحتمال المخيف. رغم ذلك كانوا يتدافعون مهللين مكبرين وكأنهم سيحتضنون الباخرة بأذرعتهم المفتوحة.

نزلت إلى الميناء من دون أن أعرف شيئًا عن مصيرنا القادم، أو ما الذي يرتّب لنا بالضبط، وفجأة سمعت من يناديني وسط كل هذا الضجيج العظيم: نزيه نزيه. كان د راجي مصلح ومعه سائق وسيارة إسعاف، قال: اصعد بسرعة. ركبت أنا وصخر الجنوب وبعض القادمين في سيارة الإسعاف، طلب منا د راجي مصلح تغيير ملابسنا العسكرية بملابس مدنية ففعلنا وتحولنا إلى مواطنين مقيمين في سورية. وسرعان ما توارت السيارة عن الأنظار بطريق التفافي، بعيدًا عن الدوريات ونقاط التفتيش العسكرية، باتجاه حمص ومنها إلى دمشق . ..

بمثل هذا الإعجاز الشعبي العبقري جرى امتصاص مئات المقاتلين وتهريبهم، وعادت الشاحنات المنتظرة فارغة إلى معسكراتها.

في دمشق كان لا بد أولاً من ترتيب الأمور انتظارًا لالتحاق العائلة من بيروت. كنا قد أصبحنا أربعة، ونحتاج إلى أجرة بيت ومصاريف ومدارس، وليس هناك سوى المخصص الهزيل من الحركة، فلا دخل هناك من اللواء ولا راتب من عمل الزوجة. وكانت الفوضى شاملة والحلول المطروحة والمؤقتة تصطدم كالعادة بالمحسوبيات وبالاسترلام والفوضى والفساد.

بعد الانشقاق وخروج عرفات من سورية توقفت مخصصات فتح نهائيًا، كما أنني لم التحق بانتفاضة أبو صالح وأبو موسى، وكانت تلك فترة قاسية جدًا. وقتها عملت في مجلة (الهدف) وخرجت منها بسبب «غلاف المنبوذ» الذي يصور

عرفات بوضع مهين، وقد علمت لاحقًا أن صفقة تمت بين بسام أبو شريف وعرفات كي أخرج من (الهدف). عملت بعد ذلك في مجلة (نضال الشعب)، وتابعت الكتابة في (التعميم) و(الثورة الفلسطينية) التابعة ل«انتفاضة فتح»، ولكن بالمجان حتى لا أحسب عليهم، كما نشطت في لجان الحريات الديمقراطية في الأردن، وفي لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية الفلسطينية، وفي لجنة العمل النقابية في اتحاد الكتاب الفلسطينيين وفي مجلة (الكاتب) الفلسطيني، وكنت عضوًا في هيئة تحريرها، وكذلك في المشاركة في العديد من النشاطات الجماهيرية والندوات السياسية والثقافية.

ولكن قبل كل هذه الهموم الشخصية والأنشطة اليومية ماذا عن الأسئلة الكبرى: أي ماذا عن مصير الثورة وخياراتها بعد المرحلة اللبنانية؟.

«التيار الديمقراطي» والخيارات: التمرد نحو الانشقاق

|| **نزيه أبو نضال:** وكما حدث بعد هزيمة أيلول في الأردن انفجرت حسب الاصول الأسئلة الكبرى عما جرى في لبنان، وعن الحلول والبدائل، وعن من يتحمل المسؤولية، رغم الصمود والبطولات، وبضرورة محاسبة المقصرين والهاربين، وانتصب اسما العقيدين الحاج إسماعيل جبر[1] وأبو هاجم (غازي عطا الله) كرمزين لهؤلاء، ولكنهم بالطبع كانوا بحماية عرفات.

المشكلة أن الأمر لم يقتصر على عدم استجابة القيادة بضرورة محاسبة المقصّرين بل اتخذت مجموعة من القرارات (51 قرارًا) بتاريخ 1982/05/01 بمعاقبة المحتجين والمطالبين بالإصلاح ومكافأة الهاربين من جنوب لبنان، عند

(1) للتاريخ، ومن دون أن يفهم كلامي على أنه موافقة على سلوك الحاج إسماعيل وأدائه وموقفه السياسي وموقفه من رئيسه الأسبق أبو موسى، علمت بأنه تسلم عند بداية الاجتياح برقية من القائد العام تقول بضرورة إعطاء الأولوية للحفاظ على الحياة. أما قراره بتاويل الأمر على أنه عدم ممارسته عمله كقائد لقوات العاصفة في الجنوب وانسحابه إلى البقاع فعليه أن يشرحه هو. وفي الحقيقة فإن هذا الأمر يذكرني بمسالة حصار مخيم «تل الزعتر» حيث تبين لنا، من سؤالنا القادة العسكريين للمخيم بعيد تمكن قسم كبير من المقاتلين من الانسحاب قبيل سقوطه في يد قوات الانعزاليين، وما جرى فيه من مجازر جماعية واغتصاب وغيرها من الفظائع. قادة المخيم العسكريون قالوا إن اوامر القيادة المركزية للقيادة الميدانية في مخيم تل الزعتر كانت: تصرفوا بما تروه مناسبًا. بذلك تكون القيادة ضمنت الجانبين ويمكنها إلقاء مسؤولية ما جرى على قرار القيادة الميدانية في المخيم. هذا ليس بجديد على الإطلاق. هذا الكلام ضروري عند الحديث في مسالة المحاسبة والتقصير (ر م).

بدء الحرب، حيث نصت القرارات على تعيين العقيد غازي عطا الله (أبو هاجم) قائدًا عسكريًا للساحة اللبنانـية. وتعيين العقيد الحاج إسماعيل جبر قائدًا عسكريًا لشمال لبنان. ونقل العقيد سعيد موسى مراغة (أبو موسى) من الساحة اللبنانـية إلى اليمن الشمالي، وتنحية سميح أبو كويك (قدري) من موقعه كنائب لمحمد راتب غنـيم (أبو ماهر) في دائرة التعبئة والتنظيم في حركة فتح.

بالمقابل أعلن العقيد أبو موسى رفضه لهذه القرارات، وانطلقت حركة التمرد في صفوف «فتح» و«قوات العاصفة» من منطقة الحمّارة بالقرب من خربة روحا في البقاع، صباح يوم 1983/05/09، وانتشر التمرد باتجاه الانشقاق، في عدد من المواقع العسكرية في البقاع اللبنانـي وبعض مكاتب ومراكز الحركة في سوريا.

قبل ذلك كانت قد برزت مطالب عادلة التف حولها معظم أبناء الحركة، ولكن عدم استجابة قيادة فتح للمطالب ولوساطات القوى السياسية جعلت الأمور تندفع نحو التمرد حتى في امتدادات الحركة في الأقاليم البعيدة، وفي الاتحادات والمنظمات الشعبية، وتفاعلت أصداء الانتفاضة بين فصائل المقاومة وفي الشارع الفلسطينـي. وكان يقود هذا التمرد لجنة عليا واجهتها السياسية أبو صالح (نمر محمد صالح) وقدري (سميح أبو كويك)، وهما عضوان في اللجنة المركزية للحركة، والعقيد أبو موسى (سعيد موسى مراغة)، والعقيد أبو خالد العملة (موسى العملة)، والعقيد أبو مجدي (محمود البدر)، وأبو أكرم (موسى عوض) وأبو علي مهدي بسيسو رحمه الله. وإلى جانب هؤلاء تشكلت عدة لجان من عدد من قادة الكتائب والقوات الفلسطينـية وكوادر قيادات التنظيم في سورية ولبنان ومنهم العقيد واصف عريقات (أبو رعد)، والعقيد أبو زهرة، والمقدم زياد الصغير (أبو حازم)، والرائد محمود عيسى (أبو عيسى)، وحسن أبو شنار، وأبو فاخر، وعادل مغاري ويوسف شديد وإلياس شوفانـي وراجي مصلح من تنظيم الغربي، أو تنظيم المية، وتنظيم شؤون الأردن ومنه يحي مخلف.

«الاتجاه الثالث»

|| **نزيه أبو نضال:** في مقابل هذا التحرك الذاهب نحو الانشقاق برزنا

نحن كاتجاه ثالث تتقاطع مواقفنا السياسية والفكرية مع أصحاب اتجاه التمرد، ولكننا نختلف معهم تنظيميًا حول خيار الانشقاق، وقد كنا نرى في ظل الوقائع العربية المحيطة أن الانتفاضة ستتحول إلى مجرد شريحة صغيرة يسهل على الجغرافيا السياسية ابتلاعها أو احتواؤها، فيما يسهل على عرفات مع خروج المعارضة واليسار من فتح أخذها باتجاه التسوية الأميركية. ومن هنا فقد قاتلنا لمنع الانشقاق، وعملنا في إطار اتجاه نهج حريص على وحدة الحركة بقدر حرصه على الإصلاح وعلى ضرورة المحاسبة، وكان من أبرز رموز هذا التيار أبو حاتم وأنا وأبو نائل وأبو معن وأبو نضال إسماعيل وأبو خالد الصين ومي صايغ، ونسبياً كوادر شؤون الأردن: يحي وجمعة وكفاح[2].

قريبًا من توجه الخيار الثالث كان يقف ناجي علوش وأبو داود وخالد أبو خالد، وآخرون في مختلف المواقع والأقاليم، وفي ذلك الوقت انصبت كتاباتنا ومواقفنا على تعزيز هذا الموقف الثالث، فأصدرت كتابين الأول «في مواجهة عقلية التسوية»، 1982، والثاني «تاريخية الأزمة في حركة فتح، 1984»، كما أصدر أبو حاتم كراسًا بعنوان «الأزمة والحل حول الأزمة الداخلية في حركة فتح»، وهو نص مداخلته التي قدمها في اجتماع «المجلس المركزي الفلسطيني» الذي عقد في تونس في آب 1983، لمعالجة تداعيات ما يحدث في حركة فتح والساحة الفلسطينية وطالب فيه بضرورة تشكيل لجنة حركية بتوافق الجميع تعد لمؤتمر عام للحركة لمعالجة كل الإشكاليات والمخاطر والتحديات، ولكنها كانت صرخة في واد. فقد ذهب كل إلى خياره ومصيره الموعود في إقامة جبرية في المقاطعة أو في بيت بالمزّة.

(2) زياد مني: أنا لا اتفق معك على وصف موقف كل من يحيى يخلف وجمعة الناجي وموسى عودة [كفاح] بانه «طرف ثالث»؛ ربما الوصف الدقيق هو طرف «الواحدة والنص»، واعني بذلك الميوعة في تلك المواقف. ليست لدي رغبة في الاسترسال في الحديث هنا في هذا الأمر لانه لا يدخل في صلب هدف نشر هذا الكتاب، وعليهم أن يكونوا صادقين مع انفسهم بالخصوص ويذكروا الحقيقة كاملة، إن كان الأمر يهمهم. لن اتكلم، لكن إن قام من يكذب ما اوردته هنا فإنني ساذكر كل التفاصيل التي أعرفها وهي غير مريحة إطلاقًا. ثلاثي «شؤون الاردن» انتهى به الأمر إلى العمل بحماس في أجهزة جماعة اوسلو ومن ثمة في جماعة «المقاطعة». موسى عودة صار سفيرًا للجماعة في إسبانيا بعدما انخرط اول مرة من خلال إرساله مبعوثًا للامن، اي لاستخبارات فتح، لحل مشاكل تنظيم إقليم نيكاراغوا. يحيى يخلف صار وزيرًا للثقافة في جماعة مكتب المقاطعة في رام الله، أما جمعة الناجي فقد عمل موظفًا في «الدائرة السياسية» ثم سفيرًا في افغانستان. ابو نضال إسماعيل عمل الأمر ذاته وكان سفيرًا في بلغاريا ثم محافظًا، وصار دحلاني القلب والقالب، على ما قيل لي.

وبالطبع لم يقتصر التباين مع قادة الانتفاضة على أصحاب الاتجاه الثالث فحسب ذلك أن ما حدث في صفوف قيادة الانتفاضة نفسها من تصفيات متلاحقة قد كشف حجم الخلل في بنية المجموعة[3]، والتي تنتمي إلى أكثر من اتجاه داخل التيار الديمقراطي الواسع في حركة فتح.

| زياد منى: نظرًا لأهمية هذه المسألة هل يمكن أن نفصّل أكثر بما يتصل بمكونات ومرجعيات هذا التيار، أو كما تقول، التيارات؟.

| **نزيه أبو نضال:** هذا يستدعي مراجعة تجربة التيار الديمقراطي من جذوره لاكتشاف عوامل وأسباب فشله.

عند بداية تشكل التيارات الديمقراطية داخل الحركة، كانت، كما أسلفنا، تبدو موحدة من حيث الشكل، كاتجاه يساري في فتح، مقابل ممارسات ومواقف سياسية لليمين، وفي ظل طبيعة الصراع في الأردن وما يستدعيه من المواقف والسياسات، والبحث عن برامج معلنة تجيب على أسئلة المرحلة، وكان هذا كاف، لكن لما ذهبت الأمور بعد أيلول 70 نحو سياقات نوعية جديدة، وبأن علينا أن نشكل إطارًا له برنامج واضح ومحدد، وله أطر تنظيمية واضحة ومحددة، بدأت تتكشف عناصر الخلاف الجدية داخل هذا التيار، وإذا بأبو صالح وماجد أبو شرار مع برنامج التسوية المرحلي، ونحن مع تحرير كامل التراب الفلسطيني[4]. وبعد قليل نكتشف أن منير شفيق عسل راح يواصل

(3) زياد مني: اسمح لي هنا ان أدلي بمداخلة واحكي عن تجربتي في هذا الأمر. عندما قررت التوجه متابعة دراستي العليا، كنت وصلت إلى درجة اليأس من هكذا «ثورة» وهكذا حركة أو بالأحرى «حركات». قررت عدم ترك الحركة، ولكن في الوقت نفسه عدم المشاركة في ما كان يوصف بانه «ثورة». ابلغت أبو حاتم بقراري واتصلت بالأخ أحمد الازهري، الذي كان لا يرفض له طلب في الدول الاشتراكية، ورجوته أن «يدبر» لي منحة دراسات عليا في المانيا الشرقية، وهذا ما فعله مشكوزًا ومن دون تردد حيث حصلت على منحة في خلال أقل من اسبوع، بل إن قنصل المانيا الشرقية حضر إلى المكتب يوم الاحد، وهو يوم عطلة، وختم جواز سفري بتاشيرة الدخول وورقة رسمية بان منحتي على حساب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم وليس ضمن منح منظمة التحرير أو فتح، وتذكرة سفر إلى برلين الشرقية ورسالة إلى وزارة التربية والتعليم العالي.

(4) زياد مني: في ايار 1975 مثلث حركة فتح في مؤتمر شبيبة الحزب الاجتماعي الديمقراطي في فنلندا، والذي عقد في مدينة تامبرا. عدت إلى بيروت بعد هدوء الأوضاع عقب تشكيل سليمان فرنجية رحمه الله الحكومة العسكرية برئاسة نور الدين الرفاعي، والتقيت بابو اللطف بصفته مفوض العلاقات الخارجية حيث إن مسؤول الجهاز، ابو حاتم، كان غائبًا خارج لبنان، وقدمت له تقريرًا عن المؤتمر وكيف تمكنا من إقناع المنظمة الشبيبية الغربية بتبني مشروع الدولة الفلسطينية كمرحلة انتقالية نحو إقامة دولة فلسطين الديمقراطية

انحرافاته باتجاه ما أسماه «التضامن العربي». للأسف لم يكن منير شفيق عسل وحده بل كان معه ناجي علوش الذي يحظى بشعبية كبيرة في الحركة، وكان وقتها ينظّر لفكرة التوافق والتضامن العربي حتى مع نظام كامب ديفيد في مصر ومع النظام السعودي، وفي هذه الفترة كان معهما أبو داود والجميع ينسق مع مجموعة المجلس الثوري (أبو نضال البنا).

هذه المجموعة لم تلبث أن تبعثرت كل في اتجاه. عاد ناجي وأبو داود إلى مواقعهما بعيدًا عن الانحراف التضامني، وواصل منير شفيق عسل تقافزه الفكري البهلواني باتجاه إسلامي خميني، فيما بقي أبو نضال البنا منفردًا بتنظيمه في العراق، موغلاً باتجاه عمليات تصفية جسدية ضد رموز في منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون أن يطلق رصاصة على العدو الصهيوني، باستثناء ما أعلن عن استهداف دبلوماسي في لندن كان ذريعة اجتياح لبنان في حزيران 1982.

هذه بعض مكونات التيار الديمقراطي المنوط به التصدي لنهج التسوية والفساد والإفساد في الحركة.

| زياد منى: وماذا حدث للبقية؟.

|| **نزيه أبو نضال:** انظر مثلاً إلى مجموعة أبو خالد العملة وأبو فارس وإلياس شوفاني، وهي التي شكلت ما سمي ب«مجموعة الميه» في القطاع الغربي، فهؤلاء كانوا يشتغلون باتجاه بناء تنظيم شيوعي فلسطيني عمليًا،

العلمانية على كامل التراب الفلسطيني. كان رد المفوض: بدناش دولة ديمقراطية. بدنا دولة، وأنبني على موقفي. اجبته بانني ذهبت ممثلا لحركة فتح وليس للمنظمة، وأنا ملتزم ببرنامجها، لكنه رفض وقال إما أن تلتزم ببرنامج المنظمة أو لا تذهب في وفود حركية؛ وكانت تلك المرة الاخيرة التي أشارك فيها بوفد حركي. قبل ذلك، كنت ترجمت للأخ القائد الشهيد أبو إياد لقاء «غير معلن»، أو «دردشة» دامت نحو ثلاث ساعات، مع مندوب من المجلة الإنغليزية «الإيكونومست» على ما أذكر. من ضمن ما أكده القائد الشهيد، ردًا على أسئلة الصحفي[؟] وقتها أن الدولة العتيدة ستعترف بإسرائيل، وستمنع اي جهة فلسطينية من القيام بعمليات عسكرية ضدها، وكان ذلك في مقام الإجابة عن سؤال «الصحفي» عن موقف القيادة من محاولة اي تنظيم، وسمى «الجبهة الشعبية» تحديدًا، القيام بعمليات عسكرية. كان رد أبو إياد: سيلتزمون، اطمئن، سيلتزمون. نؤكد ذلك. لكن في حالة عدم التزامهم سنلزمهم حتى لو اضطررنا لاستخدام السلاح. وبخصوص مسالة حق العودة، قال القائد الشهيد: لن نتمكن من التخلي عن حق العودة، لكننا نعلم استحالة تنفيذه. سنقبل بعودة أعداد محدودة، لكن اغلبية الفلسطينيين لن ترغب في العودة اصلاً.

ليكون بديلاً لفتح، وقاموا بتوسيع إطارات هذا التنظيم باتجاه بناء حزب شيوعي فلسطيني، وهذه هي الرؤية التي كانوا يشتغلون على أساسها. وحين بدأ التحرك لمعالجة نتائج اجتياح لبنان عام 1982 كان هذا الجسم المنظم، هو العنصر الأقوى، الذي حقق انتفاضة فتح ضد عرفات بعد عام 83 وقادها، ومن هنا بالضبط استمد أبو خالد العملة قوته كمركز للقرار، منذ لحظة الانتفاضة الأولى، وفي ظل قيادة اثنين من أعضاء اللجنة المركزية وهما أبو صالح ثم قدري.

نحن كاتجاه مغاير في هذا التيار الفضفاض كنا نرى أن فتح حركة متنوعة، وليست حركة أحادية الفكر، وبالتالي فإن تحويل المتنوع إلى أحادي يعني اختصارها أو تقزيمها إلى مجرد شريحة حزبية صغيرة تتبنى موقفاً فكرياً أيديولوجياً، ماركسياً معيناً، فلا تعود تمثل من فتح بالتالي سوى اسمها. فتكون قد دمرت هذا الجسم الواسع المتنوع، واستبدلته بشريحة، بمعنى أنت تريد أن تدمر فتح وترث فتح بنفس الوقت لماذا؟

وحتى الذين مشوا مع أبو خالد العمله، فلأنهم فتحاويون، من قدري إلى أبو صالح، وحتى أبو موسى، وكل هؤلاء الشباب الذين كانوا معهم في مكتب «شؤون الأردن»، كفاح وجمعة ويحيى والغربي ود راجي مصلح. . إلخ. كل هؤلاء شباب فتح، وكلهم تم تدميرهم منهجيًا لأنهم أبناء فتح، فيما هم يريدون بناء التنظيم الشيوعي، هم الذين يقودون والآخرون مجرد مساعدين. يعني ركبوهم لإنجاز مرحلة، ثم تمت تصفيتهم تباعًا، وكان الأعلى صوتًا في هذا المنحى إلياس شوفاني، ولكنه بدوره صُفي في صراع مراكز القوى على يد أبو خالد العملة الذي اكتشف متأخرًا، ربما أنه عبر مجرى الصراع، يحتاج إلى مقاتلين ليدافعوا عن المخيمات، وعن الشعب الفلسطيني، وهذا الذي يمكن أن يحشد قوى تقاتل هم أبناء فتح وليس أبناء الحزب. فلا يوجد بعد من يستطيع ان ينجز هذه المهمة على مستوى شريحة حزبية، وفي الآخر لم يبقى أحد، لا حزب شيوعي، ولا فتح، مجرد مجموعة ضباط من اليرموك، على راسهم أبو خالد العملة، وأبو موسى وهم الذين شكلوا ظاهرة اسمها «الانتفاضة»، ومعهم بعض المنتفعين، والمقتنعين، والموالين.

وهكذا نرى ان فشل هذا التيار الديمقراطي الواسع، ليس لغياب برنامج

جامع لمكوناته فقط، ولكن لأنه لا يوجد أصلا تـيار ديمقراطي واحد.

| زياد مني: سألت أحد قادة التـيارات عن سبب الإخفاق، بل وحتى الكارثة التـي لحقت بها، فأجابنـي بالقول: بكل أسف الصراعات والطموحات الشخصية تقدمت على الهدف الأسمى ألا وهو تأسيس حركة فتح نظيفة.

| | **نزيه أبو نضال:** كان يوجد مجموعة تـيارات وكل منها لديه توجه مختلف عن الآخر، وبالتالي كان من المستحيل أن يتوافقوا على برنامج سياسي يتوحدون حوله في إطار تنظيم واحد. وقد تجلى ذلك بوضوح حين تمت تصفية معظم المتباينـين، ولو جزئيًا، مع أبو خالد العملة وشريحته التنظيمية، أبو صالح أولاً وقدري ثانـيًا وكوادر الغربي (د راجي مصلح، وروز مصلح وجيهان الحلو) وشؤون الأردن (كفاح وجمعة ثم يحي يخلف)، والإعلام مثل جهاد صالح ومحمود اللبدي وسفراء المنظمة مثل أبو زياد (علي فياض) وزياد منى في ألمانـيا، وقيادات من القوات مثل أبو مجدي، والتنظيم مثل أحمد الخطيب، حتى وصلت مقصلة التصفيات إلى رقبة إلياس شوفانـي نفسه وهو المتباهي بأنه أحد قاطعي رؤوس من سبقوه، وأخيرًا طار رأس أبو خالد العمله نفسه.

| زياد مني: لم يطرنـي أحد. أنا تركتهم من دون خبر، وسأعود إلى هذا لاحقًا. لكننـي أقول إن هؤلاء قدرة طردية هائلة، يطردون أي شخص يقترب منهم، ومنهم من جاء من أمريكا، مثل أحمد الخطيب. لقد تركوا كل شيء وتفرغوا ضمن مشروع الإصلاح التغييري، واكتشفوا بعد فترة، أنهم مطاردون ثم مطرودون بلا سبب، وأقرأ مذكرات إلياس شوفانـي، يقول حرصت على أن أدمر أي محاولة يقوم بها أحمد الخطيب ليعلو، لأنه رجل طموح جدًا، يريد أن يصل، وأنا اشتغلت حتى لا يصل، لماذا؟. لماذا لا يصل؟. ولماذا أحضروه؟. قالوا له: تعال نحن نريدك. فباع كل شيء وكان عنده سوبر ماركت. ثم هرب أو جرى طرده مثل غيره، والنتـيجة فتح بقيت، مع أبو عمار أو عادت إليه.

| | **نزيه أبو نضال:** بل أسوأ فتح أبو عمار بصورتها الجديدة ولكنها فتح الخالية من الدسم اليساري ومن عصب المعارضة القوي. يعنـي ما فعله هؤلاء أن اخرجوا من فتح شباب التـيار اليساري الديمقراطي بكل منوعاته، وحتى من عاد منهم بعد ذلك فقد عاد منكسرًا وفاقدًا لعنفوان المعارض

الفتحوي القديم. صارت الغلبة الساحقة للاتجاه الوظيفي، وللمنتفعين والمغلوبين على أمرهم.

لم تعد هناك ثورة[5]، انتهت. استحالت جهازًا وظيفيًا لتحقيق برنامج عرفات السياسي، وكل فعل مقاوم كان يجري بعد ذلك فمن أجل تحسين شروط التسوية.

اتحاد كتاب فلسطين وصحفييها: معارك مستمرة في صنعاء والجزائر وتزوير النصاب، انشقاق جديد

| | **نزيه أبو نضال:** بعد مغادرتنا بيروت انتقل مقر الأمانة العامة لاتحاد كتاب فلسطين إلى دمشق، وكان بقيادة يحي يخلف . . ودخل مع غيره من الاتحادات في الصراع السياسي الذي انفجر داخل فتح والساحة الفلسطينية، عام 1983، ومن هذه الاتحادات «اتحاد المرأة الفلسطينية» اللي كانت تقوده مي صايغ واتحادات المعلمين وعمال الأردن . . إلخ.

في ظل هذه الصراعات دعا عرفات إلى عقد مؤتمر عام لكتاب فلسطين في صنعاء لانتزاع الشرعية من أمانة الاتحاد في دمشق، وهكذا تمت محاولة شق الاتحاد عام 1984 حيث قاطعته الأمانة العامة وعدد من الفروع، من بينها أكبر فروع الاتحاد في لبنان وسوريا والكويت، وقد حضر هذا المؤتمر عدد من أعضاء الاتحاد لم يتمكنوا من استكمال النصاب القانوني إلا تزويرًا وفشل بانتزاع الشرعية من الأمانة العامة في دمشق، حيث لم يشارك سوى خمسة من الأمانة العامة هم: بلال الحسن، غانم زريقات، حسن الكاشف، زياد عبد الفتاح، أحمد عبد الرحمن. فيما غاب عنه ثمانية بمن فيهم الرئيس أبو سلمى، وكان متوفى، والأمين العام يحي يخلف إلى جانب: رشاد أبو شاور، بسام أبو شريف، فايز قنديل، ناجي العلي، عبد العزيز السيد، ومحمود درويش الذي انتخب غيابيًا لموقع الرئيس.

(5) زياد منى: في ظني لم يكن هناك يومًا ثورة. في الأردن، في بداية «العمل الفدائي» في فلسطين المحتلة وفي سورية وفي لبنان كان هناك «مشروع ثورة». ثم بعد الخروج صار هناك «أكذوبة فلسطينية» اسمها «ثورة» تنمو في داخل بقايا «مشروع الثورة» نموًا متسرطنًا. في نهاية المطاف قضى هذا التورم السرطاني على المشروع الذي انخرطنا فيه وقتها، والأمل في تمكننا من التغيير وفي تحرير الوطن المغتصب وإقامة مجتمع عربي حر. هذا المشروع تآمر عليه حكام العرب، بدرجات متفاوتة، وغدر به كثيرًا من الخارج ومن الداخل. في لبنان، بعد «الخروج» من الأردن كان هناك اكذوبة فلسطينية اسمها ثورة. لكن ما منح تلك «الأكذوبة» هالة قدسية، ولو لحين، الموت اليومي، في معارك مع العدو الصهيوني وحلفائه.

وفي ظل الحرب على المخيمات في بيروت جرت المحاولة الثانـية لعقد مؤتمر للاتحاد في الجزائر عام 1987 وقد نجحت قيادة عرفات باستمالة بعض الفصائل وأعضاء الأمانة العامة إلى المؤتمر، مثل الجبهة الشعبية ويحي يخلف ورشاد أبو شاور. وحين تمت الدعوة إلى عقد مؤتمر الجزائر قاطعته معظم الفروع وعدد من أعضاء الأمانة العامة الذين طالبوا بتأجيل عقده حتى يتسنى انعقاده وفق الأسس واللوائح التـي ينص عليها النظام الداخلي: إما بإجراء انتخابات في الفروع لاختـيار ممثليها بصورة شرعية وقد رفض الداعون إلى المؤتمر الاستجابة لذلك، أو عقده استثنائيا بمن حضر مؤتمر البوريفاج في بيروت، ورفض هذا العرض كذلك. بل سارعت مجموعة شكلها عرفات كسكرتارية لمتابعة تنفيذ عقد المؤتمر من أحمد عبد الرحمن، يحيى يخلف، حكم بلعاوي، بسام أبو شريف، جميل هلال، وبالتعاون مع محمود درويش.

هذه المجموعة أطلقت على نفسها اسم «اللجنة التحضيرية» واختارت من شاءت لعضوية مؤتمر الجزائر، ومن دون أي التزام باللوائح والقوانـين، حيث دعت إلى عقد المؤتمر من 02/6 - 1987/02/8.

وفي محاولة منا لتدارك الأمر وبحكم الترتـيب الفصائلي لعقد المؤتمر شكلنا وفدًا لمقابلة جورج حبش، وكنت أنا وناجي علوش في عداد الوفد فحدثناه عن ضرورة الالتزام بالقوانـين الملزمة في عقد المؤتمر وفي كيفية اختـيار أعضائه وسألت جورج حبش: من أعطى لجنة شكلها عرفات حق تسمية أعضاء المؤتمر خارج اللوائح والقوانـين، وسأحدد لك مثالاً بنفسي أنا رئيس فرع لبنان منذ العام 1974 إلى الآن لأنه لم تجري انتخابات لفرع لبنان. فما رأيك أن لجنة عرفات التحضيرية كانت تستطيع شطبي من عضوية المؤتمر، ولكنها لم تفعل غير أنها شطبت آخرين.

قلنا له: لماذا لا تتم انتخابات جديدة للفروع أو يعقد المؤتمر استثنائيًا بمن حضر مؤتمر البوريفاج.

| زياد منى: فماذا كان رد الحكيم؟.

| | **نزيه أبو نضال:** قال بحزن: ولكن لا تنس شلالات الدم في مخيمات بيروت!.

نظرت إليه باستغراب غير مصدق! فما علاقة دم المخيمات بالانتخابات؟!.

قلت له: إذا كانت مخالفة أنظمة اتحاد الكتاب تنقذ المخيمات فأنا موافق!!.

ثم غادرناه مذهولين.

وقد أثارت تلك الدعوة لعقد مؤتمر الجزائر ردود فعل متنوعة كان من

أبرزها البيانات الغاضبة التي أصدرناها بالتنسيق مع عبد العزيز السيد ود كمال الخالدي باسم الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في فروع لبنان والكويت وسورية والذي تضمنت ما نصه: إن أقل ما يقال عن اتفاق الجزائر أنه عملية «فبركة» سياسية وتنظيمية قام بها بعض الأطراف والأشخاص لحسابات سياسية وشخصية، ولا علاقة لها بالوحدة الحقيقية للاتحاد كما يريدها كتاب ومثقفو فلسطين: «وحدة تقوم على أساس الثوابت الوطنية وعلى أساس دستور الاتحاد ونظامه الداخلي».

* * *

ثم نمضي نقاوم على كل الجبهات بما يشبه العبث، ومن دون جدوى . . فقد ضاع كل شيء: الثورة التي كانت، طارت إلى أوسلو ونحرت في المقاطعة، ومن انتفض انطفأ قبل صياح الديك، وما تبقى تائه لا زال يبحث عن السؤال.

ثم ماذا بعد؟.

ها أنا أخيرًا في دمشق، وكأنني وصلتها للتو بعد الهزيمة. هزمتنا في كل الشهور وفي كل السنوات، أحمل بعض زاد التجربة، ولكنني لا أجد من أسأله عن عنوان من سيبدأ من جديد:

أتلفت حولي لا أرى أحدًا
ورفاق دربي قد غدو بددًا
وقد تساوت العواصم والخيل
وبات من يرى كمثل من به رمدٌ
فشددت الرحال إلى عمان
وقد ضيعت من استشهد ومن ضحّى ومن شهد
وأظل احضن ما مضى غير أني لا أرى غدًا
فهل من فتىً طالع قد تبرعم بالندى
كفه قد غدت كتابًا وكف يقدح الزند
يقرأ ذاكرة خيبتنا فيفهم المغزى المراد
ويمضي للأمام واثقًا بما وجد.

أتلفت حولي فلا أرى أحدًا من رفاق الطريق . . والمدن كلها صارت متشابهة، وتساوى العميان بالمبصرين . .

أشد رحالي إلى عمان، وقد ضيعت أصدقائي جميعًا،
من غرَّبته الدنـيا، ومن استشهد، ومن مازال على خطه.
أحصّن، ما استطعت، ذكرياتـي، وأفقد شيئًا فشيئًا بوصلة الغد.
وأحلم، مثلما فعلنا دائمًا، بجيل أنقى . .
يستفيد من هزائمنا، ويعجن غبنه بالإيمان
ليطهو صباحنا الجديد . .

الجزء الثاني:
زياد منى يتحدث:
من «مشروع الثورة»
إلى «أكذوبة فلسطينية»،
من تجربتي، وملاحظات على
أحداث عايشتها

تقديم

تعليقاتي الواردة في هذه الجزء وكذلك تلك التي ذكرتها في الجزء السابق ليس المقصود بها التأريخ لحركة فتح، وإنما هي محاولة لنقل صورة مكثفة للأوضاع التي كانت سائدة فيها في المرحلة التي عملت ضمن صفوفها متفرغًا أولاً في «الإعلام المركزي» بعمان، ثم في مكتب «العلاقات الخارجية» في بيروت، مع فترة قصيرة امتدت فترة ستة أشهر، كنت فيها نائبًا لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في برلين «الشرقية».

الهدف من نشر هذا الكتاب إعلام القراء وكذلك الأجيال الجديدة من شعبنا الصابر بالأوضاع كما كانت، ومساعدتهم بالتالي في إدراك أسباب الهزائم المستمرة للحركة الوطنية الفلسطينية، بعيدًا عن الغوغاء الإعلامية المحيطة بتاريخها، وحملات التضليل المنسقة التي تقودها قيادة الهزائم والاستسلام في رام الله وأتباعها في مختلف بقاع الأرض، تساعدهم في ذلك حملة تضليل لإعلام التكفيريين[1].

القصد ليس التشهير ولا الإساءة إلى أشخاص محددين، وإنما كشف عقلية سائدة قادتنا إلى ما نحن فيه من ضياع، وفضحها، بعيدًا من الإيماء والإيحاء، بل عبر تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية.

(1) تبين لي من تجربتي أن كثير من المسؤولين كانوا يريدون شهداء. في نظرهم كانت هذه «الثورة» مشروع موت [ومجاني في احيان كثيرة]. من منظورهم: الموت اليومي دليل وجود «كفاح مسلح». لم يكن مهمًا الثمن. شيء مؤسف ومحزن عندما يتذكر المرء عدد الناس الذين سقطوا على هذا النحو مجانًا.

لقد أنهى الأخ العزيز نزيه أبو نضال عمله في الكتاب، قبيل اندلاع الربيع العربي في شتاء عام 2011/2010، وكذلك كانت تعليقاتـي، ولذا فإنه لا يأخذها في الاعتبار.

كما اغتنم هذه الفرصة لدعوة الأخوة من قيادات حركة فتح السابقين، اليساريين حقًا، إلى تزويدنا بأي تصويبات لأخطاء قد أكون ارتكبتها عن غير دراية. كما أرحب بأي مخطوطات شبيهة للنشر.

نهاية، أود التشديد على أنني أتحمل وحدي مسؤولية كلماتـي في هذا الكتاب.

دمشق في 2011/02/20

التفرغ في حركة فتح

عندما حضرتُ إلى عمان، كان معي مبلغٌ من المال أعطاني إياه والدي، ولم أكن في حاجة إليه، سوى ربما لابتياع «كماليات»، مثل الحلو وما إلى ذلك. احتفظت بجزء كبير منه واستمتعت!! ببعضه بعد خروجي من المعتقل في الأردن. فقد كان كل ما نحتاج إليه متوافرًا في مقر العمل. فالنوم والأكل واللباس «العسكري» مجاني[2]. كنت أحصل على دينار أو اثنين شهريًا من مقر عملي في «الإعلام المركزي»، مصاريف جيب للذهاب مرات إلى السينما أو لتناول وجبة «دسمة». الأحوال بعد أيلول تغيرت قليلاً، فطلبت من أبو اللطف تفريغي في «الإعلام المركزي» لكنه رفض لأسباب أجهلها (إن كان هناك منطق أصلاً). وقتها كان الجانب المالي في عملي مرتبطًا بالمالية المركزية، وبفؤاد الشوبكي تحديدًا. سألني عن سبب عدم تحصيلي أي مخصص شهري كما يسمى في الحركة، فأبلغته برد أبو لطف على طلبي، فما كان منه إلا أن أصدر قرارًا بتفريغي بمخصص شهري مقداره خمسة دنانير أردنية شهريًا (20 دولار أمريكي) وأخذ التوقيع من أحد أعضاء القيادة وأظنه كان الشهيد ماجد أبو شرار.

أعان الله الأخ فؤاد الشوبكي على المعتقل الصهيوني، وفك أسره.

للتوضيح، عملتُ أنا أولاً في مكتب «التعبئة والتنظيم» الذي كان بإشراف الأخ الراحل أبو هشام (السعودية) كما كان يعرف، ثم حولني إلى «الإعلام المركزي» في جبل الحسين حيث عملت أولاً مساعدًا لمنير شفيق عسل (أبو فادي) والدكتور حنا ميخائيل (أبو عمر) وكانا يديران (العلاقات العامة)، وكان عملي مركزًا على إرسال دوريات فتح وإصداراتها إلى الأقاليم، ومن خلال عملي هذا تشرفت بالتعرف إلى أخوة مناضلين كبار منهم الشهيد الكبير محمود الهمشري ممثل الحركة في فرنسة والشهيد وائل زعيتر في رومة

(2) للتذكير فحسب، كان في عمان مركز نقاهة للجرحى في جبل اللويبدة على ما أذكر. كانت مكانًا راقيًا وفي غاية النظافة والترتيب، يعالج فيه الجرحى من كافة التنظيمات، ويديرها أطباء فلسطينيون وعرب خصوصًا من مصر، وغير عرب فرنسيون وألمان ونمساويون، متضامنون يعملون مجانًا. على ما أذكر كانت إحدى مفاخر «فتح» وكنا نسعد برافقة «سواح الثورة» الأوربيين اليساريين والجواسيس الذين كانوا يتدفقون على الأردن للمعايشة الثورية في ميدان المعركة. على ما أذكر كان يمنع على اي كان الدخول إليه بالسلاح. أخي أبو نضال، لقد كانت تلك أيام عز ونضال حقيقي تحت مظلة البراءة الثورية. كانت مرحلة مفخرة للشعب الفلسطيني ونضاله لذا فإني أؤكد ان قراري التفرغ في حركة فتح كان صحيحاً في وقتها لكن القرار الأكثر صحة منه كان تركها في الوقت الذي أخذته.

والأخ كعوش في الولايات المتحدة (في سان فرنسيسكو على ما أذكر) وغيرهم. كان اتصالنا مع كافة الأقاليم ما منحني فرصة توسيع دائرة المعارف على نحو كبير. بعدها انتقلت إلى قسم «الإعلام الخارجي» الذي كان بإدارة العزيز وديع أبو سعدة، وهو من الأخوة القليلين الذين بقوا من تلك المرحلة النضالية والمشرقة في تاريخ نضالنا، وكذلك الشهيد أبو خالد (جورج شفيق عسل)، وكانت مهمتنا مرافقة الصحفيين والزوار الأجانب، من ثوريين أوربيين وجواسيس، إلى مختلف المواقع العلنية واللقاء مع شعبنا والترجمة لهم، في المخيمات و«دار النقاهة» وكذلك إيصالهم للقيادات، مع أن القسم الاكبر منهم كان مقره «الإعلام المركزي». هناك كان مقر القيادات من مختلف الصفوف، كل من الشهيد كمال العدوان والشهيد ماجد أبو شرار والشهيد حنا مقبل، وكذلك محمد أبو ميزر (أبو حاتم) وناجي علوش ونزيه أبو نضال وسلوى العمد وغيرهم. كان مقرًا شبه دائم لكل من القائد العام الذي التقيته هناك للمرة الأولى وكذلك فاروق القدومي وغيرهم. كنا وقتها ننام في المركز على فرش اسفنجية ونعد ذلك طبيعيًا للغاية. أذكر أن أبو اللطف كان في المركز عندما وصلنا خبر تفجير الجبهة الشعبية الطائرات التي اختطفتها إلى «مطار الثورة»، فدخلنا عليه الغرفة فوجدناه قد افترش الأرض الاسمنتية نائمًا على غطاء بسيط. أقول هذا للتذكير حيث إنني لم أر مثيلاً لهذه الأوضاع في لبنان بعد الخروج من الأردن، إلا في قواعد الجنوب برفقة القائد العسكري الكبير أبو موسى.

أبو موسى مراغة، من هو؟

أبو موسى، قائد قوات العاصفة في جنوب لبنان والقائد العسكري الأسطوري لم يكن بمقدوره منع التجاوزات هناك بسبب ارتباط المتعدين بالقائد العام مباشرة أو بآخرين على شاكلة أبو الزعيم وغيره. الحق أن أبو موسى كان يمنع، ما استطاع، تلك التعديات على البشر والحسينيات وغيرها، إلا أن مجال تأثيره كان محدودًا. كما أنه لم يتمكن من منع عمليات النهب الواسعة النطاق التي جرت في الدامور والجية عقب طرد قوات الكتائب منها، والتي اتت ردًا على تدمير مخيم تل الزعتر والتطهير العرقي الذي أعقبه، والجرائم التي ارتبكتها القوات المهاجمة بحق أهله من المدنيين، وخصوصًا بحق النساء

والفتيات. والقيادة لم تكترث بعمليات النهب الواسعة التي مارستها عناصر منفلتة تابعة لها، في المتن (ترشيش، عينطورة، وغيرهما) بعد تمكن القوات المشتركة بقيادة أبو خالد العملة من طرد قوات الانعزاليين منها.

صفات القائد وتميزه من «كمالة العدد»

ثمة بعض الأمور يجب أن تقال لأنها تساهم في استكمال تكوين صورة شاملة للأوضاع التي سادت في الحركة والتي كان من غير الممكن أن تقودنا سوى إلى الهزائم والكوراث الوطنية. كما يهمني ذكر بعض الأحداث التي عايشتها شخصيًا وتظهر نفسية بعض من أطلقت عليهم صفة «كمالة عدد».

عندما عينت نائبًا لمدير مكتب المنظمة في برلين الشرقية، قال لي مفوض العلاقات الخارجية فاروق القدومي إنه سيوقف مخصصي الشهري في «مكتب العلاقات الخارجية». لم أكترث للأمر ولم يتمكن من وقفه، علمًا بأن كثيرًا من العاملين في الدائرة السياسية التي أغلقها أخيرًا رفيق دربه محمود عباس، اتهموه بأنه حولها إلى مكتب لتوظيف عائلته وحمولته وأبناء قريته (كفر قدوم). احتجت يومًا ما إلى مبلغ متواضع من المال لأسدد بعض الديون الشخصية، ولم يتمكن أبو حاتم من مساعدتي في الأمر. ولما لم يكن ثمة أي أمل في أن يقوم مفوض العلاقات الخارجية بالمساعدة توجهت إلى مكتب الأخ القائد الكبير الشهيد أبو جهاد الواقع في مبنى «الإطفائية» وطلبت من مدير الإدارة مقابلته، فاستقبلني على الفور مع أن قاعة الانتظار كانت تغص بعشرات الأشخاص، أنا الكادر اليساري المشكك في القيادي اليميني!. قلت له إني أطلب مساعدته الشخصية وشرحت له وضعي، فما كان منه إلا أن أمسك الدفتر المروس والقلم وسألني: هل يكفي هذا . . وذكر مبلغًا أضعاف ما كنت أنوي طلبه. لما رأى الدهشة في عيني ظانًا أني أرفضه لقِلّته، سألني من دون تردد أو تعقيب عن المبلغ المطلوب وقال: «اكتب المبلغ المطلوب»، وأزاح الدفتر المروس والقلم نحوي. أجبته: لا، كل ما أطلبه مبلغ سبعة الاف ل ل، لا أكثر. نظر إلي بصمت لفترة ظننتها دهرًا، ثم كتب تعليماته بالخصوص للمالية المركزية. شكرته وغادرت المكتب.

هنا يتميز القائد من الطارئ على القيادة.

بالمناسبة، القائد الكبير الشهيد دعاني أكثر من مرة مباشرة للانضمام إلى «القطاع الغربي»، نقل لي احدها نبيل أبو ردينة، لكنني كنت أتملص من

ذلك، مع أنـي كنت أعد ذلك أقصى درجات التكريم لأن العاملين فيه يحظون بأقصى درجات الثقة كونهم يتعاملون مع وسط يحاصره العدو ويتطلب بالتالي ثقة لامتناهية بالمكلف. سبب عدم استجابتـي هو عدم موافقتـي على الخط السياسي وقناعتـي بأنه من غير الصحيح إرسال عناصر لموت محتوم أو لاعتقال أبدي، من أجل التصالح مع العدو على أساس التنازل عن فلسطين لصالح سلطة مهترأة.

القشة التـي قصمت ظهر البعير

ثمة حادثة حصلت في بيروت يمكن القول أنها شكلت «القشة التـي قصمت ظهر البعير» كما يقال، وقررت إثرها أن لا عودة عن قراري ترك حركة فتح! أصح: حركات/فتحات. في أعقاب سقوط الكرنتـينا وانتشار ما رافق ذلك من مجازر بشعة ارتكبتها قوات الكتائب وحلفائها بحق مدنـيين سوريين ولبنانـيين وكُرد وفلسطينـيين فقراء، اندلعت موجة «قتل على الهوية» في بيروت الغربية. ذلك الانفجار البدائي غير المسوغ لم يكن مبرمجًا إطلاقًا وإنما ردة فعل نفذها بعض «قبضايات الشوارع» في بيروت الغربية وفي فتح حيث انتشرت حملة قتل مسيحيين فلسطينـيين ولبنانـيين، وشارك فيها بعض عناصر «الثورة الفلسطينـية». وقد نقلت إلينا الأخت أم ناصر، سكرتـيرة القائد العام وقتها، ما رأت بعينـيها من ذبح، وكان تبكي بحرقة. عندما سمع أبو حاتم بالأمر طلب منـي حمل الكلاشن، ولم أكن أحمل سلاحًا إطلاقًا، ومرافقة مي الصايغ من مقر اتحاد المرأة، القريب، إلى «مكتب العلاقات الخارجية». توجهت إلى المكتب وطلبت من الأخت العزيزة مي التـي كانت تحضر وقتها اجتماعًا، مرافقتـي إلى «العلاقات الخارجية» من دون أي تأخير. ترددت في أول الأمر وأصرت على معرفة السبب وتساءلت عن سبب حملي سلاحًا رشاشًا. كان معها وقتها الأخت العزيزة والمناضلة الكبيرة جيهان حلو (أم عمر) والأخت ليلى خالد. يبدو أن الأخت جيهان أدركت الأمر فقالت: أنا باجي معكم. وقالت ليلى خالد: وأنا كمان. فقط مي صايغ أصرت على معرفة سبب ذلك فاضطررت لإبلاغها، وأنا مطأطئ الرأس: يللا، عم بيدبحوا المسيحية.

وقتها ادركت انه من غير الممكن الاستمرار في هكذا «ثورة»!!.

بادرة حسن نـية من قيادة المنظمة تجاه بيغن

عندما فاز القاتل مناحيم بيغن بانتخابات الكنـيست عام 1977، أتذكر أن مكتب الأمن المركزي الذي كان برآسة هايل عبد الحميد (أبو الهول) رحمه الله، اتصل بنا في العلاقات الخارجية طالبًا لقاءً طارئًا مع مسؤول الجهاز أبو حاتم. توجهت مع الأخ أبو حاتم إلى مقر الراحل ففاجأنا بالقول إنه يود التنسيق معنا بخصوص حماية المكتب لأن اللجنة المركزية للحركة قررت إطلاق سراح مجموعة من جواسيس العدو محكومين بالإعدام كبادرة حسن نـية تجاه بيغن لتشجيعه على الاستجابة «للسلام». لم يكن من الممكن تصديق الخبر، لولا أنه صدر عن عضو لجنة مركزية ومسؤول عن الأمن المركزي. بالمناسبة، رفض أبو حاتم أي تنسيق بالخصوص، لكنه طلب من الأخ الراحل تزويدنا بصور الجواسيس المطلق سراحهم حتى نضعها على باب المكتب.

قيادة فتح تتعلم من ثورات العالم، جميعها!

كان أبو حاتم اقترح قيام «العلاقات الخارجية» بعقد لقاءات مع كل من أعضاء اللجنة المركزية على انفراد. فعلاً بدأنا بذلك وكان من بينها لقاء مع الأخ أبو الهول في مقره. تحدث الأخ هايل مطولاً عن عمل الجهاز وما توفق فيه وعن كيفية عملهم. وقتها سأله الراحل العزيز جورج شفيق عسل عن صحة ما يقال عن استخدام الأمن المركزي للتعذيب. أبو الهول لم ينف ذلك بل وذكرنا بأن الفيتناميين والصينـيين استخدموا التعذيب. قلنا وقتها: درس جديد من الرفاق الثوار الفيتناميين. الثورة العتـيدة تعلمت من كل ثورات العالم: من الثورة البلشفية أخذت درس «صلح برست لتوفسك»، ومن لينـين أناقته ولبس ربطة العنق مع بدلة من ثلاث قطع، ومن الثورة الكوبية عدم وجود تنظيم، ومن الثورة الجزائرية التصفيات الداخلية، ومن الثورة الصينـية التحالف مع الكومنتانغ، ومن الثورة الفيتنامية محادثات باريس، وأخيرًا التعذيب. أما ثورة!!.

عندما استقال أبو عمار من حركة فتح

في أحد الايام كنت جالسًا مع أبو حاتم في المكتب فسمعنا صوت إطلاق كثيف في المنطقة. بعد الاستفسار سمعنا أن قوات الـ17 بقيادة أبو حسن سلامة هاجمت مكتب المالية واستولت على ما فيه، وأن فؤاد الشوبكي فر إلى

الأخ أبو الهول الذي كان يتعافى في مشفى بيروت بمنطقة الجناح من عملية في ركبته، وأن قوات الـ17 تحاصر المبنى وأنه وقع بعض الضحايا من القوات المهاجمة ومن المدافعين من حراسات مفوض الأمن المركزي هايل عبد الحميد الذي منح مسؤول المالية حمايته. عندما هدأ الوضع زرنا المفوض الشهيد في المشفى للاطمئنان. تبين أن القصة وما فيها أن فؤاد الشوبكي رفض صرف ميزانية مكتب الـ17 (أسميته: الحرس الإمبراطوري، أو بحسب وصف الأخ أبو صالح، رحمه الله «قوات البادية الفلسطينية») الشهرية قبل تسلم فواتير الشهر السابق، وهو الأمر المعتاد. فما كان من مسؤول مكتب القائد العام وقائد قوات الـ17 (علي حسن سلامة) إلا أن أرسل قواته لاعتقال فؤاد الشوبكي وأخذ ميزانية الجهاز بقوة السلاح. عندما تطور الأمر إلى حد الاشتباك المسلح وبدأ ضحايا في السقوط، اتصل بعض الأخوة بالقائد العام طالبين منه أمر أبو حسن سلامة بوقف هذه التصرفات، فما كان منه إلا أن أجابهم: أنا مش فتح. أنا استقلت من فتح. أنا رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير؛ دبروا راسكم معو.

الهدف واضح وهو استعراض قوته في وجه من يفكر في التصدي له، حتى لو كان رفيقه في اللجنة المركزية للحركة.

عندما رأيت محمود عباس للمرة الأولى!

إبان حرب السنتين، وخلال فترة الأزمة مع سورية كنت نائمًا في الشقة عندما وصلتني مكالمة من الأخت أم ناصر سكرتيرة القائد العام تبلغني فيها أمر القائد العام بالحضور إلى بيته. لم أشعر بالتفاؤل، ولا أحب استدعاءات منتصف الليل، لكن لم يكن ثمة من مفر، فذهبت بسيارة القائد العام التي أرسلت لإحضاري إلى بيته الذي لم أكن أعرفه، وكنت وقتها أتحسس عنقي. عندما دخلت الشقة وكان بابها يفضي إلى قاعة كبيرة رأيت القائد العام واقفًا أمام شخصين جالسين قبالته على كرسيين مطأطئي الرأس وراحتاهما على ركبتهما، كتلاميذ المدارس المذنبين. كان أحدهما أبو ماهر غنيم الذي أعرفه من عمان حيث كان مسؤول «الإدارة العامة»، أما الآخر فكان محمود عباس بعينه، وعرفته من شعره الشائب. أخيرًا، بعد مرور سنوات على تفرغي في حركة فتح تعرفت إلى أحد أعضاء لجنتها المركزية. كان القائد يصرخ فيهما أحيانًا ويتحدث بهدوء أحيانًا أخرى، مستخدمًا الشتائم المعهودة (من الزنار

فما تحته). انتظرت حتى رحب بي القائد العام وأشار إلي بالدخول إلى غرفة مجاورة. عندها فقط توقفت عن تحسس عنقي لأن القائد العام كان مشغولاً بأعناق غيري. المهمة التي أرادني القائد العام لها كانت مرافقة وفد من رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حضر في مهمة سرية للتوسط بين القيادتين الفلسطينية والسورية. وفعلاً بقيت مع الوفد نحو ثلاثة أيام وبرفقته وصلت إلى المختارة حيث التقيت للمرة الأولى، والأخيرة، القائد الأسطورة كمال جنبلاط. بعد ثلاثة أيام أوصلتهم إلى رويسات صوفر حيث تسلمتهم القوات السورية المرابطة هناك.

إضراب إجباري عن الطعام

خلال إقامتي القصيرة في سجن المرحوم راسم الغول، حصل مرة أن أحضرت عاملة التنظيف لي صحن الطعام، فلم أقربه لتقززي من رائحته. عندما عادت لأخذه ورأت أني لم ألمسه صرخت: يا لهوي، السجين السياسي أضرب عن الأكل!!. انقض «الثوار» في المكتب على الزنزانة يهددون ويتوعدون، لكن لم يكن بإمكاني التراجع عن كلام عاملة النظافة، فقررت المضي قدمًا فيه حتى لا يساء فهمه على أنه ضعف. جاءني راسم الغول وأبلغني بأن القائد العام شديد الغضب من الإضراب وأنه يهدد ويتوعد. لكن من دون فائدة. لم يكن بإمكاني التراجع عن الإضراب الذي زجتني فيه العاملة. معظم الأصدقاء زاروني في المعتقل أذكر منهم مي الصايغ والأخ العزيز وديع وأبو عيسى ود سليمان البرقاوي وشقيقه د عبد الرحمن البرقاوي الذين نصحوني جميعهم بإنهاء الإضراب كي أحتفظ بقواي للمواجهة. كما زارني الأخ العزيز نبيل أبو ردينة وكمال الشيخ وكثر لا أعرفهم جاءوا للتضامن معي، وآخرون فقط «للتفرج» على «السجين السياسي».

موقفي من «الانتفاضة» عام 1983

يهمني الآن شرح موقفي من «انتفاضة» فتح. عندما حصل ما حصل، وكنت وقتها في ألمانيا الشرقية بانتظار تحديد موعد «الدفوع» عن رسالة الدكتوراه بدأت بالاتصال ببعض الأخوة الموثوقين لمعرفة ما يجري ومنهم أبو حاتم ووديع وعاطف أبو بكر ومريد البرغوثي وحكمت زيد وقدري. كنت وصلت عام 1976 إلى قناعة بأنه لم تعد هناك من فائدة وأن الوقت متأخر

للغاية لإصلاح حركة فتح، وأن الساحة الفلسطينية غير قابلة للإصلاح. لكن الإخوة ممن كانوا يعدون من كوادر التيارات الديمقراطية، كانوا يدعونني باستمرار ل«الانضمام»، ويصورون وضع «الانتفاضة» على نحو وردي. كنت أرفض ذلك من منطلق أن أي تحرك ل«تنظيف» فتح لا يمكن أن يضم بعض رموز الفساد فيها، وأنها لا يمكن أن تكون معارضة للتسوية إذا كان واجهتها الأخ أبو صالح الذي كان من رموز التسوية اليساريين، لكنني واظبت على الاتصال بهم هاتفيًا في دمشق وفي خارج سورية. رأي الأخوة في دمشق كان: لنعطهم فرصة، ومعظمهم من الرموز الوطنية المعروفة غير المشكوك في نزاهتها. هكذا كان الرد.

في هذا الوقت اتصلت بي وكر التجسس على الفلسطينيين في برلين، المسمى سفارة فلسطين، وطلب مني الحضور إلى المكتب لإعلان تأييدي للقائد العام ضد «الانتفاضة». أبلغت مدير المكتب بأنني لم أنضم إليها ولكنني أتعاطف مع مطالبهم [أجابني بأنه هو أيضًا متعاطف مع المطالب، وكل فتح تريد ذلك، حتى أبو عمار مع المطالب!!]. أصر على حضوري [لتأدية فروض الطاعة والولاء للقائد العام] فأعلمته بقراري النهائي وهو الرفض. انقطع الاتصال بيننا ولم يُستعد، إلا على نحو مقتضب ومحدود، عندما اتصلت به لتقديم تعازي في استشهاد القائد الكبير أبو جهاد.

بعدها عندما توجهت إلى قسم المالية التابع للجامعة لتسلم منحتي الشهرية، أبلغوني بأن سفارة فلسطين، أبلغت الحكومة الألمانية سحب البعثة مني وطلب ترحيلي إلى تونس بناءً على أوامر القائد العام. وزارة التعليم العالي الألمانية طلبت منهم التريث بضعة أسابيع حتى أدافع عن رسالة الدكتوراة، لكن مدير المكتب رفض وأصر على طلبه. وزارة التعليم الألمانية الشرقية أبلغت الجامعة إلغاء بعثتي، لكن عميد الجامعة البرفسور رائمان، وكانت تربطني به علاقة طيبة، رفض قرار الوزارة واستخدم سلطاته للسماح لي بالدفاع عن الدكتوراه الذي تحدد موعده بعد قرابة الشهرين من ذلك التاريخ، لكنهم أبلغوني أنه لم يتمكن من مواصلة دفع المنحة الشهرية لأسباب تقنية خارجة عن إرادته. قبلت بذلك الحل كي لا يضيع جهدي الأكاديمي. الشرطة أبلغتني بأنها سترحلني إلى تونس، لكنها تخلت عن ذلك لأسباب لا أعرفها [لكن ربما ما كان من أسباب تليين موقفهم مني اني كنت في منصب نائب مدير مكتب منظمة التحرير في برلين في عام

1975، الذي أنهاه رئيس الدائرة السياسية بطردي من الموقع عمليًا عبر تعيينه شخصًا بديلاً أتوا به من الجزائر ومن دون أن يكلف نفسه مشقة إبلاغي بالأمر أو بسبب مغادرتي الموقع].

على أي حال، في نهاية المطاف اتصلت بالأخ قدري وأبلغته رغبتي الحضور إلى دمشق وطلبت منه توفير وثيقة سفر لي لأنني لا أملك واحدة وتسهيل دخولي إلى سورية التي لم تطأ قدمي أرضها الطيبة منذ عام 1971. وعندما حضرت والتقيته، وكانت معرفتي به محدودة للغاية بحكم عمله في سورية، ولم نكن نلتقي إلا عندما كان يأتي إلى بيروت لحضور اجتماعات المجلس الثوري، تبينت لي صحة مخاوفي، لكنني قررت الاستمرار إلى حين. التقيت بعدها أبو صالح وأبو موسى وأبو خالد العملة وأبو مجدي وواصف عريقات وغيرهم من قادة الانتفاضة. كانت كلمتي الأولى للأخ أبو موسى وأبو خالد العملة: عملتوها أخيرًا!. الله يعطيكم العافية، لكن تأخرتم كثيرًا.

مع أبو موسى قبل النهاية البائسة

عندما احتدمت الأمور داخل «الانتفاضة» العتيدة، زارني الأخ الكبير أبو موسى في مكتب «العلاقات الخارجية» الذي كان يقع في منطقة التجارة بدمشق. كانت العلاقات بين مختلف الأطراف وصلت وقتها إلى نقطة اللاعودة. يبدو أن هدف الأخ أبو موسى كان إقناعي بالسير معه، وقد ربطتني به علاقة خاصة حيث بقيت معه طوال فترة إقامته في المشفى الحكومي في برلين عندما كان يعالج من آثار محاولة الاغتيال التي تعرض لها في صيدا. تحدث مطولاً عن الأوضاع وأنا أستمع له استماع كادر لقائد يحظى باحترامي الشديد وبالمعزة الخاصة، ولكنه يشعر بتغرب كامل في هذا الوسط. أخبرته بموقفي وبالنهاية المأساوية التي ستنتهي إليها الحركة. لم يستمع لرأيي فأنهى الحديث بالقول: هل تتذكر عندما كنا في ألمانيا! توجهت وقتها إلى بولونيا، وعندما عدت سألتك عن الأحوال هناك، أجبتني: غريب أنها لم تشهد ثورة بعد. وعندما حدث ما حدث فيها، تذكرتك وقلت في نفسي: والله إنه يمتلك بعد نظر!، واستطرد، لماذا فقدت بعد النظر ذاك!؟. أجبته بكل أدب: أخ أبو موسى، سنرى.

وها نحن نرى.

نعم، ذهبت إلى تونس عام 1990

عندما بدأ المعسكر الاشتراكي في الانهيار وسقط حائط برلين، وكنت في المدينة المقيم فيها منذ نحو عشرة أعوام، بدأت المخابرات الغربية بالتسلل إليها، بل وسرت إشاعة أنها بدأت ب«اختطاف» مناضلين فلسطينيين مقيمين في شطر المدينة الشرقي. انتابني القلق من إمكانية قيام قيادة المنظمة في تونس بتلفيق تهمة لي ونقلها إلى المخابرات الألمانية الغربية، كما فعلت من قبل ومن بعد مع كثير من المناضلين الفلسطينيين والعرب وغير العرب، خصوصًا أن الوكر، المسمى سفارة، كان شغله الشاغل تقديم الطلب تلو الآخر إلى السلطات الألمانية لترحيلي من البلاد. في ذلك الوقت اتصل بي قسم إقامة الأجانب التابع لشرطة ألمانيا الشرقية (المتحللة والآيلة إلى السقوط) وأبلغني أنه في حال تقدمي بطلب تحصيل التبعية الألمانية، فإن السلطات ستعامله بإيجابية [علمت أنهم أبلغوا كل الأجانب المقيمين بالأمر ذاته]. قررت الانتظار حتى تنجلي الأمور في البلاد ثم قررت التقدم فعلاً بالطلب وفي الوقت نفسه المغادرة، ولم يكن أمامي سوى تونس مقرًا. اتصلت بالأخ أبو داود وأبلغته بمخاوفي فأبلغني باستعداده للمساعدة وفعلاً كتبت رسالة للقائد العام حملها له القائد الراحل وجاءني برسالة موافقة أبو عمار وإصداره أوامر للأجهزة المختصة بالسماح لي بدخول تونس. تقدمت بطلب الحصول على التبعية الألمانية فترة وجيزة قبيل انتخابات عام 1990 التي فازت فيها المعارضة وتوجهت على الفور إلى تونس رفقة الأخ الراحل أبو داود، وهناك التقيت ببعض الأخوان أذكر منهم الأخ العزيز سلمان الهرفي الذي تكفل مشكورًا بمساعدتي في إنهاء كل الأمور الإدارية ذات العلاقة ومنها اللقاء بالقائد العام في مكتبه بمنطقة بلفدير. أصدر القائد العام قرارًا بوضعي على قائمة متقاعدي جيش التحرير الفلسطيني برتبة رائد أو مقدم لا أذكر، ولا فرق أصلاً، إلا من ناحية مقدار المخصص، وبدأ بصرف معاش تقاعدي مقداره نحو 800 دولار أمريكي. قرب نهاية شهر آب 1990، اي قبيل الوحدة الألمانية التي تمت رسميًا في 3 تشرين 1990 وصلتني رسالة رسمية بأن السلطات الألمانية وافقت على طلبي الحصول على التبعية الألمانية، وفعلاً عدت إلى برلين لمزاولة عملي في مجال الكتابة والترجمة. ظل مخصصي الشهري يصرف حتى الإعلان عن اتفاقية «غزة إريحا أولاً» حينما أبلغت من تونس بأن القائد العام أمر بوقف صرف مخصصات كافة العاملين،

عدا حاملي السلاح، لكن ذلك كان لفترة قصيرة بعدما تبين له ان مخاوفه من «انتفاضة» ضد الاتفاقية غير وارد وأنه طوع «ساحته» إلى أقصى درجة. بعد فترة طالبت المالية بإعادة صرف مخصصي التقاعدي، لكنهم أبلغوني بأن ذلك من غير الممكن مالم أحضر إلى تونس (أي لإعلان وقوفي إلى جانب اتفاق أوسلو). رفضت ذلك والنتيجة أن مخصصي متوقف منذ ذلك الحين وقيادة مكتب المقاطعة ترفض صرف مستحقاتي وحقوقي ما لم أقدم لها [فروض الطاعة والولاء]، وهي مازالت تنتظر مني ذلك، وسيطول انتظارها!!.

كلمة أخيرة لابد من قولها وهي التساؤل عن عدم التحقيق الجدي في أحداث اكتشاف جواسيس واغتيال قادة. في الوقت الذي لا يبدو فيه أي شك في اغتيال القادة الثلاثة، ثمة شكوك حول من اغتال القائد الكبير الشهيد أبو جهاد. فقد قيل كثيرًا ومنها رواية عن مشاركة رئيس الاستخبارات التونسية السابق في عملية الاغتيال، والذي اكتشفت المخابرات الفرنسية علاقته باستخبارات العدو الصهيوني عندما اكتشفت شحنة أسلحة متوجهة إلى منظمة «الباسك» الإسبانية، وورد فيها أن المرسل هو رئيس المخابرات التونسية، وتبين من أرقام قطع الأسلحة أنها تلك التي غنمها العدو الصهيوني في جنوبي لبنان ابان اجتياح عام 1982. قيل وقتها أن السلطات التونسية اعتقلت رئيس مخابراتها الذي قضى في السجن تحت التعذيب، أو تمت تصفيته إما للتغطية على الفضيحة أو لمنعه من البوح بأسماء أخرى. لكن هناك معلومات أخرى عن اغتيال القائد الشهيد أبو جهاد، وليت العالمين بالأسرار الإدلاء بما لديهم.

الجزء الثالث:

ملاحق

(1)

تاريخية الأزمة في فتح من التأسيس إلى الانتفاضة[1]

تقديم الطبعة الجديدة 2010

بصدور هذه الطبعة من «تاريخية الأزمة في حركة فتح» تكون قد مرت 26 سنة على صدور الطبعة الأولى (آذار 1984) والتـي كتبت مباشرة إثر انفجار انتفاضة فتح، في البقاع وسوريا، (أيار 1983) وقبيل تبلور خياراتها ونتائجها اللاحقة.

ومن هنا فلم يتعرض كتابنا لوقائع ذلك الزلزال وتوابعه، وربما سنقوم بذلك في سياق موضوع كتاب آخر يتابع تاريخية الأزمة في فتح من 1983 إلى 2010.

وننوّه هنا بأننا لم نتدخل في هذه الطبعة سوى بتصويب بعض المعلومات أو إضافتها، وهي قليلة على كل حال، وتركنا عدا ذلك كل شيء كما هو، وكما كتب تحت وطأة لهب أحداث تلك الأيام، فالأسلوب نفسه، والمشاعر التـي صاغت تلك المعلومات تشكل وثيقة بحد ذاتها . . غير أن الوقائع اللاحقة، وصولاً إلى سلطة أوسلو وكيث دايتون، ربما برهنت على صحة المخاوف التـي ظلت تحذر منها كتاباتنا آنذاك، ومنها: مواجهات سياسية (1976)، الثقافة

(1) صدر هذا الملحق كتابًا عن دار الصمود العربي، نيقوسيا، قبرص، ودار الحقائق، بيروت. الطبعة الأولى، اذار 1984. ننشره بإذن من المؤلف.

والديمقراطية (1980)، في مواجهة عقلية التسوية (1982)، البرنامج الفلسطيني بين نهجي التسوية والتحرير (1984).

لقد كنا نرى جيدًا خطورة نتائج ما حدث، وحذرنا من عواقبها المدمرة، وعملنا مع الكثير من المخلصين والحريصين علي عدم تحول انتفاضة 83 إلى انشقاق. فالجسم الفتحوي الموحد كان سيشكّل ثقّالات حقيقية تحول دون خيار الهرولة المتسارعة نحو التسوية الأميركية، وتحفظ بصورة أكبر استقلالية الخيار الوطني، ولهذا لم نكن طرفًا في انشقاق، بل دعاة وحدة، رغم انحيازنا السياسي لمطالب الانتفاضة الإصلاحية، ولكن بعيدا عن التوجهات الانقسامية لقيادتها . . غير أن صحة الرؤية لا تعني دائمًا امتلاك القدرة على الفعل والتغيير.

وبعد، كانت تلك رغبة زياد منى بأن تتضمن شهادتنا على التجربة المعاصرة للثورة الفلسطينية هذا الملحق، باعتباره وثيقة مكملة لشهادتنا، ونرجو أن يكون قد أصاب بمطلبه، وأصبنا بالاستجابة له. وقد نصحنا بعض الأصدقاء الذين نعتز برأيهم بعدم نشره مجددًا، ولكننا اجتهدنا بأن هذا الذي كتبناه لم يعد ملكنا، بل هو، بما له وما عليه، ملك لتاريخ هذه التجربة التي نسعى لتوثيقها، وهي مازالت حية ومحفوظة في صدور رجال لا غاية لهم، كما نرجو، سوى الحقيقة، أو ما اعتقدوها كذلك، إنها بعض خبرات ثورتنا، ومن واجبنا تقديمها للأجيال القادمة، فقد تفيدهم في تلافي ما وقعنا فيه من أخطاء وخطايا.

نزيه أبو نضال

مدخل

«فتح: حركة غير قابلة للقسمة أو الانشقاق»، كان هذا هو التعبير المفضل لدى العديد من قيادات حركة فتح لسنوات طويلة. وكان لهذا التعبير نوع من المصداقية أمام مظاهر الانشقاقات والانقسامات المتلاحقة التي شهدتها الساحة الفلسطينية منذ أواخر السبعينيات. الاستثناء الوحيد البارز الذي شهدته فتح كان الظاهرة التي قادها صبري البنا (أبو نضال)، والتي عرفت باسم «المجلس الثوري». وقد شارك ناجي علوش في هذه الظاهرة قبل أن يستقل بتنظيم جديد باسم «حركة التحرير الشعبية».

هذه الظاهرة كانت الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، ولم يكن لها على أي حال تأثير كبير. فقد حافظت الحركة على امتداد السنوات الماضية على شكلها وتماسكها العام، رغم العديد من الهزات والأزمات الداخلية التي جرى استيعابها وتطويقها، بل إن قيادة فتح عمدت أحيانًا إلى التفاخر بها باعتبارها تأكيدًا على الديمقراطية.

غير أن هذا الشكل الخادع لتماسك الحركة ووحدتها الظاهرية كان يخفي بداخله انقسامات عميقة وحادة، تفوق من حيث خطورتها وأهميتها النوعية الانقسامات والانشقاقات التي شهدتها الفصائل الفلسطينية الأخرى.

ولقد جاء انفجار الأزمة الكبيرة في أيار 1983 ليكشف حجم التناقضات الداخلية، وليسقط الأوهام التي روجّت حول وحدة الحركة وتماسكها وحول حقيقة أوضاعها الداخلية في مختلف المجالات. من هنا فإن المعرفة الحقيقية والدقيقة لما حدث في أيار 1983، لا يمكن فصلها عن الجذور والخلفيات التي

أوصلت الأمور إلى أزمة أيار.

أين تكمن جذور الأزمة الراهنة؟.

ما خلفياتها الحقيقية؟.

ما أسبابها البعيدة والقريبة؟.

إن هذه التساؤلات تشكل المفاتيح التي لا بد منها لمعرفة حقيقة ما حدث. كما أن هذه التساؤلات وإجاباتها تؤشر للعديد من الدلالات والاحتمالات الراهنة والمستقبلية، والتي تظل في النهاية هي الهاجس لكل الباحثين عن التغيير والتجاوز.

نزيه أبو نضال

الفصل الأول: جذور الأزمة

يكمن جذر تاريخ الأزمات المتلاحقة في حركة فتح؛ في لحظة تأسيس أحد الأنوية الأساسية للحركة، وفي الأسباب الذاتـية الموضوعية لهذا التأسيس. فقد تشكلت هذه النواة في قطاع غزة في أواخر الخمسينـيات على يد عدد من الوطنـيين الفلسطينـيين ذوي الميول والانتماءات الدينـية الإخوانـية، قبل أن تلتقي في الخليج، ونسبيًا في سورية والأردن، بعد ذلك بعدد من الأنوية والعناصر الوطنـية ذات الاتجاه القومي، والتـي كانت بدورها تتشكل آنذاك على ذات الأسس والمبادئ والأسلوب. ومن المعروف أن عشرات من التنظيمات الفلسطينـية الصغيرة كانت تتشكل في ذلك الوقت على أسس الكفاح المسلح.

وكان الباعث المباشر للفكرة بروز العمليات الفدائية الفلسطينـية التـي تمت بإشراف الجيش المصري (العقيد مصطفى حافظ) في منتصف الخمسينـيات، وما كان يتناقله القطاع من أخبار هذه العمليات الفدائية، وما توقعه من خسائر في صفوف العدو.

غير أن هذا العمل الفدائي المسيطر عليه رسميًا لم يستمر طويلاً، فسرعان ما سقط القطاع بيد قوات الاحتلال الصهيونـي عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وبات من الضروري في ظل وجود هذا الاحتلال، التفكير بتنظيم المقاومة المسلحة لمواجهته.

وحين انسحبت القوات الصهيونـية بعد ذلك بوقت قصير ظلت الفكرة حية في الأذهان، وبدأت المحاولات الجنـينـية لتشكيل الخلايا الأولى لفتح في

القطاع، على أن تكون هذه الخلايا (فلسطينـية) سرية، وذلك انطلاقًا من منظورين:

الأول: أن لا يرتهن وجود واستمرار العمل الفدائي الفلسطينـي بإرادة النظام المصري، وخاصة أن تجربة العمل الفدائي المسيطر عليه رسميًا لا زالت ماثلة في الأذهان.

الثانـي: حساسية العناصر التـي بادرت بتشكيل إحدى خلايا فتح الأولى من القيادة الناصرية، وذلك بسبب ميولها وانتماءاتها الدينـية وخاصة للإخوان المسلمين.

والمعروف هنا أن الإخوان المسلمين في مصر كان لهم امتدادات تنظيمية في قطاع غزة، وفي عدد من الدول العربية. وكانوا قد أقدموا على محاولة اغتـيال عبد الناصر آنذاك مما عرض العديد منهم للسجون والمعتقلات والإعدامات.

في ظل هذه الأوضـاع التـي سادت القطاع ومختلف مناطق التجمع الفلسطينـي برز أنموذج الثورة الجزائرية، وشكل حافزًا إضافيًا لاحتذائه كأسلوب لتحرير فلسطين.

وقد ارتبط هذا الأنموذج في ذهن القائمين على تشكيل إحدى خلايا فتح الأولى في قطاع غزة بمسألتـين تشكلان نقيضاً لما هو سائد في الساحة الفلسطينـية والعربية آنذاك، بأن تحرير فلسطين، إنما يتحقق عن طريق وحدة الأمة العربية وجيوشها النظامية، ورمزها الخالد جمال عبد الناصر. وهاتان المسألتان هما:

1) استخدام أسـلوب الكفاح المسلح والعمل الفدائي على طريقة المجاهدين الجزائريين.
2) الاعتماد أساسًـا على الشـعب الفلسـطيني لخـوض معركة التحرير. كما يعتمد الشـعب الجزائري على نفسـه، مستقلاً بذاته، ثم يتلقى الدعم العربي. ومن هنا رُفع شعار «فلسطين طريق الوحدة» بديلاً لشـعار «الوحـدة هي الطريق لتحرير فلسطين».

ولقد جاءت بذرة «الاستقلالية الفلسطينـية» انطلاقًا من المفهوم الجزائري، رغم التباينات النوعية بين التجربتـين.

هذا الطرح الفتحاوي الجديد بانتهاج الكفاح المسلح باليد الفلسطينـية كان انذاك موضوعيًا يجدف ضد التـيار. فالمد الناصري الوحدوي في صعود

هائل، وحركة التحرر العربية بدعامتيها الأساس البعث والقوميون العرب في حالة نهوض جارف، والاستقطاب الجماهيري الواسع وخاصة في الوسط الفلسطيني يتركز حول هذا المد الناصري والقومي، ويخوض معارك منتصرة ضد الأحلاف والمرتكزات الاستعمارية، ويصنع أول وحدة في تاريخ العرب الحديث بين مصر وسوريا.

لقد كان من شأن ذلك كله لو استمر أن يجهض الاتجاه اليميني الإقليمي في حركة فتح آنذاك لمصلحة الاتجاهات القومية والتقدمية التي تمثلها رموز أخرى مؤسسة في الحركة، غير أن التطورات اللاحقة وفي مقدمتها ضرب الوحدة المصرية السورية وانتكاس الوضع الاقتصادي في مصر منذ منتصف الستينيات، وانقضاض النظام على الحركة الوطنية القومية في الأردن، وتسلط الشركة الخماسية الانفصالية على الأوضاع في سوريا، وتراجع الثورة العراقية . . إلخ. كل ذلك عاد ليعطي دفعًا جديدًا لأطروحات الاتجاه الإقليمي في فتح، وليسهم كذلك في تكريس مواقعه ويعزز الدعوة بضرورة اعتماد الفلسطينيين على أنفسهم وانتهاج الكفاح المسلح الشعبي بديلاً للجيوش النظامية «التي تكدس الأسلحة ولا تقاتل».

ثم جاء حزيران بعد ذلك ليعطي البرهان الذي لا يرد على صحة تلك الطروحات! ولقد عبرت أدبيات فتح الأولى عن هذا النهج الفلسطيني حين كتبت في العدد الرابع من نشرتها «فلسطيننا» التي صدرت في خريف 1959: قد عيل صبرنا يا أبناء فلسطين فلا صوت لنا ولا كيان . . وقد أن لصوتكم يا أبناء فلسطين أن يرفع . . لقد آن لكم أن يكون ممثل فلسطيني يحمل آراءكم ويدعو لتنفيذها باسمكم . . نحن الذي انتزع كياننا، فالنفير يا أبناء فلسطين . ..

إن جملة الأسباب والعوامل التي تضافرت في بلورة الفكرة الأولى لحركة فتح، ثم لنجاح هذه الفكرة وشيوعها بعد ذلك في ظل انحسار حركة التحرر العربية، هو الذي شكل الجذر المركزي في أزمة حركة فتح، وفي أزمة الثورة الفلسطينية. ولقد تجلت هذه الأزمة بعد ذلك بأشكال عديدة ومتنوعة وشديدة التعقيد، بحيث لا يبدو في كثير من الأحيان أن هناك ثمة صلة بين مظاهر هذه الأزمة وجذرها المركزي، وهو أولاً فلسطينية فتح، ثم بعد ذلك فلسطينية منظمة التحرير.

ونظرًا للأهمية البالغة لجذر الأزمة هذا، نجد من الضروري التوقف عنده قليلاً.

إن قضية فلسطين هي جوهر الصراع بين الأمة العربية وبين العدو

الصهيوني الإمبريالي. وما دام شكل التناقض الرئيسي هو بين هذين الطرفين الأساسيين الكبيرين فإن أداة حسم التناقض لا بد أن تكون أداة قومية، وهذا لا يسقط، بالطبع، الدور الطليعي والريادي للشعب الفلسطيني في خوض هذه المعركة القومية.

ولكن في اللحظة التي يدار الصراع فيها خارج قوانين التناقض الرئيسة فمعنى ذلك أن خللاً جوهريًا قد حدث في معادلات الصراع، ما سيعكس نفسه بالضرورة على تطور الأحداث الناشئة عن هذا الخلل وعلى نتائجها النهائية.

إن وضع الأداة الفلسطينية بديلاً للأداة القومية لحسم تناقض الأمة مع أعدائها سيسقط الأداة الفلسطينية في إحدى خيارين:

- فإما المراوحة الطويلة بين احتمالات الصمود أو التصفية، نظرًا للاختلال المريع في موازين القوى بين الأداة الفلسطينية من جهة وبين العدو الصهيوني الامبريالي وامتداداته في المنطقة من جهة أخرى.
- وإما البحث عن حلول سياسية لتسوية الصراع مع العدو، مما يدخل الأداة الفلسطينية في أزمات داخلية لا تنتهي بين خطي المساومة والقتال.

إن التاريخ المعاصر للثورة الفلسطينية إذا ما شخصناه بدقة هو هذه المراوحة بين احتمالات الصمود والتصفية، وهو تاريخ من الأزمات الناتجة عن اختراق التسوية للساحة الفلسطينية سواء على صعيد البرامج السياسية أو الممارسات العملية.

إن أزمة الخيار الفلسطيني لم تكن مجرد أزمة موضوعية تتصل بانحسار حركة التحرر العربية، وإنما هي تكمن في صلب التركيب الفكري والطبقي لعدد من القيادات المؤسّسة لحركة فتح. ولعل من الأمور ذات الدلالة الهامة في هذا المجال، عدم السماح للعرب بعضوية الحركة. وقد خاضت القوى الوطنية الديمقراطية داخل فتح معركة شاقة في المؤتمر الثالث عام 1971 لتثبيت نص في النظام الداخلي يمنح حق العضوية للعرب. وقد تصدى لهذا القرار بصورة أساس كل من خالد الحسن وعلي الحسن مع عدد من أصحاب الاتجاه الديني الإقليمي. هذا مع العلم أن الهيكل الثوري الذي التفت عليه مجموعة أنوية فتح كان يؤكد الدور العربي الجماهيري في معركة تحرير فلسطين، غير أن ممارسات القيادة المتنفذة، ذات الخلفيات الدينية، أسقطت العمق القومي

للنضال الوطنـي تحت شعار إحياء الشخصية الفلسطينـية.

ولقد تضافر كل ذلك مع الدعم الذي كان يقدمه اليمين العربي الإقليمي لرديفه اليمين الفلسطينـي، رغم وجود تباينات نسبية بينهما، ما عزز من نفوذ اليمين الفلسطينـي في فتح والساحة الفلسطينـية.

إذا كان (الخيار الفلسطينـي) قد تم بفعل الالتباسات والمواصفات التـي ارتبطت بتشكيل إحدى الخلايا الأولى لحركة «فتح»، وبعدد من قياداتها المؤسسة ذات الاتجاه اليمينـي التـي هيمنت فعليًا على الحركة، وإذا كان هذا الخيار الفلسطينـي قد تعمق وتكرس بعد ذلك بفعل انحسار حركة التحرر العربية، مما جعل هذا الخيار، مؤقتًا، ضرورة نضالية لاستنهاض معادلة الصراع على قاعدة التناقض الرئيسي بين الأمة العربية وأعدائها، فإن الدور الفلسطينـي الطليعي والريادي إنما يستمد شرعيته انطلاقا من هذه المهمة تحديدًا، أي استنهاض معادلة الصراع بين الأمة وأعدائها.

إن التقاط خصوصية اللحظة الفلسطينـية المؤقتة، ورؤيتها في سياقها التاريخي، وموقعها في الإطار النضالي القومي، هي مسألة لا بديل لها من أجل استمرار الثورة وانتصارها.

وهنا بالضبط تبرز الأهمية الاستثنائية لدور العامل الذاتـي لدى القيادة الفلسطينـية في التعامل والتأثير سلبًا أو إيجابًا مع العامل الموضوعي العربي.

فهل كان التركيب الطبقي والفكري لدى هذه القيادة من مؤسسي حركة فتح وخاصة في ظل هيمنة الاتجاه اليمينـي مرشح للعب هذا الدور التاريخي؟

في التركيب الطبقي لمؤسسي حركة فتح

تنتمي العناصر الأساس من مجموعة الأنوية التـي تشكلت منها حركة فتح إلى شرائح البرجوازية الصغيرة بصورة شبه كاملة، وبمعزل عن طبيعة الانتماءات الطبقية لعائلاتها، والكثير منها كانت قبل الهجرة من أصول فلاحية. وقد انعكس هذا التركيب الطبقي - كما سنرى- إلى جانب العوامل الأخـرى، على المسار اللاحق للثورة الفلسطينـية، وشكل أحد الجذور الأساسية لمسلسل الأزمات التـي شهدتها الحركة.

وإذا ما استعرضنا المواقع الطبقية لأبرز قيادات فتح المركزية قبل العام 1965، ومن خلال المهن التـي كانوا يمارسونها عند تشكيل الحركة أو عند انضمامهم لها بعد ذلك، فسنجد إنها تتراوح بين المهندس والمعلم والموظف إلى جانب عدد قليل من أصحاب المهن الأخرى: تاجر، محامي، ضابط. وهناك من

تنقل في أكثر من مهنة فجرى تصنـيفه في حقل عمله الأبرز.

المهندسون: 1-ياسر عرفات 2-كمال عدوان 3-خالد اليشرطي 4-عبد الفتاح حمود 5-محمد سعيد المسحال (أبو أسامة) 6-زهير العلمي 7-حسنـي يونس (أبو خالد) 8-صخر حبش (أبو نزار).

المعلمون: 1-خليل الوزير 2-صلاح خلف 3- محمد يوسف النجار 4-عادل عبد الكريم 5-عبد الله الدنان 6-أبو علي إياد 7-ممدوح صيدم (أبو صبري) 8- محمد أبو ميزر (أبو حاتم) (معلم ثم موظف) 9-ماجد أبو شرار (معلم ثم صحفي) 10-معاذ عابد (أبو سامي) 11- محمد علي الأعرج (أبو الرائد) 12-صبري البنا (أبو نضال) 13-أحمد عرفات القدوة 14-عبد الكريم العكلوك (أبو العبد) 15-فتحي بلعاوي 16-أحمد وافي (أبو خليل) 17-سعيد المزين (أبو هشام) 18-سليمان أبو كرش (أبو خالد) 19-سليمان الشرفا (أبو طارق) 20-أسعد الصفطاوي 21-حسام الخطيب 22-حمد العايدي.

الموظفون: 1-خالد الحسن 2- محمود عباس (أبو مازن) (معلم ثم موظف) 3- فاروق القدومي.

مهن أُخرى: 1-رفيق النتشه (موظف ثم تاجر) 2-علي الحسن (تاجر) 3- محمد غنـيم (أبو ماهر) (تاجر) 4-يوسف عميرة (تاجر) 5-سليم الزعنون (أبو الأديـب) وكيل نـيابة 6-سميح أبو كويك (قـدري) (محامي) 7-رياض الزعنون (طبيب) 8-العقيد عبد الله صيام (ضابط) 9-فايز حمدان (الرائد خالد) ضابط 10-نمر صالح (أبو صالح) (سائق جرافة).

هذه المهن تشير بوضوح إلى انتماء أبرز القيادات المركزية في حركة فتح إلى شرائح البرجوازية الصغيرة، مع وجود تفاوتات نسبية بينها، فخالد الحسن وعلي الحسن من كبار موظفي الدولة الكويتـية، ورفيق النتشه تاجر كبير قياسًا بأبو ماهر غنـيم، على سبيل المثال، وهكذا.

إن هذا التحديد الطبقي لمواقع القيادة المركزية والعناصر المؤسسة لحركة فتح في صفوف البرجوازية الصغيرة، لا ينفي أن العديد من هؤلاء ينتمي اسريًا إلى عائلات فقيرة، كما أن بعضهم ينتمي إلى أسر غنـية نسبيًا. إلا

أن انتماءهم للبرجوازية الصغيرة من خلال مواقعهم العملية في صفوفها، يجعلهم يخضعون للقوانين العامة التي تحدد خيارات ومسارات البرجوازية الصغيرة عمومًا، إلا إذا كانوا قد حسموا خياراتهم الأيديولوجية للتعبير عن مصالح قوى طبقية أخرى.

ولمزيد من التوضيح لإزالة أي التباس حول هذه المسألة نقول: إن الذين ينتمون لشرائح البرجوازية الصغيرة، على عكس المنتمين للطبقة البرجوازية أو لطبقة العمال والفلاحين، لا يعبّرون عن مصالح طبقية خاصة بهم، أي خاصة بمصالح البرجوازية الصغيرة ذلك أن وقوع البرجوازية الصغيرة بين قطبي علاقات الإنتاج في المجتمع - البرجوازية من جهة والعمال والفلاحين من جهة ثانية - يجعلها على الدوام متذبذبة الانتماء والولاء في التعبير عن مصالح وبرامج الطبقات الأساس في المجتمع. وكثيرًا ما تلعب ظروف الصراع العام الاجتماعي والوطني دورًا هامًا في عملية فرز وتحديد انتماء هؤلاء البرجوازيين الصغار لبرنامج هذه الطبقة أو تلك.

من هنا يلعب العامل الأيديولوجي الفكري والسياسي دورًا هامًا على صعيد تحديد الانتماء الفعلي للبرجوازيين الصغار، وعن مدى تعبيرهم عن مصالح وبرامج أي من طبقتي المجتمع. أضف إلى ذلك أن هذا التعبير عن مصالح هذه الطبقة أو تلك، وبفعل التكوين البرجوازي الصغير نفسه، لا يبقى في حالة ثبات أو سكون، وإنما يمتلك قابلية التغيير والانتقال من التعبير عن مصالح طبقة للتعبير عن مصالح طبقة أخرى، وذلك بفعل تأثير الصراع العام ونتائجه العملية على مواقفهم في كل مرحلة.

ومن أجل مزيد من التوضيح لهذه المسألة نشير إلى أن المثقفين الثوريين الذين ينتمون إلى برنامج الطبقة العاملة هم في الأساس من يدخلون في صلب نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية المستغلة. ولكن حين تتعرض نضالات الطبقة العاملة لانتكاسة كبرى فقد نجد العديد من هؤلاء المثقفين يرتدّون بحثًا عن أوضاع جديدة لهم أو ينتمون لبرنامج البرجوازية نفسها. أما العمال أنفسهم فيبقون في مواقعهم الطبقية، ويظلون على الدوام يعبرون عن مصالحهم الخاصة.

ولا شك أن صلابة الموقف الأيديولوجي، هنا في إطاره التنظيمي يلعب دورًا أساسًا في استمرار المثقفين الثوريين في التعبير عن مصالح الطبقة العاملة، وفي استمرار خوض النضال إلى جانبها على أساس برنامج هذه الطبقة.

انطلاقًا من هذه القوانين العامة التي تتحكم في مسارات وخيارات البرجوازية الصغيرة، علينا أن ننطلق كذلك من رؤية القوانين الخاصة للتركيب الطبقي الفلسطيني.

إن المشروع الاستيطاني الصهيوني (الإجلائي الطردي) لم يقم فقط بعملية الاستيلاء على الأرض، وإنما ضرب، إلى جانب ذلك، من خلال عملية التهجير الواسعة، علاقات الإنتاج الفلسطينية الخاصة وأدخلها، أي هذه العلاقات، في نسيج علاقات الإنتاج العربية وأوجد ظاهرة كبرى جديدة هي ظاهرة اللاجئين ثم النازحين، وهم أبناء المخيمات. كما فرض على من تبقى داخل الأرض المحتلة الدخول في علاقات الإنتاج جزئيًا داخل المجتمع «الإسرائيلي».

هذا الواقع المادي الاقتصادي الجديد الذي فقد فيه الشعب الفلسطيني قسمًا كبيرًا من وسائل إنتاجه الخاصة (الأرض، والوسائل الأخرى كالمعامل والتجارة وما يتفرع عنها) جعل الفلسطيني يبحث عن وسيلة إنتاج جديدة لتشكل له ضمانة العيش والاستمرار، وكانت وسيلة الإنتاج هذه هي الشهادة الجامعية. من هنا لم يكن غريبًا أن نسبة التعليم العالي في صفوف الشعب الفلسطيني هي من أعلى نسب التعليم في الوطن العربي بل وفي كثير من دول العالم، وذلك رغم الظروف الاقتصادية الصعبة للشعب الفلسطيني.

هذا الواقع جعل الحجم الطبقي للبرجوازية الصغيرة يتضخم بصورة كبيرة، وجعل هذه الطبقة بالتالي تلعب دورًا بارزًا في قيادة العمل الوطني الفلسطيني، وخاصة منذ منتصف الستينات.

وقد جاء هذا الدور على حساب البرجوازية الفلسطينية التقليدية التي قادت العمل الوطني قبل ذلك نسبيا في المرحلة الشقيرية، وهذه بدورها أي البرجوازية التقليدية كانت قد قادت العمل الوطني ممثلة بالهيئة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني، على حساب بعض القيادات العائلية وشبه الإقطاعية المتنفذة مثل بعض القيادات المعروفة فخري النشاشيبي وفخري عبد الهادي الممالئة للاحتلال البريطاني، ومثل هذه القوى الطبقية هي التي أفرزت ما تسمى بفرق السلام المناهضة للثورة.

لقد فقد المجتمع الفلسطيني بفعل الهجمة الصهيونية وما نتج عنها الشروط الطبيعية المكونة لهذا المجتمع والمتمثلة بوحدة الأرض والشعب والدولة. وبالتالي فقد افتقد إلى حد كبير إلى المواصفات الكلاسيكية لتركيبه الطبقي. غير أن هذه الحقيقة لا تلغي بالمقابل وجود طبقات اجتماعية ذات سمات خاصة حتى وإن تداخلت مع شروط علاقات إنتاج جديدة ومختلفة في الاقطار العربية.

وكـان لـبروز الكيانـية الفلسطينـية، من خـلال منظمة التحرير الفلسطينـية، وبعث الشخصية الوطنـية من خلال الثورة المسلحة، أن تحددت الملامح الطبقية الاجتماعية الخاصة في ظل الوضع الفلسطينـي العام.

صحيح أن الطبقات الفلسطينـية هنا ليست مشكّلة على قاعدة العلاقات الإنتاجية الخاصة بها، إلا أن ذلك لم يحل دون تحديد المواصفات الطبقية للشعب الفلسطينـي المنضوي في إطار منظمة التحرير. هذا إضافة إلى أن شكلاً خاصاً من علاقات الإنتاج الفلسطينـية ظل متبلورًا بصورة ما في قطاع غزة والضفة الغربية، وحتى في شرق الأردن بأكثريته الفلسطينـية. وحتى في لبنان والخليج والمهاجر أخذت تتشكل أعداد من كبار الأثرياء الذين لم يلبثوا أن احتلوا مواقع لهم في المراتب العليا للمنظمة والثورة.

وانطلاقًا من هذه الخصوصية الفلسطينـية وعلى قاعدة القوانـين الطبقية العامة نستطيع أن نميز الطبقات والفئات الفلسطينـية داخل الأرض المحتلة وخارجها:

- النازحون من أبناء المخيمات والعمال والفلاحين.
- شرائح البرجوازية الصغيرة.
- البرجوازية التقليدية (الوطنـية).
- البرجوازية المرتبطة مصالحها بالأنظمة العربية وببرجوازياتها الكمبرادورية التابعة بدورها للسوق الرأسمالي العالمي.

إن انتماء العناصر القيادية المؤسسة لحركة فتح إلى البرجوازية الصغيرة، إلى جانب مكوناتها الأخرى، قد عكس نفسه على مسار الثورة الفلسطينـية المعاصرة، وفيها تكمن، كما سنرى بعد قليل، الجذور الأساسية للأزمة الراهنة التـي تعيشها فتح والساحة الفلسطينـية، منذ آذار 1983.

المكونات الفكرية

ما المكونات والخلفيات الفكرية والسياسية لعناصر البرجوازية الصغيرة التـي أسست حركة فتح وتولت قيادة العمل الفلسطينـي؟ إن الأسماء التـي استعرضنا قبل قليل مواقعها الطبقية تنتمي بغالبيتها إلى الفكر الوطنـي الدينـي، والبعض منها ينتمي إلى الفكر القومي العروبي، وكان القاسم المشترك بين الجميع هو البرنامج الوطنـي الفلسطينـي العريض: تحرير

فلسطين بالكفاح المسلح.

إن الخلفيات الفكرية والسياسية لمجموعة العناصر القيادية الأولى حافظت على وجودها عمليًا في تنظيم فتح الجديد، وكانت هذه الخلفيات على درجة كبيرة من التباين الذي سيعكس نفسه على مسيرة الحركة وأزماتها اللاحقة.

ويكفي أن نشير هنا إلى أبرز الاتجاهات والانتماءات التنظيمية السابقة ولأبرز العناصر الممثلة لها.

الإخوان المسلمون

قبل أن تتأسس حركة فتح، وربما بعد ذلك أيضًا، كان كل من الأخوة التالية أسماؤهم أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين:

1-خليل الوزير (أبو جهاد) 2-صلاح خلف (أبو إياد) 3-كمال عدوان 4-أبو ماهر غنيم 5-عبد الفتاح حمود 6-علي الحسن (أبو أيمن) 7-هاني الحسن 8-محمد يوسف النجار (أبو يوسف) 9-رفيق النتشه 10-محمد سعيد المسحال (أبو أسامة) 11-سليم الزعنون 12-ممدوح صيدم (أبو صبري) 13-زهير العلمي 14-فتحي بلعاوي 15-يحي عاشور (حمدان) 16-صبري البنا (أبو نضال) 17-محمد الأفريجي 18-عبد الكريم العكلوك (أبو العبد) 19-سعيد المزين (أبو هشام) 20-سليمان الشرفا (أبو طارق) 21-يوسف عميرة (أحد مؤسسي الأخوان) 22-غالب الوزير (شقيق أبو جهاد الوزير) 23-العقيد عبد الله صيام 24-رياض الزعنون 25-أسعد السفطاوي 26-معاذ عابد (أبو سامي) 27-سليمان أبو كرش (أبو خالد) 28-أحمد وافي (أبو خليل) 29-حمد العايدي 30-هاشم الخازندار (من قيادات الأخوان)

وكان ياسر عرفات بميوله الوطنية الدينية صديقًا للإخوان، وقد نجح مع أبو إياد في قائمة اتحاد طلاب فلسطين بالقاهرة بدعم من جماعة الإخوان.

حزب التحرير الإسلامي

وكان أبرز الرموز التي انتقلت إلى حركة فتح من حزب التحرير الإسلامي:

1-خالد الحسن (ابو السعيد) أحد المساعدين الأساسين للشيخ تقي الدين النبهاني زعيم الحزب.

2- محمود مسودة (أبو عبيدة).

3-ابو علي إياد (وليد أحمد نمر).

حزب البعث

أما أبرز العناصر القيادية المؤسسة لحركة فتح من ذوي الانتماءات التنظيمية لحزب البعث:

1-فاروق القدومي (أبو اللطف) 2-محمد أبو ميزر (أبو حاتم) 3-سميح أبو كويك (قدري) 4-خالد اليشرطي 5-صخر حبش (أبو نزار) 6-محمود الخالدي 7- محمد علي الأعرج (أبو الرائد)

اتجاهات أُخرى

أما الاتجاهات السياسية التـي لم يعرف لها انتماء محدد وإن كانت قريبة إلى هذا الحد أو ذاك من الأحزاب السائدة آنئذٍ فكان من أبرزها:

1-نمر صالح (أبو صالح)، اتجاه شيوعي 2-ماجد أبو شرار، اتجاه شيوعي.

3-منـير سويد، اتجاه شيوعي 4-حسام الخطيب 5-فايز حمدان (الرائد خالد) حركة القوميين العرب 6-حسنـي يونس (أبو خالد) 7-هايل عبد الحميد (أبو الهول) 8-محمود عباس (أبو مازن)، غامض الانتماء.

(غير أن قياديًا إخوانـيًا في قطر اسمه «محمد أبو عزة» أورد في مذكراته أن محمود عباس ترك الأخوان وانضم إلى فتح، غير أن سعيد المسحال (أبو أسامة) يؤكد بأن لا صلة لعباس بالإخوان المسلمين، إلا كعلاقات شخصية، ليس أكثر، مع بعض الأخوان، مثل كمال عدوان والنجار وأبو جهاد).

هذا الخليط من الاتجاهات الفكرية والسياسية المتباينة هو الذي أسس حركة فتح وقادها بعد ذلك، ولكن بحجوم وتأثيرات متفاوتة، وإن كان واضحًا أن المجموعة اليمينـية والتـي من بينها عرفات والوزير وأبو إياد وأبو يوسف النجار قد لعبت دورًا أساسًا منذ اللحظة الأولى واستمرت بعد بذلك، كما أن معظمها من قطاع غزة، والعاملين لاحقًا في الخليج، خاصة كمعلمين[2].

إن العناصر القيادية المؤسسة لحركة فتح تفتقد كما رأينا إلى وحدة الموقف الفكري والأيديولوجي النظري والفلسفي، كما تفتقد إلى وحدة التصور السياسي، ووحدة الرؤيا التنظيمية.

وهذا يعنـي إنها تفتقد إلى وحدة المنهج في تقييم المواقف والقوى والأحداث السياسية التـي تواجهها الثورة، ويقود ذلك بالتالي إلى تعدد وتباين بل

(2) ليس المقصود هنا القيام بدراسة حصرية لتاريخ الحركة واتجاهات مؤسسيها وإنما ضرب الأمثلة من خلال عدد من الرموز البارزة فيها فقط.

وتناقض مواقف القيادات المركزية من الموضوع الواحد أو الحدث الطارئ، مما كان يخلق الخلاف والتشويش والبلبلة في صفوف الحركة وبين صفوف القيادات المركزية، وفي علاقة هذه القيادات بالأعضاء ، وعلاقة الجميع بالقوى الأخرى وبالجماهير.

إن شعار الكفاح الفلسطيني المسلح لتحرير فلسطين الذي اجتمع حوله المؤسسون والعناصر الأولى، كان يصلح لجبهة وطنية متحدة تضم العديد من الأحزاب والتنظيمات والقوى، أما أن يتأسس تنظيم سياسي حول هذا الشعار، وهو يفتقد الشروط الأساسية لبناء هذا التنظيم من حيث وحدة الموقف الإيديولوجي بالدرجة الأولى، وما ينسحب على هذه الوحدة من وحدة الموقف السياسي التنظيمي ووحدة المنهج التحليلي، فكان لا بد أن يتعرض بالضرورة إلى الهزات والأزمات الداخلية المستمرة، وأن تنشأ في داخل جسم الحركة اتجاهات وتيارات ومراكز قوى بل وتنظيمات والأحزاب كذلك، ثم لتصل الأمور إلى أن بات لدى العديد من الاتجاهات والتنظيمات مواقفها المتميزة من مختلف القضايا، كما أصبح لديها حتى برامج سياسية مكتوبة خاصة بها، وتجري عمليات التعبئة والتنظيم على أساسها. وأخذ كل منها يقيم علاقاته مع الأطراف الأخرى الداخلية والخارجية على قاعدة موقفه السياسي والتنظيمي الخاص داخل الحركة.

صحيح أن فتح في مرحلة التحرر الوطني ولكن هذا يصح على البرنامج السياسي العام لا على أداة التنظيم الثوري الذي يواجه الصهيونية والامبريالية وامتدادها العربي.

وفقط للتوضيح: إن الثورة الفيتنامية وكانت في مرحلة التحرر الوطني أيضًا، ما كان بإمكانها الانتصار على الامبرياليات اليابانية والفرنسية والأميركية لولا أن قيادة الثورة كانت أداة تنظيمية صلبة وموحدة أيديولوجيًا وسياسيًا يقف على رأسها هوشي منه.

في فتح جرت الصراعات الداخلية كلها في ظل (وحدة) الحركة وتماسكها، وفي ظل الشعار الشائع بأن «فتح» حركة غير قابلة للقسمة أو الانشقاق. والطريف أن هذا الشعار أو التعبير ظل يطلق وقد تحولت فتح إلى شيع وشظايا وتيارات وتنظيمات، ولم يعد هناك من جامع يوحدها لا فكريًا ولا سياسيًا ولا تنظيميًا، حتى شاع أخيرًا أن عضوية الحركة قد اقتصرت على كشوفات «فؤاد الشوبكي» المالية.

إن التركيب الفكري المختلط للقيادات المركزية، استتبع بالتالي استقطاب تنظيمي مختلط، فأبو اللطف مثلاً ينظم من خلال معارفه وشبكة علاقاته السياسية والشخصية، وكان من يستقطبهم لتنظيم فتح بالضرورة، وانطلاقًا من دائرة معارفه وعلاقاته، من ذوي الميول والانتماءات القومية والتقدمية.

وكان من يستقطبهم أبو جهاد، بالضرورة وانطلاقًا من شبكة معارفه وعلاقاته من ذوي الميول والاتجاهات الوطنـية والدينـية. وقس على ذلك في رؤية الدوائر الأساسية الأولى التـي تشكلت أو جرى تنظيمها مباشرة من خلال مجموعة المؤسسين الأوائل ذوي الاتجاهات الفكرية المتباينة، ولكن نظرًا للحجم الكبير للمجموعة الإخوانـية الأولى المؤسسة كان لا بد أن يتزايد طرداً، وفق نفس القاعدة ذوو الاتجاهات الإخوانـية.

وعندما تحولت حركة فتح، وخاصة بعد معركة الكرامة، إلى تنظيم جماهيري واسع ودخلته أعداد كبيرة من الكوادر التنظيمية والسياسية ذات المنابت الفكرية والسياسية والحزبية المتعددة، تضخمت هذه الاتجاهات المختلفة داخل الحركة واقعيًا، وإن ظل الجميع مشدودين، وخاصة في ظل المجابهات المسلحة مع النظام الأردنـي واللبنانـي، للدفاع عن الثورة، فلم تبرز هذه الظاهرات بقوة على السطح إلا بعد الخروج من الأردن، عندما بدأت الكوادر الحركية ومن مواقعها وخلفياتها الأساس تحاكم تجربة الأردن وتحدد المسؤوليات وتطرح الحلول.

وكان معنى ذلك أن تصطدم محاولات التقييم والإصلاح بالقيادة المسؤولة والمتنفّذة . . مما جعلها تفتح صفحة من الخلافات والأزمات ذات الطابع الفكري والسياسي طوال السنوات اللاحقة وحول مختلف القضايا.

الفصل الثانــي:
أزمة فتح . .
الظواهر والانعكاسات

شكل الخيار الفلسطينـي لحسم الصراع مع العدو، كبديل للأداة القومية، المأزق الإستراتيجي لحركة فتح والثورة الفلسطينـية. وفي هذا المأزق يكمن الجذر الأساسي لأزمة الثورة الراهنة.

إن الأداة الفلسطينـية الطليعية التـي بادرت إلى الاشتباك المسلح مع العدو الصهيونـي، على طريق حرب الشعب، ما كان بإمكانها أن تكون أكثر من أداة تكتيكية لتفجير الصراع على المستوى القومي، ولاستنهاض معادلة الصراع، وفق قانون التناقض الرئيسي بين الأمة العربية وأعدائها.

غير أن العامل الذاتي الفلسطينـي الذي تولى قيادة الأداة الفلسطينـية لم يكن مرشحًا لكي يلعب هذا الدور التفجيري على المستوى القومي، ولكنه كان مرشحًا بفعل تركيبه الطبقي والفكري أن ينحو باتجاه الموقع النقيض وهو الإمعان في ذات الاتجاه الإقليمي، أي اتجاه البحث عن حل سياسي لتسوية الصراع مع العدو.

وقـد تضافرت الضربات والهزائـم العسكرية التـي لحقت بالثورة الفلسطينـية وخاصة منذ العام 1970 في دفع قيادة الثورة نحو مزيد من

الإقليمية تحت شعار يا وحدنا، ونحو برامج التسوية والمساومة. وفي المقابل كان استمرار حالة الانحسار المريع لقوى حركة التحرر العربية عاملا حاسمًا في استمرار مأزق وأزمة الثورة الفلسطينية، وفي مقدمتها حركة فتح.

إن الحديث عن أزمة فتح له جانبان أساسان الأول: ظواهر الأزمة وتجلياتها، والثاني: انفجارات الأزمة وأحداثها.

ظواهر الأزمة

لقد تجلت الجذور العميقة لأزمة فتح والتي تعرضنا لبعضها فيما تقدم، في العديد من الظواهر التي رافقت مسيرة الحركة منذ تأسيسها حتى الآن، وبأشكال عديدة ومتنوعة، وذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتطورات العامة الداخلية والخارجية التي شهدتها الساحة الفلسطينية والعربية.

وسنعرض فيما يلي أبرز هذه الظواهر في مختلف المجالات وعلى كافة الأصعدة.

في المجال الفكري والنظري

إن التركيب الفكري والنظري للقيادات الأساسية لحركة فتح قاد إلى بناء تنظيم ذي طبيعة جبهوية يضم العديد من الاتجاهات والتيارات الفكرية والسياسية، ومن منابت إيديولوجية وتنظيمية متباينة، ومن هنا استحال تأسيس وبناء وبلورة هذا التنظيم على قاعدة نظرية وفكرية توحد رؤيا التنظيم من مختلف القضايا الفكرية والنظرية وتصيغ له بالتالي منهجًا موحدًا في محاكمة الأمور وتحليلها لا على المستوى الإيديولوجي، ولا على المستوى الاقتصادي الاجتماعي الطبقي، ولا على مستوى رؤية خريطة التناقضات على الصعيدين العربي والعالمي.

إن مجموعة هذه القضايا ليست ترفًا ذهنيا تستطيع الحركة أن تبقى بمنأى عنها، ولا بد أن تفرض نفسها كل يوم من خلال التطورات الجارية والتساؤلات المطروحة، وبفعل الاحتكاك المباشر بأحزاب وقوى سياسية عربية ودولية وتنظيمات فلسطينية تمتلك إلى هذا الحد أو ذاك موقفًا فكريًا ونظريًا من مختلف القضايا المطروحة.

ولما كان مستحيلاً أن تبلور القيادة موقفًا نظريًا وفكريًا موحدًا من مختلف القضايا المطروحة، ولما كان مستحيلاً بالمقابل أن يبقى أعضاء الحركة

وكوادرها بمعزل عن الخوض في هذه القضايا الفكرية والنظرية، فقد كثرت الاجتهادات والآراء والمواقف المعبرة عن وجهات نظر أصحابها، وعن خلفياتهم الفكرية والثقافية، ولكنها لم تكن تعبيرًا عن وحدة موقف حركي في لحظة من اللحظات. ومن هنا كان بالإمكان تلمس بداية بلورة للعديد من الاتجاهات والتيارات التي ترافقت مع تشكيل الحركة، ثم تعمقت وتبلورت على امتداد السنوات اللاحقة، وأخذت في العديد من الحالات أشكالاً تنظيمية لها مواقفها النظرية والفكرية المتميزة، ولها برامجها السياسية الخاصة.

هذا التجلي العملي للفرز الفكري والنظري داخل الحركة أدى إلى وجود شكلين من أشكال الصراع.

- الصـــراع الأفقي بين هــذا الاتجاه أو ذاك مــع نقيضه من بين أعضاء القيادة المركزية.
- الصـــراع العمودي بين مختلف هذه الاتجاهــات في قاعدة الحركة نفسها.

وهذه الاتجاهات والتيارات لم تتشكل دائمًا بمعزل عن أعضاء القيادة المركزية، بل كثيرًا ما كانت تلقى الدعم والحماية من هذا القائد أو ذاك، لأنها تمنحه قوة إضافية داخل الحركة، وخصوصاً بعد أن استشرت ظواهر الفردية والاستزلام ومراكز القوى داخل الحركة.

وعلى قاعدة هذه الخلافات النظرية والفكرية، وبالارتباط المباشر بالقضايا السياسية المتصلة بها تبلورت عدة اتجاهات أساسية توزعت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

كان هذا هو واقع فتح غير القابلة للقسمة أو الانشقاق عشية الانفجار الكبير للأزمة في أيار 1983.

في المجال السياسي

لعل ظواهر الأزمة في المجال السياسي أكثر وضوحًا داخل حركة فتح بفعل ما تسببه المواقف السياسية من احتكاك علنـي مباشر بين مختلف الاتجاهات.

إن منطلق أي موقف سياسي هو بالأساس منطلق فكري طبقي، وعندما يتم الإعلان عن موقف سياسي، فإن الاتجاهات الأخرى ذات المنطلقات الفكرية والطبقية المختلفة، سواء كانت في مواقع القيادة المركزية أو في

مواقع القاعدة، لا تلبث بدورها أن تتخذ موقفًا متباينًا أو متناقضاً.

ومع تراكم صدور المواقف السياسية المتناقضة والمتباينة من مختلف الاتجاهات، فإن ذلك قد قاد بالنتيجة إلى بلورة أكثر من نهج سياسي له رموزه وتعبيراته وعلاقاته وتحالفاته على كافة الأصعدة.

ويكفي هنا أن نشير إلى بعض العناوين السياسية البارزة وما رافقتها من مواقف، لنكشف حجم التناقضات والتباينات السياسية داخل حركة فتح:

- الموقف من النظام الأردني وطبيعة العلاقة معه كالحوار معه بعد أيلول 70.
- الموقف من شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.
- الموقف من عبد الناصر بعد الموافقة على مشروع روجرز.
- الموقف من العمليات الخارجية وأيلول الأسود.
- الموقف من برامج التسوية بداية بعد أيلول، بمبادرة عدد من يسار فتح (أبو صالح وماجد أبو شرار ثم طرح الحلول المرحلية على يد الجبهة الديمقراطية ونايف حواتمه وصولاً إلى برنامج النقاط العشر بعد حرب تشرين 73 الذي جعل فتح تنقسم بين الرفض والقبول.
- الموقف من التحالفات مع المنظمات الفدائية.
- الموقف من التحالفات مع الأنظمة العربية.
- الموقف من التحالفات داخل الساحة اللبنانية (أحزاب الحركة الوطنية، أمل، الدكاكين التي تم فتحها وتدعيمها).
- توقيت صدور الموقف بالنسبة لاتفاقات كامب ديفيد.
- الموقف من العلاقات مع القوى اليهودية والصهيونية.
- الموقف من المبادرات الأوربية.
- الموقف من مبادرة الأمير فهد.
- الموقف من مشروع فاس.
- الموقف من مبادرة بريجنيف.
- الموقف من الكونفدرالية.
- الموقف من مشروع ريغان.
- الموقف من إعادة العلاقات مع مصر السادات.

- الموقف من التحالفات العربية بعد بيروت.
- الموقف بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية.

إن مجموعة هذه المواقف ليست سوى عينات بارزة من الموضوعات التي جرت حولها خلافات أو تناقضات حادة بين مختلف الاتجاهات والتيارات داخل فتح على مدار السنوات الماضية.

وإذا ما تأملنا حجم هذه الخلافات والتناقضات السياسية في صفوف حركة فتح لوجدنا أنها أقل بكثير من خلافات القيادة المتنفذة في الحركة مع العديد من الفصائل الفلسطينية.

وقد انعكست هذه الخلافات السياسية وما ترتب عليها من مواقف وتحالفات على العديد من الميادين. ويكفي هنا أن نذكر ما كان يحدث في السنوات الأخيرة في الميدان النقابي، وحيث بتنا نشهد أكثر من قائمة انتخابية من داخل حركة فتح نفسها تخوض المعركة الانتخابية، أو أن يتحالف اتجاه من فتح مع تنظيم فلسطيني آخر ليخوض المعركة الانتخابية ضد قائمة أخرى من فتح متحالفة مع تنظيم أو تنظيمات أخرى.

أكثر من ذلك فقد كان يتم الاتفاق الداخلي في فتح على قائمة انتخابية موحدة على أساس الاتجاهات والتيارات ومراكز القوى وعلى أساس تمثيل المرشح لهذا القائد أو ذاك.

ورغم ذلك ظلت فتح (موحدة) وغير قابلة للقسمة أو الانشقاق.

في المجال التنظيمي

التنظيم هو توسط بين الفكر والممارسة، وهو صلة الوصل بين البرنامج السياسي والجماهير.

ويستمد التنظيم قوته وفعاليته من وحدة موقفه الفكري والسياسي ومن استكمال الحد الأدنى لشروط بناء التنظيم على قاعدة القوانين الأساسية التي لا غنى عنها لأي عمل تنظيمي: المركزية الديمقراطية، وخضوع الأقلية للأكثرية، والهيئات الأدنى للهيئات الأعلى، والنقد والنقد الذاتي والانضباط والمبادرة والسرية والالتزام . . . الخ . .

وفي ظل هذه الشروط الفكرية والسياسية والتنظيمية يستطيع التنظيم أن يتحرك قبضة واحدة بسرعة وفعالية في مجال الممارسة العملية المنوطة به، وفي نسج العلاقات العضوية بالجماهير لانجاز مهمات الثورة وبرنامجها.

ما هي في المقابل صورة الوضع التنظيمي في حركة فتح؟

إن غياب الموقف الفكري والسياسي الموحد، وبروز العديد من الاتجاهات والتيارات الفكرية والسياسية المتباينة والمتناقضة، كان سيقود بالضرورة إلى تفتيت العمل التنظيمي وإصابته بالشلل، وعدم قدرته على القيام بصورة موحدة بانجاز أي من المهام المطلوبة منه.

بل إن هذا الوضع قد أدى، كما بيّنا، إلى تشكيل العديد من التنظيمات والتكتلات داخل جسم الحركة، وإلى ارتباط العديد من أعضاء التنظيم بهذا القائد أو بذاك المسؤول.

ولم تعد هناك جهة مركزية قادرة على إصدار قرار أو موقف موحد لمجموع أعضاء الحركة. أكثر من ذلك فقد افتقد أبناء الحركة منذ سنوات طويلة حتى إلى وجود تعميم داخلي رغم وجود مكتب للتعبئة والتنظيم ومكتب للدراسات الحركية . . . الخ . .

وما كان يصدر أحيانًا من تعميمات متباعدة أو نشرات حركية أو كتيبات إنما كانت تعبر بالدرجة الأولى عن آراء أصحابها، كما أنها كانت تصدر في معظم الأحيان نتيجة مبادرة فردية، ثم لا تلبث أن تتوقف.

إن هذا الواقع التنظيمي يكشف خللاً مركزيًا آخر يتصل برؤية القيادة المتنفذة لدور التنظيم ولمسألة العلاقة بالجماهير . . ذلك أن وجود تنظيم قوي ومتماسك قادر على المراقبة السياسية والمحاسبة التنظيمية لكل من يخرج على شعارات الحركة وأهدافها ومبادئها العامة سيشكل قيدًا على تحرك هذه القيادة ويلجم توجهاتها، ويحول بينها وبين التفرد باتخاذ المواقف والقرارات والإجراءات.

من هنا لم يكن من مصلحة هذه القيادة أن يقوى التنظيم أو أن يمارس دورًا فاعلاً في مسيرة الحركة.

إن ذهنية القيادة البرجوازية إذا لم تحسم خياراتها الفكرية والطبقية إلى جانب الجماهير الكادحة من أبناء المخيمات، فستظل تشعر بالخشية وعدم الثقة بهذه الجماهير، حتى وهي ترفع شعاراتها وتتبنى برنامجها الوطني، بل هي تكافح ضد أن تتبلور بين صفوف هذه الجماهير قوى منظمة قد تشكل خطرًا على مواقعها، والتاريخ العربي الحديث حافل بنماذج عديدة لعل التجربة الناصرية من أشهرها وأوضحها.

ولكن هذه القيادات من البرجوازية الصغيرة تظل رغم ذلك بحاجة إلى

قوى وأدوات تلتف حولها، فما هو البديل؟

بالنسبة لحركة فتح كان البديل من شقين:

الأول: أن يكون التنظيم مجرد تجمع كمي منضو في الإطار العريض لحركة فتح.

الثاني: الاعتماد بصورة أساس على الأجهزة والمؤسسات، وهذا يحتاج إلى وقفة خاصة.

الأجهزة والمؤسسات

يرتبط وجود الأجهزة والمؤسسات في الذهن العام بوجود الدولة، نظرًا لما يحتاجه عمل الدولة عمومًا من تنظيم وتقسيم للمهام والوظائف المتعددة والضخمة في كافة الميادين، ونظراً لاحتياج الدولة إلى أدوات جاهزة للمتابعة والتنفيذ.

أما بالنسبة للتنظيم الثوري فإن حاجته إلى الأجهزة والمؤسسات لا تكاد تذكر وذلك لسببين الأول: طبيعة المهام المطلوبة، والثاني: الاعتماد على التنظيم الثوري في إنجاز هذه المهام.

ولو تفحصنا بعض المهمات المطلوبة من الأجهزة والمؤسسات الحالية في داخل فتح لأدركنا طبيعة الخلل في هذا المجال، ولنأخذ على سبيل المثال جهاز الأمن ومؤسسة الإعلام.

إن الوضع الطبيعي لجهاز أمن التنظيم الثوري، هو أن يعتمد بصورة أساسية على أعضاء التنظيم في المهام الأساسية المطلوبة منه، وهي جمع المعلومات والمتابعة . . ذلك أن أعضاء التنظيم في مواقع عملهم وانتشارهم في مختلف المجالات، يشكلون عيونًا وآذانًا للثورة، وهم يقدمون ما يتوصلون إليه من أخبار أو معلومات لمرجعهم التنظيمي وصولاً إلى الجهة المختصة، وهذه الجهة هي الكادر المركزي المنوط به الموضوع الأمني، والذي تنحصر مهمته الأساس في عملية فرز ودراسة التقارير الأمنية، ثم ترفع نتائج هذه الدراسات للقيادة السياسية.

وإذا ما احتاجت بعض المسائل الخاصة متابعة أمنية دقيقة يكلف أعضاء التنظيم بها، أو يفرز لها عدد محدود لمتابعتها أو لاتخاذ بعض الإجراءات الأمنية المطلوبة إذا لزم الأمر.

إن أمن الثورة هو أمن سياسي بالدرجة الأولى، ولا علاقة له بعمل المخبرين.

في المقابل ما هي صورة الجهاز الأمنـي في حركة فتح؟
لم يكن هناك بداية جهاز واحد للأمن بل العديد من الأجهزة الأمنـية:
- الأمن المركزي (أبو الهول)،
- الأمن الموحد (أبو إياد)،
- أمن ال17 (أبو حســن سلامه ثم أبو الطيب، وهو تابع لياسر عرفات)،
- الأمن العسكري (أبو الزعيم)،
- أمن الإقليم في لبنان (راجي مصلح)،
- أمن الأقاليم الأخرى.

ويكاد ينحصر عمل معظم هذه الأجهزة الرئيس على بيروت ولبنان، بما فيها الأمن العسكري. وقد وصل عدد المتفرغين في هذه الأجهزة إلى الآلاف.

وتحولت الأجهزة الأمنـية إلى مراكز قوى ودخلت في صراعات جانبية مع بعضها البعض ومع القوى والاتجاهات السياسية في الحركة. هذا عدا عن مستوى الخراب والفساد الذي وصلت إليه هذه الأجهزة، ولا داعي للخوض في التفاصيل.

هذا العدد الضخم من المتفرغين في الأجهزة الأمنـية هو الذي تحول جزئيًا إلى بديل للتنظيم الثوري في هذا المجال وبات مكلفًا بالمهام الأساس المطلوبة منه.

ومثل هذه الوضعية تشكل بالنسبة للقيادة المركزية المتنفذة غاية المراد، فالتلفون يكفي لتحريك المجموعات بالاتجاه المطلوب، فلماذا يتم بناء تنظيم ثوري يراقب ويحاسب؟

والعمل الإعلامي بدوره ظل إلى وقت طويل يعتمد على عدد قليل من الكوادر المتفرغة والمتخصصة بينما يقوم أعضاء التنظيم تطوعيًا في إنجاز مختلف المهام المطلوبة في العمل الإعلامي، وكان نتاج الجهد المقدم آنذاك أكثر فعالية وجدوى. فالجهاز الإعلامي لم يعد جهازًا واحدًا وأصبح عدد المتفرغين في هذه الأجهزة والمؤسسات الإعلامية يعد بالمئات، فهناك «فلسطين الثورة» و«فلسطين المحتلة» و«العاصفة» و«الهلال» و«القدس» و«المعركة»، وجميعها مجلات تابعة لفتح. هذا إضافة إلى مؤسسات «وفا» و«الإعـلام الخارجي» و«الإذاعة» و«السينما» و«الإعلام الجماهيري» . . إلخ. وهذه الأجهزة الإعلامية كانت بدورها خاضعة لذات القانون العام وهي تعبيرها عن خطوط واتجاهات متباينة سياسيًا وفكريًا، وتتبع هذا المركز من مراكز القوى أو ذاك.

أضف إلى ذلك أن الطابع الوظيفي لم يلبث أن سيطر على العاملين في هذه المؤسسات، مما أدى إلى شيوع ظواهر التبعية والاستزلام. وأصبح المرجع الإعلامي لهذا الجهاز أو ذاك ليس برنامج الحركة ومقرراتها، وإنما المرجع هو هذه الجهة القيادية المهيمنة أو تلك.

وكانت النتيجة، مرة ثانية، أن دخلت هذه المؤسسات الإعلامية في صراعات جانبية وشكلت إحدى الظواهر البارزة في أزمة فتح.

في المجال المالي

المال هو عصب كل تنظيم ثوري إذا ما أحسن استخدامه، وهو مقتل كل تنظيم إذا ما أسيء استخدامه. ومن هنا تنبع أهمية وضع الأنظمة المالية الدقيقة للإشراف على أموال التنظيم وأوجه صرفه، في ضوء اللوائح والأنظمة. ولقد كان الوضع المالي في حركة فتح نقيض ذلك، فلا أحد إلا القلة يعرف من أين تأتي الأموال، والقلة فقط تتحكم في صرفها، داخل اللوائح والقوانين إذا وجدت، وخارجها أيضًا.

وكانت أبرز مظاهر الأزمة في هذا المجال تتجلى بالثراء الفاحش الذي يتمتع به البعض والفقر المهين الذي تعيش به الأكثرية. الامتيازات التي لا يتمتع بها أمير نفطي في جانب والحرمان الذي يفوق كل وصف في جانب آخر.

ولقد كان المقاتل والعضو العادي المتفرغ للثورة يسأل نفسه على الدوام: لقد وهبت حياتي للحركة، أليس مطلوبًا بالتالي من هذه الحركة، ما دامت تملك كل هذه الامكانات، أن تؤمن لي ولأولادي الحد الأدنى من شروط العيش؟

كانت مخصصات الجميع دائمًا اقل بكثير من احتياجاتهم حتى بالحد الأدنى، وكان كما يبدو ثمة مخطط مبرمج بترك الأمور على هذه الشاكلة، حتى يضطر العنصر للجوء إلى المسؤول لحل مشكلاته المعيشية، وكان المسؤول بدوره يلجا إلى هذا القائد أو ذاك لتامين احتياجاته، وبهذا يتحقق خضوع المراتب الأدنى للمراتب الأعلى دون حاجة إلى تنظيم ثوري أو إلى مركزية ديمقراطية! حتى باتت عضوية الحركة، كما أسبقنا، مقتصرة على كشوفات «فؤاد» المالية. لقد اتخذ المؤتمر الرابع لحركة فتح قرارًا برفع مخصصات جميع أعضاء الحركة بما يتلاءم مع غلاء المعيشة الهائل، وكذلك بوضع اللوائح المالية لضبط كافة العمليات المالية، ولكن وكما جرت العادة فقد ضربت هذه القرارات بعرض الحائط، حتى تستمر السيطرة على الحركة بواسطة المال.

وقد انعكست الامتـيازات والفوارق الداخلية على نمط العلاقات الحركية، وبروز حالة دائمة من التوتر والتذمر والشكوى بين صفوف العناصر.

إن مظهر الأزمة الداخلية في المجال المالي كان من أخطر الظواهر كما كانت من بين الأسباب الهامة التـي دفعت آلاف المقاتلين والأعضاء لترك الحركة والهجرة إلى الخارج وخاصة إلى برلين وألمانـيا الغربية ودول الخليج، ما اضطر القيادة المتنفذة إلى البحث عن بدائل لهؤلاء وخاصة في المجال العسكري من بنغلادش وغيرها.

في المجال العسكري

كان انعكاس الأزمة في المجال العسكري من أكثر مظاهر الأزمة بروزًا وخطورة، وقد تجلى ذلك في العديد من المجالات. وقد جاءت المؤشرات المبكرة لهذه الأزمة قبل أيلول 1970 في الأردن عندما تم فصل القوات العسكرية عن التنظيم المسلح (الميليشيا) وعندما استحدث على سبيل المثال جسم مسلح جديد وغريب هو «القواعد الثورية» في الجبل الأخضر بعمان، وقاعدة الشيوخ في الأغوار الشمالية.

وقد سادت آنذاك نغمة العسكري والسياسي، في الوقت المفترض فيه أن يمارس أعضاء التنظيم الثوري مهام متعددة ومتكاملة في المجالات العسكرية والسياسية والإعلامية . . . الخ.

وقد ترافق مع هذه الظاهرة بروز أشكال استعراضية، إعلامية للعمل العسكري بديلاً عن تصعيد وسائل القتال الجماهيري والمسلح بصورة تنسجم مع كل مرحلة من مراحل تطور العملية الثورية . . . . من العمليات الفدائية إلى حرب العصابات إلى حرب التحرير الشعبية .

وفي ظل هذه الذهنـية الاستعراضية، اتخذت العمليات العسكرية شكلاً نظاميًا، مما استدعى الاستعانة بعدد من الضباط القدامى في الجيش الأردنـي، وولّد بالتالي انعكاسات سلبية في علاقة هؤلاء بالمقاتلين. وقد كان ذلك البذرة الأولى التـي ولّدت لاحقًا الفكرة الأخطر وهي تجييش القوات الفدائية على غرار الجيش الأردنـي، بعد أيلول 70.

هذا التجييش يعنـي أن تسود علاقات الجيش النظامي الداخلية في صفوف الثوار من حيث الرتب العسكرية وفروقات الرواتب والأقدمية والترفيع على أساسها، وحتى بأداء التحية العسكرية.

وقد كان هذا القرار غريبًا ومستهجنًا داخل قوات العاصفة، ولذلك عمدت إلى رفضه بقوة، واتخذ هذا الرفض شكل تمرد عسكري في قطاع الجولان آنذاك.

غير أن التراتبية العسكرية كانت تشكل بالمقابل وضعًا نموذجيًا بالنسبة للقيادة المركزية المتنفذة لما تحققه لها من إمكانية التحكم والسيطرة على جسم القوات.

وقد اتخذ هذا الوضع شكل أزمة من نوع آخر بين قوات العاصفة وقوات اليرموك التي غادرت الجيش الأردني والتحقت بالثورة، وكانت القيادة حريصة على هذه الثنائية، ولهذا لم تلجأ عند التحاقها بحركة فتح، بعد أيلول 70، إلى دمج هذه القوات بجسم قوات العاصفة.

وعلى مدار السنوات اللاحقة اتخذت الأزمة في المجال العسكري أشكالاً متعددة سواء على مستوى العلاقات الداخلية أو على مستوى الوضع القتالي إلى أن وصلت الأمور في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني في آذار 1978 إلى حد إعلان هدنة عسكرية، وتوقفت العمليات الفدائية من جنوب لبنان منذ ذلك الوقت، باستثناء عدد من العمليات الخاصة أو من العمليات الإسرائيلية المحدودة.

هذا الوضع اللاقتالي الذي عاشته القوات من عام 1978 إلى عام 1982 جعلها أكثر التفاتًا لأوضاعها الداخلية، وللظروف الصعبة التي يعيشها المقاتلون، وفي المقابل تراقب ما يتمتع به كبار الضباط من امتيازات، وما يحققه البعض من صفقات تجارية هنا وهناك . . .إلخ

وهذا ما دفع الكثيرين، كما أسلفنا، لترك الثورة، حيث جرى استبدالهم بمتعاقدين من بنغلادش.

وكان ذلك تعبيرا صارخا عن المستوى الذي وصلته الأزمة في المجال العسكري.

في مجال العمل السياسي في صفوف القوات

ويتفرع عن الأزمة في المجال العسكري مظهر أخر من مظاهر الأزمة وهي أزمة العمل السياسي في صفوف القوات، والدور الذي يمكن أن يلعبه المفوضون السياسيون في هذا المجال. ولا شك أن غياب وحدة الموقف السياسي والفكري في الحركة كان سينعكس تلقائيًا على العمل السياسي بين المقاتلين بصورة سلبية بالغة.

ومن هنا لم تكن صدفة أن جهاز التفويض السياسي لم يستقر على وضع أو على خطة محددة طوال السنوات الماضية، وكثيرًا ما كان ينعدم أي وجود له، وحين ينشط أحيانًا للعمل في إطار بعض المبادرات فأنه كان يصطدم بموضوعات شائكة من طبيعة سياسية وتنظيمية من نوع تحديد الموقف السياسي أو صلاحيات المفوض السياسي وفي كيفية حل المشكلات المزمنة للمقاتلين . . إلخ.

في المجال المسلكي

كيف يمكن تفسير ظواهر الفساد والإفساد والتدهور الأخلاقي الذريع الذي لحق بالعديد من الأجهزة؟

وكيف يمكن تفسير عدم المحاسبة على هذه الأخطاء والخطايا الفاحشة التـي يمارسها بعض المحسوبين على الثورة؟

إن واقع الأجهزة وتعدد مراكز القوى، ومحاولة كل طرف تضخيم أعداد العاملين معه، جعل كل جهاز يحرص على حماية المحسوبين عليه والدفاع عنهم بل وتقديم شتى الإغراءات لهم.

وهذا الوضع أتاح للعديد من هذه الأجهزة أن تطلق يد العاملين فيها على عواهنها دون حسيب أو رقيب، وتمارس ما تشاء من المسلكيات وتقوم حتى بفرض الخوّات كما تريد.

ولم تقتصر هذه المسلكيات على عناصر الأجهزة وحدها، بل كانت قد بدأت قبل ذلك بممارسات مسلكية شاذة من بعض الذين يحتلون مواقع أساسية في هذه الأجهزة، وبلغ بعضهم في هذا المجال شأوًا بعيدًا، وأصبحت بعض الأسماء رموزًا معروفة لدى الجميع.

حتى لقد بلغ ثمن السيجار الفاخر الذي يدخنه أحدهم في الشهر ما يزيد على مخصصات ثلاثة أو أربعة مقاتلين يفتقد أبناؤهم لمجرد الخبز أو الحليب.

وقد انعكست هذه الممارسات على الجماهير بصورة سلبية بالغة الخطورة، سواء في المخيمات أو في المدن اللبنانـية، حتى أصبح السلاح بيد هؤلاء مصدرًا للقلق والخوف بدل أن يكون مصدرًا لإحساس هذه الجماهير بالثقة والأمان.

لقد ترافق هذا التدهور الأخلاقي والمسلكي الذريع مع سيادة نهج التسوية في الساحة الفلسطينـية، ومع حاجة القيادات المتنفذة إلى أدوات من هذا الطراز لضبط الأمور بما ينسجم مع توجهاتها السياسية، مما يؤكد

الحقيقة القائلة: إن لنهج التسوية أدواته ورموزه، كما أن لنهج التحرير أدواته ورموزه، ولكل من هذه الأدوات مسلكياتها وأخلاقها كما كشفت التجربة. ولا شك أن سيادة هذا النهج هي التي تفسر العديد من الظواهر السلبية التي تعرضنا لها في مختلف المجالات.

إن التنظيم الثوري وهو يطرح أهدافه، ويرسي العلاقات الرفاقية بين مناضليه، وحيث تشيع روح العدالة بين أعضائه. مثل هذا التنظيم الذي يلفظ من صفوفه كل أشكال التعفن والفساد ويؤسس لممارسات ثورية ومسلكية نظيفة إنما يشكل في وجدان أعضائه وفي وجدان الجماهير، النموذج المصغر لمجتمع الغد الذي يناضل المقاتلون والجماهير للوصول إليه.

ولكن عندما يتحول هذا التنظيم إلى نقيضه وتشيع فيه العلاقات الخاطئة والظواهر السلبية فإن معنى ذلك هو الدخول في أزمات لا تنتهي.

وسيسعى المخلصون والشرفاء، في المقابل، إلى محاولات لا تنتهي من أجل الإصلاح والتغيير، وهذا الصراع بدوره يأخذ شكل أزمة جديدة، حتى وإن كان هدفها وأسبابها تخليص التنظيم من أزماته الحقيقية. غير أن العملة الرديئة ظلت بدعم القيادات اليمينية المتنفذة، أقدر على طرد العملة الجيدة وإن إلى حين.

الفصل الثالث:
انفجارات الأزمة

إن الجذور الأساس لأزمة فتح وظواهرها المختلفة في كافة المجالات، كان لا بد أن تؤدي إلى انفجارات متتالية تأخذ أحيانًا شكل التمرد التنظيمي، كما تأخذ أحيانًا شكل التمرد العسكري أو الانفجار العسكري.

وتتفاوت أهمية ما شهدته حركة فتح من انفجارات تنظيمية وسياسية وعسكرية على امتداد السنوات الماضية، قياسًا لحجم الحركة في كل مرحلة، ولحجم الانفجار نفسه وانعكاساته، وبسبب طبيعة الظروف الداخلية والفلسطينية والعربية المحيطة به.

هذه المستويات المتفاوتة في حجم انفجار الأزمات التي شهدتها فتح منذ انطلاقتها، لا تقلل من أهميتها ودلالتها، لأنها تكشف عمق الأسباب الحقيقية الكامنة في تركيب الحركة، والتي جعلها تشهد هذه السلسلة المتواصلة من الهزات والانفجارات.

إن هذا المدخل لقراء ة انفجارات الأزمة داخل فتح لا يلغي مشروعية السؤال: لماذا لم تصل هذه الانفجارات إلى حدود الانشقاق، باستثناء ظاهرة المجلس الثوري بقيادة أبو نضال (صبري البنا)؟.

الإجابة عن هذا السؤال تكمن، في تقديرنا، في ما يلي:

أولاً: إن حركة فتح تشكل حاضنة وطنية عريضة، رغم العديد من المؤشرات الخطيرة لاتجاهات قيادتها المتنفذة باتجاه التسوية. وما دام برنامج

فتح ومواقف قيادتها لم يتجاوز الخط الأحمر، فإن ذلك لم يدعو إلى عملية تمرد سريعة أو متسرعة خلال المرحلة السابقة، وخاصة قبل بيروت.

ثانيا: إن تركيبة حركة فتح كتجمع وطني عريض، وفي ظل المواصفات التنظيمية التي عرضنا لها، كانت تتيح عمليًا إمكانية بلورة مختلف الاتجاهات والتيارات سواء على شكل تنظيمات أو تكتلات. وكانت هذه التنظيمات والتكتلات قادرة على التعبير عن مواقفها وتمايزاتها بل ورفضها الحاسم والمعلن للعديد من مواقف القيادة المتنفذة وتوجهاتها. ومثل هذا الوضع لا يدفع إلى عمليات الانشقاق والقسمة، ذلك أن كل طرف واتجاه يستطيع أن يراهن بأن الأوضاع يمكن أن تتطور لصالحه، مثل تنظيم الغربي، الكتيبة الطلابية، حركة التحرير الشعبية، ثم تيارات تتصل بمواقع مثل شؤون الأردن، العلاقات الخارجية . . إلخ.

ثالثا: وجود أدوات قمع جاهزة لدى القيادة المركزية لضرب أي تنظيم مسلح ينمو داخل الحركة بتناقض كامل معها، ولا يجد الدعم والحماية من هذا العضو أو ذاك من أعضاء اللجنة المركزية، كما حدث مع مجموعة ناجي علوش في الدامور والجنوب، حيث تم قمعها بقوة السلاح، كما تم إعدام اثنين من أعضاء التنظيم.

وفي هذا السياق، فإن نجاح ظاهرة المجلس الثوري التي قادها أبو نضال إنما تتصل أساسًا بوجودها في العراق، وفي بعض الدول الأوربية والعربية . . حيث لا تطالها أجهزة القمع المعروفة.

هذه العوامل الثلاثة الأساس لعبت دورًا هامًا في عدم حدوث انشقاقات وانقسامات في جسم الحركة. ولكن عندما تلاشت هذه العوامل أو ضعفت بعد الخروج من بيروت حدث الانفجار الكبير في أيار 1983.

يضاف إلى العوامل السابقة عوامل أخرى شكلت بدورها عناصر إضافية ساهمت بعدم وصول الأمور أو الأزمات المتفجرة إلى دائرة الانقسام، ومن بينها أن ياسر عرفات قد تحول في الذهن العام إلى رمز وطني للنضال الفلسطيني، وكان يصعب مواجهته في ظل هذه الحالة، وقبل أن تكتشف الجماهير توجهاته السياسية الحقيقية، كما حدث بعد بيروت (الكونفدرالية، الاتصال بالصهاينة، العلاقات مع مصر، التحالف مع الرجعيات العربية، البحث عن دور في التسوية الأميركية، الممارسات والإجراءات الداخلية التي أعقبت الحرب).

وكذلك هناك طبيعة الارتباط المادي والمعيشي بالحركة والذي كان يجعل العديد من هؤلاء يتريثون قبل اتخاذ مواقف ذات طابع قد يؤدي إلى الانشقاق. هذا إضافة إلى الأزمات التي يمكن أن يواجهها المنشقون على صعيد الأمن الذاتي والإقامة والتنقل وجوازات السفر . . إلخ، والتي كان يؤمنها وجوده في الحركة.

إن الحديث عن الانفجارات التنظيمية والعسكرية التي شهدتها حركة فتح، لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذه الانفجارات لا تعني بالضرورة أنها قد جاءت تعبيرًا مباشرًا عن الجذور الأساس لأزمة فتح، أو أنها حدثت في جميع الحالات لإخراج الحركة من أزمتها ومأزقها.

فالعديد من الانفجارات تمت على أرضية التباسات مختلفة يتداخل فيها العامل الذاتي بالموضوعي، أو تتم بتأثير عوامل خارجية، أو كجزء من صراع مراكز القوى المختلفة . . . الخ. غير أننا إلى جانب هذه الانفجارات الملتبسة على الصعيد السياسي والفكري، هناك انفجارات عديدة أخرى ذات طابع فكري وسياسي محدد وتتصل مباشرة بصلب التركيب الطبقي والفكري للقيادة المؤسسة ولتوجهاتها ومواقفها السياسية.

غير أن جميع هذه الانفجارات تكشف عمق الأزمة في حركة فتح وتؤشر إلى جذورها وأسبابها الحقيقية، وما عكسته من ظواهر سلبية عديدة في مختلف المجالات، مما جعلها أي الحركة أرضية صالحة لانفجار مختلف أشكال الأزمات السياسية وغير السياسية، سواء اتخذت أشكالاً تنظيمية أو عسكرية.

أبرز الانفجارات الداخلية

سيطول بنا الحديث كثيرًا إذا ما توقفنا بصورة مفصلة أمام كافة الانفجارات السياسية والعسكرية والتنظيمية التي مرت بها الحركة، ولذلك سنكتفي بالإشارة لها، مع التوقف قليلاً عند أبرزها.

لقد شهدت حركة فتح نوعين من الأزمات المتفجرة أحدها داخلي يرتبط بصراعات الحركة الداخلية، خاصة في البداية حول توقيت الانطلاقة، والآخر الأزمات التي حدثت مع التنظيمات التي دخلت الحركة أو اتحدت معها ثم خرجت منها.

أولاً: انفجار الأزمة مع تنظيم الكويت (1965 - 1966)

مع انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة بقيادة فتح في 1965/1/1

ومع دخول النظرية حيز الممارسة العملية، بدأت تتشكل البذور الأولية للخلافات الداخلية. وقد تركز الخلاف آنذاك حول المسائل التنظيمية والمسلكية المتصلة بالممارسة، ولم تبرز إلى السطح موضوعات خلاف ذات طبيعة سياسية، باستثناء بعض الاتهامات للقيادة العسكرية الموجودة في سوريا، بأنها تسعى لتجيير الحركة لحزب البعث. وكانت هذه الاتهامات جزءًا من المعركة الداخلية، دون أن يكون لها أساس من الصحة كما تبين ذلك بوضوح فيما بعد.

لقد كانت الساحة الكويتية تشكل الساحة المركزية لحركة فتح آنذاك، فمن المعروف أن تأسيس الحركة تم هناك، وقيادتها المركزية كانت تتواجد أساسًا في الكويت وعدد من دول الخليج وخصوصاً قطر.

أضف إلى ذلك الدور المالي الذي كان يلعبه تنظيم الكويت في توفير الشروط المادية للعمل العسكري الذي يقوده فرع دمشق، وحيث كان يتواجد ياسر عرفات وعدد من القيادات الأساسية.

مع نهاية عام 1965 بدأت تتضح موضوعات الخلاف بين فرع الكويت وفرع دمشق حول المسائل التالية:

- المسألة التنظيمية وممارسات عرفات الفردية،
- أسلوب العمل العسكري ومسألة التفرغ في الحركة.
- الموقف من وحدة العمل الفلسطيني.
- الجانب المسلكي في ممارسات عرفات.

وقد وصلت الأزمة ذروتها في نيسان 1966 حين أصدرت اللجنة المركزية العليا للحركة بيانًا سحبت بموجبه الثقة من عرفات وأحالته إلى التحقيق.

ونظرًا لأهمية هذا البيان - الوثيقة، نجد من المفيد نشره كاملاً:

« أيها الأخوة . . .تحية الثورة والعودة!

بناء على قرار اللجنة المركزية العليا للحركة الصادر بتاريخ 1966/4/29 وكذلك القرار الصادر بتاريخ 1966/5/2 والذي تم بموجبه ما يلي:

سحب الثقة من عضو الحركة السابق محمد ياسر عرفات القدوة الملقب بجرير رؤوف، الدكتور أبو عمار، وإحالته إلى التحقيق فورًا وذلك للأسباب التالية:

- تقديم تقارير كاذبة ومشوهة عن العمل، وخاصة في المجال العسكري.

- التمرد على القرارات الجماعية التي أصدرتها قيادة الحركة.
- تحريض بعض القواعد على قيادة الحركة بطريقة لا اخلاقية.
- اتباعه سياسة الاستزلام ومحاولة شراء ضمائر إخواننا المناضلين.
- تبديد اموال الحركة بأساليب غير مسؤولة.
- إفشاؤه أسرار الحركة إلى عناصر خارج الحركة.
- قيامه برحلات وسفرات سرية إلى قبرص وبيروت والسعودية بدون إذن من الحركة ورفضه تقديم تقارير عن أسباب سفراته هذه.
- قيامه بتصرفات فردية في المجال العسكري، منها: محاولة ضرب أنابيب التابلاين في الأراضي العربية السورية، مخالفة مخطط الحركة المرحلي في المجال العسكري وذلك بضربه أهدافا قريبة جدًا من الحدود العربية مما يسبب الدمار لبعض القرى العربية الامنة، وإثارة نقمة سكان الخطوط الأمامية من أبناء شعبنا على الحركة.
- رفضه المثول أمام اللجنة التي شكلت خصيصاً للتحقيق معه في الأمور الواردة أعلاه.

واستنادًا لما سبق ذكره ينفذ الآتي:

1) يمنع الاتصال الحركي مهما كان نوعه بالعنصر المذكور.
2) يتم تسليم كافة إمكانات الحركة من اموال واسلحة وعتاد، وذلك بعد جردها، والتي هي بحوزة الاعضاء إلى المسؤولين - مجلس الطوارئ، بالطريقة النظامية التسلسلية.

ايها الاخوة: إن القيادة لعلى ثقة بان كافة مناضلي الحركة على استعداد لتحمل مسؤولية الاستمرار في مسيرتنا الثورية، وبشكل اقوى واعظم مما كانت عليه. وذلك بعد ان طهرت القيادة صفوف الحركة من العناصر التي طالما عرقلت مسيرة شعبنا الجبار نحو التحرير والعودة. عاشت فلسطين حرة عربية، وإننا عائدون.»

إذا ما استثنينا عددًا من الاتهامات والمسائل الجانبية الواردة في البيان، فسنجد ان جوهر الازمة إنما يكمن بتمرد عرفات ومن معه في فرع دمشق في العمل خارج قرارات اللجنة المركزية. ولا شك ان وجود عرفات في ساحة

المعركة وتوليه العديد من الصلاحيات كان يضعه في الموقع الموازي للقيادة المركزية في الكويت.

وخلال هذه الأزمة تداخلت معها أزمة ثانية تمثلت باغتيال النقيب يوسف عرابي وأثرت كما سنرى على مجرى الصراع الداخلي في الحركة.

وقد تم تطويق هذه الأزمة نهاية عام 1966، ولكن على حساب خروج عضوين قياديين من الحركة هما عادل عبد الكريم وعبد الله دنان.

ثانياً: تمرد في الكويت (1966)

قبل أن تستقر الأوضاع بعد الأزمة الأولى حدث تمرد في الكويت أقل شأناً، وكان من بين عناصره الدكتور فتحي عرفات ومحمود الوزير. وهذا بدوره يفتقد إلى أي بعد سياسي، وإن كان هذا التمرد قد اتهم قيادة الحركة بأنها أصبحت عميلة لحزب البعث. هذا التمرد التنظيمي لم يلبث أن طُوق من قبل القيادة مؤقتاً ليعود لينفجر من جديد.

ثالثاً: تمرد أبو عبيدة (1967-1968)

في المؤتمر الأول للحركة الذي عقد في تموز 1967، في بيت أبو جهاد في دمشق وحضره قرابة ال 35 عضواً فجر أبو عبيدة (محمود مسودة) أكثر من قضية خلافية منها ما له علاقة بالتريث بإعلان الانطلاقة الثانية لمزيد من التحضير . . ما أدى إلى رفع جلسات المؤتمر وتشكيل لجنة لمعالجة الأمر، كان من بين أعضائها خالد الحسن وأبو حاتم (محمد أبو ميزر) ورغم تهدئة الأمور مؤقتاً داخل الحركة وخصوصاً مع تنظيم الكويت، إلا أنه بات واضحاً، بعد ذلك وجود كتلتين في الحركة يمثل أحدها ياسر عرفات وتلتقي الثانية في مواجهة عرفات وتفرده وأساليبه في العمل. ولم تكن هناك آنذاك حدودٌ واضحة لخلافات فكرية وسياسية.

وبعد حرب 1967 وبدء التواجد العسكري للحركة في الأردن، امتد وجود كتلة الكويت إلى الأردن، واتخذ هذا الامتداد شكلاً عسكرياً يقوده أبو عبيدة (محمود مسودة) في مواجهة قيادة فتح.

وقد بذلت العديد من المحاولات لتسوية الخلاف دون جدوى، حتى أن قيادة الحركة اتخذت قراراً بفصل تنظيم الكويت بمجمله. وبعد هذا القرار عمدت إلى المناورة وقام كل من ياسر عرفات ثم أبو إياد بإجراء حوارات مكثفة مع

تنظيم الكويت لتسوية الخلاف، في نيسان 1968، وبالفعل تم التوصل إلى ما يلي:

1) الموافقة على إلغاء قرارات الفصل بحق أبو عبيدة وغيره.
2) الموافقة على دعوة المجلس الثوري للحركة للنظر في مواضيع الخلاف ومحاسبة القيادة ومناقشة أعمالها.
3) أن تنبثق القيادة العليا للحركة عن المؤتمر بطريق الانتخاب.
4) أن تتم دعوة المؤتمر للانعقاد في شهر تموز 1968.

وفي ظل هذا الاتفاق أمكن للقيادة السيطرة على الأوضاع وتم نقل أبو عبيدة إلى السودان، ثم توجه إلى القاهرة حيث جرى اعتقاله في ظروف غامضة وأخضع لتعذيب شديد ما أدى لإصابته بانهيار عصبي.

ويتضح من بنود الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين عرفات وتكتل المعارضة في الكويت، بروز مسألة تنظيمية هامة تكشف جانبًا من الصراع الدائر، وهذه المسألة هي انتخاب القيادة العليا للحركة مباشرة عن طريق المؤتمر.

أما الوضع السابق فكان يقتصر على انتخاب ثلاثة أعضاء فقط، ثم يستكمل الثلاثة بقية أعضاء اللجنة المركزية بصورة تدريجية: أي إن الثلاثة يختارون الرابع ثم يختار الأربعة الخامس وهكذا. وقد شهدت هذه المسألة صراعًا حادًا كذلك في المؤتمر الثالث للحركة عام 1971، حيث رُفع عدد أعضاء اللجنة المركزية المنتخبين مباشرة من المؤتمر إلى تسعة أعضاء ثم جرى استكمال بقية العدد كالسابق. وفي المؤتمر الرابع 1980 تمكن المؤتمر من فرض انتخاب أحد عشر عضوًا من أعضاء اللجنة المركزية ليجري استكمالهم بعد ذلك بنفس الطريقة.

رابعاً: الكيان الفلسطيني: مرحلية مبكرة وأزمة مبكرة

في مجرى الصراع بين اتجاهات الحركة المتباينة برزت مسألة سياسية هامة حين أقرت اللجنة المركزية للحركة، أواخر عام 1967، منهاجًا مرحليًا يتضمن الموافقة على إنشاء كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وقد أثار هذا البيان الداخلي ردود فعل حادة في أوساط المعارضة، وتعمدت القيادة نفي صدوره، غير أن هذا المنهاج المرحلي لم يلبث أن أعاد فاروق القدومي (أبو اللطف) طرحه بالدعوة لتبني الكيانية الفلسطينية

في المؤتمر الثاني للحركة في الزبداني عام 1968، ما أثار عاصفة من الاحتجاج داخل المؤتمر فرض طي هذا المشروع مؤقتًا. ولكن ليعاد طرحه مجددًا بعد هزيمة أيلول 70، من قبل أبو صالح وماجد أبو شرار، وبعده في المؤتمر الثاني للحركة 71، ثم قبيل حرب تشرين 73 تساوقًا مع طروحات الجبهة الديمقراطية وبعد الحرب كقرار للمجلس الوطني الفلسطيني 1974، ليتحول إلى مشروع قرار تقدم فيه كامل أعضاء اللجنة المركزية إلى المؤتمر الرابع للحركة، 1980. كما سنرى.

وقد تبين لاحقًا بوضوح أن قيادة عرفات اليمينية كانت تقف وراء هذه الطروحات، لكن من تطوع لترويجها قيادات محسوبة على الاتجاه اليساري والقومي.

تجربة الأردن: جمر تحت الرماد (1968 - 1970)

كان للظروف الخطيرة التي مرت بها الثورة الفلسطينية في الأردن أثرًا هامًا في تجميد الأزمات داخل حركة فتح. ذلك أن كل الأنظار كانت مشدودة لمواجهة الأخطار المحدقة بالثورة سواء في الأردن أو في لبنان. ويكفي أن نشير هنا إلى أبرز هذه الأخطار:

1) حصار وتطويق القواعد الفدائية في الكرامة، شباط 1968.
2) انفجار الأحداث المعروفة باسم طاهر دبلان، كانون أول 1968.
3) المواجهة الأولى في لبنان، نيسان 1969.
4) المواجهة الثانية في لبنان، تشرين 1969.
5) حملة التصفية الثالثة في الأردن، شباط 1970.
6) حملة التصفية الرابعة في الأردن، حزيران 1970.
7) حملة التصفية الخامسة في الأردن، أيلول 1970.

في ظل هذه الأخطار الخارجية كان الجميع مشغولين بالعمل الدائم والاستعداد المستمر لمواجهة محاولات التصفية القادمة.

من هنا لم تبرز على السطح أزمات داخلية تذكر في حركة فتح خاصة مع بروز العصبوية الفتحوية في وجه التنظيمات الأخرى في الساحة الفلسطينية. إلا أن ذلك كله لم يحل دون استمرار ظواهر الأزمة المستحكمة في الحركة، وما استجد من موضوعات للخلاف:

- ما برنامج العمل بالنسبة للساحة الاردنـية في المجالات السياسية والنقابية والاجتماعية.
- ما الموقف من النظام الأردنـي، ومن الخلاف حول شـعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- مـا الموقف من مسـألة الوحـدة الوطنـية مـع التنظيمات الفلسطينـية الأخرى.
- مـا الموقف من وحدة النضال الطبقي والاجتماعي للجماهير الأردنـية والفلسطينـية في الأردن.
- ما الموقف من فصل المليشـيا المسـلحة عن التنظيم وإلحاقها بالقوات العسكرية.
- مـاذا عن العمليات العسـكرية، طبيعتهـا ونوعيتها والموقف منها.
- ما الموقف من ظاهرة القواعد الثورية.
- ما الموقف من تسليح الجماهير.
- ما الموقف من الممارسات والمسلكيات الداخلية.
- بروز ظاهرة الإقليمية وخاصة في المنظمات الشـعبية وكيفية معالجتهـا؛ وقد وصلت الأمـور في منطقة إربـد مثلاً إلى حد تشـكيل اتحاد فلسـطينـي للمعلمين لتجاوز أزمـة العمل في المنظمات الشعبية.

وكان تحديد الموقف من مختلف هذه الظواهر ينطلق بالضرورة من الخلفيات الفكرية والسياسية والطبقية لمختلف القوى والاتجاهات داخل الحركة، مما أدى إلى بروز اتجاهات ومواقف أكثر تبلورًا وتحديدًا خلال الأزمات اللاحقة. وكان من أبرز أشكال الصراع في الأردن، الصراع الذي دار مع قيادة الإقليم ومع قيادة الميليشيا (قدري، وأبو نضال البنا، وأبو صالح). بعد أيلول 1970 وتموز 1971 وما أعقبها من خروج قوات الثورة الفلسطينـية من الأردن، كان من البدهي أن يبرز السؤال التالي وما يتفرع عنه من تساؤلات:

- مـن يتحمل مسـؤولية الهزيمة في الأردن؟ وما هي السياسـات والممارسات التـي أوصلت إليها؟.
- مـا هو الموقف أو الحل لتجاوز أسـباب الهزيمة ومنع تكرارها في لبنان؟.

- ثم ما هو الطريق لكي تعود الساحة الأردنية قاعدة أساسية للثورة؟ وما هو الموقف من إعادة الحوار مع النظام الأردني؟.

هذه التساؤلات حملت لأول مرة دلالات بالغة الأهمية تتصل ببرنامج حركة فتح ومواقفها وسياساتها، وضرورة وضع الضمانات التنظيمية للمرحلة المقبلة.

وكان من نتيجة ذلك كله أن بدأت قوى واتجاهات متعددة داخل فتح تنظم أوضاعها الخاصة بما يكفل لكل منها تحقيق الأهداف والنتائج التي يرى فيها المخرج والحل، أو يرى فيها المحافظة على الوضع القائم في وجه المعارضة التي بدأ يشتد عودها ويرتفع صوتها.

ولقد تبلورت بعد تجربة الأردن عدة قوى واتخذت أشكالاً منظمة، سواء في جانب القوى والاتجاهات اليمينية أو في جانب القوى والاتجاهات الديمقراطية والتقدمية.

وقد تبلورت هذه الاتجاهات بصورة واضحة خلال عقد المؤتمر الثالث للحركة في أيلول 1971، وشكلت محاور فكرية وسياسية بارزة حول مختلف المسائل السياسية والفكرية والتنظيمية. وإلى جانب هذين الاتجاهين الأساسيين برزت داخل المؤتمر اتجاهات أقل أهمية أنذاك . . . حيث دعا بعضهم (أحمد عبد الرحمن) لاعتماد المرحلية وتبني برنامج السلطة الوطنية الذي سبق طرحه في أوساط الحركة من قبل أبو صالح وماجد أبو شرار، ودعا البعض الآخر لإعادة بناء الحركة من جديد، بعيدًا عن المنطق السائد بوجود تنظيم جماهيري ضخم وميليشيا مسلحة وقوات فدائية . . إلخ، وطرح أسلوب «التفجير المتسلسل» الذي يعتمد على تنظيم نخبوي وعمليات نوعية. وقد مثل هذا الاتجاه كل من علي الحسن وخالد الحسن، وسقط هذا الطرح سقوطًا ذريعًا في المؤتمر. كما سقطت قبله الأصوات التي طرحت البرنامج المرحلي.

غير أن أصحاب البرنامج المرحلي والسلطة الوطنية أو الدولة المستقلة كانوا في حقيقية الأمر في الموقع المتنفذ في قيادة الحركة وإن لم يعلنوا هذا الموقف في المؤتمر، ولكنهم راحوا يمهدون الأمور لإنجاح هذا النهج، وبدأوا بتقريب العناصر والقوى، وترتيب القوات الفدائية، بما يضمن إحكام السيطرة على الحركة ومنع ردود الفعل التنظيمية والعسكرية على التوجهات القادمة، غير أن الأزمات ظلت تتلاحق:

انشقاق محمود السهلة

بعد الخروج من الأردن حدثت أول حالة انشقاقية وإن لم تكن مؤثرة وكانت بقيادة النقيب محمود السهله حيث أصدر يوم 1972/3/7 بيانا اتهم قيادة الحركة بالسير وراء الحلول السلمية والتحول عن هدف التحرير وأعلن فيه انشقاق الوحدات الخاصة بجهازها التنظيمي والسياسي في فتح وانضمامها إلى جبهة التحرير الوطني الفلسطيني التي يرأسها أبو حلمي الصباريني

انفجار أزمة التجييش (1971)

عمدت القيادة المتنفذة في الحركة، من أجل ضبط وضع القوات العسكرية، إلى إجراء تنظيم جديد يعتمد التنظيم العسكري للجيش الأردني، ولقوات اليرموك التي حافظت على تشكيلاتها النظامية بعد خروجها من الجيش الأردني.

وكان هذا التنظيم يعتمد التراتبية العسكرية من حيث الرتب والرواتب والأخلاقيات وأداء التحية، ومجمل العلاقات الداخلية، مما أثار موجة رفض عارمة في صفوف قوات العاصفة. وأدى إلى حدوث العديد من ظواهر التمرد العسكري في صفوف القوات، وخاصة في قطاع الجولان ، ثم امتدت بعد ذلك إلى بعض القوات في جنوب لبنان. وقد وصلت حدة الأزمة في بعض المواقع إلى تبادل القصف المدفعي كما حدث في قرية داعل محافظة درعا في سورية، أو اقتصر على رفض استلام المخصصات أو استقبال القيادات أو اللقاء معهم، كما حدث في عدد من قواعد الجولان ولبنان.

كان عام 1971 عامًا حافلاً بالأزمات الحادة والمتفجرة وخاصة على الصعيد العسكري، كما كان عامًا حافلاً بحوار داخلي على مستوى التكتلات والاتجاهات المعارضة لبلورة البديل الثوري للوضع السائد ولتوجهاته السياسية، وخاصة بالنسبة لمسألة العلاقة بالنظام الأردني والرجعيات العربية.

انفجار أزمة التنظيم في لبنان عام 1972

إن أحد أشكال الأزمات المتفجرة في حركة فتح يعود إلى صراع القيادات المركزية، وصراع التكتلات التنظيمية المرتبطة بهذا القائد أو ذاك.

وكانت كل محاولة للتمدد أو بسط النفوذ في هذه المنطقة الإقليمية أو تلك من قبل هذا القائد أو ذاك تولد على الفور نوعًا من الاحتكاكات والأزمات الحادة.

وانطلاقًا من هذا الواقع يمكن تفسير الأزمة الحادة التي انفجرت في إقليم لبنان عام 1972، والتي تعود إلى محاولة ياسر عرفات إمساك زمام الأمور مباشرة في الساحة اللبنانية، بعد أن نقل إليها مقر قيادته المركزية، وتولى مسؤولية الساحة اللبنانية. فيما تولى أبو جهاد مسؤولية الساحة السورية، أما الساحة الأردنية فقد أوكلت لأبو إياد بعد أن تسلمها أبو ماهر فترة من الوقت.

كانت سيطرة عرفات على وضع التنظيم في الساحة اللبنانية يمس بصورة مباشرة وضع معتمد الإقليم هناك يحيى عاشور(حمدان) المحسوب على أبو جهاد، وقد كان من نتيجة ذلك حدوث أزمة تنظيمية حادة أخذت شكل تمرد مباشر واعتصام في تل الزعتر وعمليات اعتقال وخطف وتصفية. ومن أجل إنهاء أزمة التنظيم في لبنان، اتخذت القيادة قرارًا بنقل حمدان وأبو الزعيم من لبنان، إلا أن القرار لم ينفذ. وجاء التوتر العسكري مع العدو ليجمد الأزمة. حتى استقر الوضع أخيرًا بإحكام سيطرة عرفات على الوضع.

وبعد أن تم حسم الوضع العسكري الناتج عن تمرد أبو يوسف الكايد قام ياسر عرفات بتشكيل لجنة إقليم جديد في لبنان بدلاً من اللجنة التي كان يرأسها حمدان.

وكانت قد حدثت من قبل إشكالات مشابهة أقل حدة، مع قيادة الإقليم في الأردن، عندما نقل عرفات قيادته إليها، بعد معركة الكرامة 68. وتركزت الخلافات التنظيمية آنذاك مع ثلاثة من القيادات الأساسية في إقليم الأردن هم قدري وأبو نضال البنا وأبو صالح. وقد عمدت قيادة عرفات آنذاك إلى نقل أبو صالح إلى المغرب الذي لم يلبث أن تمرد على القرار وعاد ثانية إلى الأردن بعد أيام قليلة.

تمرد أبو يوسف الكايد عام 1972

في ظل الأوضاع العامة التي أعقبت الخروج من الأردن باتجاه لبنان ضعفت قبضة القيادة على القوات العسكرية، وكانت القوات التي يقودها أبو يوسف الكايد في الصرفند، متناغمة مع موقف قيادة إقليم لبنان (حمدان، طلال أبو غزالة) تتخذ وضعًا شبه استقلالي في مواقفها وتحركاتها، ولأنها تتشكل أساسا من عناصر فدائية من إقليم لبنان فقد تباينوا مع قوات اليرموك (أبو الزعيم وأبو موسى) القادمة من الجيش الأردني، ومن دون أن تتمكن قيادة فتح من ضبط هذه الحالة.

ثم حدث أن انضم الملازم نمر كمال مع عدد من العناصر لقوات أبو يوسف الكايد، وكان قبل ذلك في إحدى كتائب اليرموك. وقد أدى الاشتباك مع الملازم نمر كمال إلى استشهاد الأخير، وانفجار القتال المسلح مع قوات أبو يوسف، في منطقة خربة روحا، حيث استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة والمدفعية. ولم تكن هناك أبعاد سياسية مباشرة لهذا الخلاف.

وعندما حاول بعض أعضاء اللجنة المركزية للحركة (أبو اللطف وأبو جهاد) التوسط لإنهاء القتال وإيجاد حل للمشكلة، تم احتجاز القائدين من قبل أبو يوسف الكايد واعتبر الاثنين رهائن عنده إلى أن تستجاب مطالبه وهي:

1) تنحية بعض القيادات العسكرية.
2) محاكمة المسؤولين عن مقتل كمال نمر.
3) ملء المراكز القيادية في القوات على أساس الكفاءة والتوزع الجغرافي لفلسطين.

وأمام هذا الوضع المتفجر، تم التوصل إلى حل بإبعاد كل من أبو يوسف الكايد وأبو الزعيم إلى كل من الجزائر والكويت. وقد تم بالفعل نقل أبو يوسف الكايد عن طريق السفير الجزائري، بينما بقي أبو الزعيم في موقعه.

الأزمات تتلاحق (1972)

إلى جانب الأزمات البارزة والمتفجرة التي شهدها العام 1972 فوق الساحة اللبنانية، تلاحقت أشكال أخرى من الأزمات الحادة داخل القوات العسكرية وداخل التنظيم والاتحادات والمنظمات الشعبية، وصلت في العديد من الحالات إلى درجة التمرد العسكري والتهديد بالانشقاق.

ترافقت هذه التطورات والأزمات مع طرح فكرة إقامة حكومة فلسطينية في المنفى، مما أوجد انقسامًا سياسيًا حادًا في صفوف الحركة، ومع القيادة المتنفذة التي تدعم هذا الاتجاه.

وفي ظل هذه الأوضاع أقدم عدد كبير من الضباط والمقاتلين في قوات اليرموك على محاولة انشقاق وأسموا أنفسهم «قوات القدس» بدلاً من قوات اليرموك.

وانفجرت الصراعات كذلك بين أجهزة الرصد المركزي التي كان يقودها الشهيد أبو حسن سلامه وبين عناصر من الإقليم تابعين لأبو يوسف النجار . .

ما أدى إلى حدوث استنفار عسكري وتطويق للمكاتب ووقوع عمليات اعتقال وإطلاق رصاص بين الطرفين.

وقد وصلت الأوضاع العسكرية والتنظيمية والأمنية آنذاك إلى درجة كبيرة من التفكك والبلبلة، وعقدت عشرات الاجتماعات لبحث الأوضاع للخروج بحلول ولكن دون جدوى . . . وتعمقت الكتل والاتجاهات من القاعدة إلى القمة.

انفجار أزمة الإقليم في سورية عام 1972

وفي ظل هذه الأوضاع، وبنتيجة تبلور القوى والاتجاهات الفكرية والسياسية أقدمت قيادة الحركة على إحداث تغييرات شاملة في مكاتب الحركة والتنظيم في سوريا، واستهدف القرار ضرب القوى والاتجاهات الديمقراطية والتقدمية في الإقليم مما فجر أزمة تنظيمية حادة حين رفض هؤلاء تنفيذ القرار بسبب طابعه السياسي الواضح، ما أوجد تنظيمين وإقليمين في سوريا عرف أحدهما باسم تنظيم (أ) والآخر باسم تنظيم (ب) وبنتيجة ذلك وبسبب وقوف كافة القوى والاتجاهات الديمقراطية في الحركة ضد قرار القيادة، أمكن إلغاء القرارات والوصول إلى حل وسط لتسوية الأزمة التنظيمية.

ظاهرة «المجلس الثوري» أبو نضال البنا عام 1973

مع بداية عام 1973 بدأت تتبلور في جسم الحركة اتجاهات وتيارات وكتل سياسية وفكرية وتنظيمية واضحة، يتمثل أحدها باتجاه القيادة ونهجها السياسي وأسلوبها وممارساتها، رغم عدد من التعارضات فيما بينها. ويتمثل الآخر بالاتجاهات المناهضة فكريًا وسياسيًا للنهج السائد، رغم وجود تباينات فيما بينها كذلك.

وإذا كانت قوى المعارضة الموجودة في لبنان وسورية لم تتمكن أو لم تُرد الإقدام على عملية قد تؤدي إلى انشقاق عن الحركة لأسباب عديدة سبق وتحدثنا عنها، فإن إحدى حلقات المعارضة أقدمت على هذه الخطوة عام 1973 بقيادة صبري البنا (أبو نضال) ومعه ناجي علوش وأبو داوود (محمد عودة). وكانت المقدمات الأولى لهذا التحرك قد ظهرت في المؤتمر الثالث للحركة 1971، وقد اتخذ هذا التحرك لنفسه لاحقًا اسم حركة فتح المجلس الثوري، والتزم من خلال أدبياته بمبادئ الحركة وأهدافها وبرامجها ونظامها الداخلي،

متهمًا القيادة بالانحراف عن خط التحرير الذي تمثله فتح، ودعا إلى ضرورة خوض الصراع لإنقاذ الحركة. ثم بدأ بالممارسة السياسية والعسكرية العملية والعلنـية لتعديل مسار الحركة، كما انتهج أسلوب العنف والاغتـيال لتصفية العناصر التـي تخرج عن الخط الوطنـي أو يعتبرها كذلك، وفي هذا السياق أقدم على إعدام أو اغتـيال عدد من عناصر الحركة ورموزها كان من أبرزهم عصام السرطاوي.

الانقسام الكبير حول برنامج التسوية (1973/1974)

في أعقاب حرب تشرين 1973 بدأت القيادة تطرح علنًا برنامجها للتسوية (البرنامج المرحلي). وقد أدى هذا الطرح إلى حدوث انقسام هائل في جسم الحركة بين ما عرف في الساحة الفلسطينـية بخط الرفض وخط القبول، أي بين برنامج التسوية وبرنامج التحرير. غير أن لوحة الصراع لم تكن كاملة الانسجام بين النهجين بسبب وجود بعض الاتجاهات والتنظيمات اليسارية خارج وداخل حركة فتح ، في الحركة نمر صالح (أبو صالح) وماجد أبو شرار . . . أما في الساحة الفلسطينـية فبرز تنظيم الجبهة الديمقراطية كمنظر أساس للمرحلية.

ولقد اتخذ الصراع بين نهجي التسوية والتحرير أشكالاً حادة سياسية وتنظيمية، وأقدمت القيادة من أجل ترسيخ نهجها على إحداث تغييرات وتنقلات كبيرة في المؤسسات والأجهزة والقوات والتنظيم والأقاليم. وقد ابتدأ الصراع بصورة مكشوفة في الإعلام الذي كان يقوده آنذاك أبو حاتم بسبب الموقف من برنامج التسوية، والمحاولة الفاشلة لفرض عبد الله الحورانـي كمسؤول للإعلام. وقد أقيمت التحالفات داخل حركة فتح وداخل الساحة الفلسطينـية على أساس الموقف من البرنامج المرحلي، وانتقل ذلك إلى مختلف المجالات وخاصة في المجال النقابي والتنظيمات الشعبية.وكان من نتـيجة ذلك كله أن تفجرت العديد من الأزمات والحوادث والصراعات سواء على المستوى الفتحاوي أو الفلسطينـي. لقد أصبح لفتح منذ ذلك الوقت برنامجان سياسيان على الصعيد الواقعي رغم برنامج المؤتمر الثالث للحركة. غير أن خريطة التحالفات الداخلية في حركة فتح لم تستمر على ذات القاعدة عشية طرح البرنامج المرحلي وبعدها . . فقد بدأ يتضح أن القيادة اليمينـية تريد الوصول إلى اي تسوية ممكنة، ومثل هذه التسوية طريقها واشنطن

والعواصم الرجعية العربية، أما الرموز التقدمية واليسارية في حركة فتح فقد راهنت على إمكانـية تسوية وطنـية بدعم سوفياتـي.

الإطار الوطني الديمقراطي

وعلى أرضية هذا الخلاف، بدأت خريطة التحالفات داخل الحركة تأخذ شكلاً جديدًا:

- اتجاه القيادة اليمينـية ونهجها وتحالفاتها العربية.
- الاتجاه الديمقراطي الوطنـي العريض الذي يضم العناصر الرافضة لنهج التسوية والعناصر الرافضة للتسوية الأمريكية.

وقد أطلق على هذا الاتجاه اسم «التـيار الوطنـي الديمقراطي»، غير أن الخلافات السياسية والفكرية بداخله لم تمكنه من أن يمارس دوره كاملاً وبشكل موحد، خلال الأزمات والصراعات التـي مرت بها الحركة بعد ذلك.

وكان من أبرز عناصر هذا التـيار قدري وأبو حاتم وناجي علوش وأبو خالد العملة وأبو موسى وأبو داود وأبو خالد الصين، إضافة إلى أبو صالح وماجد أبو شرار.

وكان عدد كبير من أبناء الحركة ومن هم في قوات العاصفة يلتف حول هذا الاتجاه العام، أو يلتقي مع هذا الرمز أو ذاك من رموزه. وكان هذا الالتفاف أو هذا اللقاء بين قواعد وكوادر فتح والإطار الوطنـي الديمقراطي، أو أعضاء في الإطار يراوح بين العلاقات التنظيمية أو السياسية أو الفكرية لتصل إلى العلاقات الإنسانـية والعائلية أحيانًا.

الانفجار المؤجل

في ظل الصراع المحتدم بين قيادة فتح من جهة والتـيار الوطنـي الديمقراطي بمختلف اتجاهاته من جهة أخرى، أقدم ياسر عرفات على اتخاذ قرار خطير في أعقاب الاجتـياح الصهيونـي لجنوب لبنان، 1981 وهو إعلان وقف لإطلاق النار مع العدو الصهيونـي.

وقد أثار هذا القرار موجة عارمة من السخط في داخل حركة فتح وفي الساحة الفلسطينـية. وبدأ الإطار الوطنـي الديمقراطي يتحرك عسكريًا وسياسيًا لإسقاط هذا القرار فكان أن عمد ياسر عرفات إلى تصعيد الموقف وتأزيمه فاقدم على اعتقال ناجي علوش (أبو إبراهيم) كما داهم عددًا من

المواقع العسكرية في الدامور والجنوب بعد أن طوقها وحاصرها وجرد عناصرها من السلاح واعتقل العديد منهم كما أعدم بعضهم بعد ذلك، كما طارد عددًا آخر من كوادر الحركة بهدف اعتقالهم وتصفيتهم ومن بينهم حنا مقبل (أبو ثائر) الذي جرت محاولة لاغتياله نجا منها بأعجوبة ثم جرى بعد ذلك اعتقاله.

أمام هذه التطورات الخطيرة والهامة والتي انعكست على الساحة الفلسطينية واللبنانية، بدأت الأوضاع تتجه نحو الانفجار الكامل داخل حركة فتح حتى وصلت الأمور إلى حد الدعوة رسميًا لعقد مؤتمر صحفي في مقر العلاقات الخارجية لحركة فتح حيث كان من المقرر أن يتلو فيه أبو حاتم على الصحفيين بيانًا حول ما يجري في الحركة، بما سيعني عمليًا دخول الصراع مرحلة الحسم العلني سياسيًا وعسكريًا.

وكانت حالة شديدة من الغليان تسود حركة فتح وقواتها.

وأمام هذه التطورات الخطيرة اضطرت قيادة عرفات لابتلاع تهديداتها بمداهمة مقر العلاقات الخارجية، وللتراجع وإعلان الاستجابة لعدد من الشروط التي طرحتها المعارضة ومن بينها الإفراج الفوري عن ناجي علوش، وقد أفرج عنه قبل موعد انعقاد المؤتمر بفترة وجيزة.

غير أن عناصر التفجير ظلت رغم ذلك قائمة بأشكال مختلفة، وفي العديد من المواقع والأجهزة والمؤسسات والأقاليم، ولأسباب متعددة تطال مختلف القضايا السياسية والتنظيمية والإدارية والمسلكية.

ولا شك أن الظروف التي رافقت حرب السنتين في لبنان، وما تلاها من تطورات خطيرة وهامة قد حالت بصورة أساسية دون وصول هذه الصراعات الداخلية إلى مرحلة الانفجار الكامل.

وقد كانت المجابهة الحادة التي جرت عام 1978 وتم تطويقها وتأجيلها آنذاك هي «بروفه» أولى لانفجار الأزمة في أيار 1983.

- وبالطبع حدثت عدا ما ذكرنا أزمات عديدة لم تترك آثارًا تذكر، ولكنها أثارت الكثير من البلبلة عند وقوعها، مثلما حدث سنة 1980 حين انشق عدد من أعضاء الحركة تحت قيادة عبد الكريم حمدي (أبو سائد) مؤسس حركة فتح/ مسيرة التصحيح.
- ثم ما جرى في الأردن وسمّي (الحركة التصحيحية لمحاربة الفساد والانحراف السياسي) في قيادة م ت ف، بقيادة أبو الزعيم ذي

التاريـخ المعـروف، عام 1986، والـذي باءت محاولته البائسـة بالفشل الذريع.

فشل تجارب الوحدة مع التنظيمات

إلى جانب الأزمات الحادة والانفجارات والانشقاقات التـي شهدتها حركة فتح طوال السنوات السابقة برز في تاريخ الحركة شكل آخر من الانشقاقات التـي قامت بها عدة تنظيمات وقوى، سبق وأعلنت وحدتها أو انضمامها إلى الحركة، وتحديدًا بعد انطلاقة الكفاح المسلح عام 1965. وكانت أبرز الأزمات والانشقاقات التـي حدثت وأظهرت فشل عمليات الوحدة ما يلي:

الجبهة الثورية لتحرير فلسطين - اغتـيال يوسف عرابي

بعد أن بادرت حركة فتح عبر جناحها العسكري العاصفة إلى خوض الكفاح المسلح، وجدت بعض التنظيمات الفلسطينـية المنسجمة مع النهج العام لفتح أن لا مبرر لاستمرار وجودها الخاص فعمدت إلى حل نفسها والانخراط في الحركة، وكان من أوائل التنظيمات التـي أقدمت على هذه الخطوة الجبهة الثورية لتحرير فلسطين عام 1965، ومن أبرز قيادييها آنذاك يوسف عرابي ومحمد زهدي النشاشيبي وكمال كعوش (كان بعثيًا وانضم إلى الجبهة الثورية عام 1962).

غير أن ما تلا ذلك من أحداث عاصفة، يكشف بجلاء جوانب من أزمة العلاقات الداخلية في قيادة فتح من جهة وأزمة علاقة فتح بالمنظمات الأخرى من جهة ثانـية، فقد شكل انضمام الجبهة الثورية بثقلها العسكري، ما يهدد موضوعيًا موقع قيادة فتح العسكرية ممثلة بياسر عرفات، خاصة بوجود عدد من الضباط المتميزين فيها: مثل النقيب يوسف عرابي والضابط محمد حشمة.

وقد شكلت إثر ذلك ثلاثة لجان: عسكرية، تنظيمية، وسياسية، وعلى ضوء هذه الوحدة تم ضم النشاشيبي إلى اللجنة السياسية وتولى النقيب يوسف عرابي موقعًا قياديًا في اللجنة العسكرية وقوات العاصفة ومعه محمد حشمة وبدعم، كما ذكر، من قيادة فتح في الكويت، وفيها آنذاك عبد الله الدنان وعادل عبد الكريم، أكثر من ذلك وبسبب الإشكالات المعروفة بين قيادة الكويت مع عرفات، فقد طلب من النقيب عرابي، خاصة بعد أن اتهم عرفات باختطاف محمد حشمة في 1966/4/11، بتولى الأمور العسكرية في الحركة فجرت محاولة

للسيطرة على قيادة 'العاصفة' في دمشق من قبل يوسف عرابي في 66/5/8، وهنا تتعدد الروايات فيما حدث، ومنها أنه قد تمت تصفية النقيب عرابي على يد الضابط الآخر محمد حشمة الذي قتل بدوره في نفس اللحظة، بتبادل إطلاق النار بين الاثنين، ولكن تبين في المحكمة أنه إثر اللقاء بين محمد حشمة ويوسف عرابي في مكتب قيادة العاصفة كان في الغرفة المجاورة عبد المجيد الزغموط وهو شاب في حركه فتح، فدخل برشاشه عليهما فأطلق رصاصة أصابت محمد حشمة بالخطأ، ثم سارع بسيل من الرصاص على النقيب عرابي، في تلك الأثناء وصل الخبر للعميد السوري المجدوب، وكان يعلم بالخلاف بين عرابي وعرفات فأصدر أوامره بالقبض على ياسر عرفات وكان في منزله، ثم جرى اعتقال كل من أبو جهاد وأبو صبري وأبو العبد العكلوك وزكريا عبد الرحيم (مختار بعباع)، ولاحقًا أبو علي أياد، ثم صدر الحكم على عبد المجيد الزغموط بالإعدام، (خفف بعد ذلك إلى المؤبد، وقد توفي الزغموط في السجن عام 2001) كما أصدرت المحكمة حكمًا بتبرئة عدد آخر.

أما قيادة فتح في السجن فقد أصدر الرئيس السوري حافظ الأسد أمرًا بالإفراج عنها بعد حوالي شهرين. وكان من نتيجة هذه الواقعة انعكاس حاد على تنظيم الكويت حيث أدت إلى استقالة عضوي اللجنة المركزية عبد الله الدنان وعادل عبد الكريم.

جبهة تحرير فلسطين - تجربة أحمد جبريل (1966)

وفي سياق مشابه أقيم أول اتصال بين جبهة التحرير الفلسطينية الذي كان الملازم أول أحمد جبريل قد أسسه كتنظيم عسكري عام 1959، وعرف باسم (ج ت ف) وحركة فتح وذلك في العشرين من كانون الثاني يناير عام 1965، إثر إعلان البلاغ العسكري الأول لقوات العاصفة، حيث تم تشكيل قيادة طوارئ من الطرفين، مثل فتح فيها ياسر عرفات ومحمود الخالدي وزكريا عبد الرحيم وأحيانًا خليل الوزير، ومثّل جبهة تحرير فلسطين أحمد جبريل وصهره النقيب علي بوشناق وعثمان حداد وفضل شرورو. وبموجب هذا الاتفاق ضم أحمد جبريل وعلي بوشناق إلى مركزية (فتح). ولكن بعد اغتيال عرابي ولأسباب أخرى تفككت الوحدة بين (فتح) و(ج ت ف) حيث أعقب هذه الأزمة خروج العديد من عناصر وقيادات الجبهة من الحركة، بقيادة أحمد جبريل.

وكان قد صدر قرار عن (لجنة المؤتمر التحضيري العام للحركة) بتجميد العلاقة مع تنظيم أحمد جبريل إلى أن يبت المؤتمر العام بهذه العلاقة!.

جبهة النضال الشعبي الفلسطيني - تجربة د سمير غوشه (1968)

قامت العلاقة الوحدوية بين جبهة النضال الشعبي الفلسطيني وحركة فتح عام 1967 بعد أشهر قليلة من تشكيل الجبهة في تموز من نفس العام، بقيادة الدكتور صبحي غوشه.

غير أن تجربة الوحدة رغم مرور حوالي العام لم تصمد طويلاً، ولم يلبث أن حدث الانقسام عام 1968 خاصة بعد أن التحق بالجبهة الأب الروحي لها المناضل الوطني بهجت أبو غربيه. وفشلت تجربة الوحدة بين جبهة النضال وفتح حيث تولى الدكتور سمير غوشه القيادة المباشرة للجبهة. ولكن بقي في فتح عدد من أعضاء الجبهة منهم الضابطان فايز حمدان وفيصل الحسيني. وكان الأول ضابطًا سابقًا في الجيش الأردني، وتولى في فتح مهام تدريبية وقيادية متعددة منها قيادة القطاع الأوسط في الأغوار الأردنية، واستشهد في غارة اسرائيلية على مرتفعات السلط عام 68، في حين كان فيصل عبد القادر الحسيني آنذاك ضابطًا صغيرًا في جيش التحرير الفلسطيني، قبل أن يتولى لاحقًا مهام كثيرة في العمل الفلسطيني.

الهيئة العاملة لتحرير فلسطين - انشقاق عصام السرطاوي (1969)

كانت الهيئة العاملة قد انضمت إلى حركة فتح رسميًا في شهر كانون الثاني من عام 1968 خلال المؤتمر الذي عقد في القاهرة، وكان اسمها آنذاك «الهيئة العاملة لدعم الثورة» ومن أبرز قادتها الدكتور عصام السرطاوي.

وقد جرى انشقاق السرطاوي عام 1969 بعد حدوث اشتباكات مسلحة. إلا أن السرطاوي لم يلبث أن عاد مع تنظيمه إلى الحركة عام 1971، حيث انصرف بعد ذلك إلى لعب دوره المعروف في اللقاء مع الصهاينة.

جبهة التحرير الوطني الفلسطيني - انشقاق أبو حلمي (1971)

أعلنت جبهة التحرير الوطني الفلسطيني اندماجها بحركة فتح في أيلول 1968، باسم حسن الصباريني (أبو حلمي)، الأمين العام المؤسس لجبهة التحرير الوطني الفلسطيني (ج.ت.ف) وفي أيار 1971 أصدر أبو حلمي

بيانًا باسم القيادة العامة المؤقتة للجبهة أعلن فيه إلغاء بيان الدمج نظرًا لفشل محاولات الإصلاح داخل حركة فتح. غير أن هذا الانشقاق لم يتبلور بعد ذلك بشكل تنظيمي معروف حتى بعد أن أعلن النقيب محمود السهلة، قائد انقلاب الوحدات الخاصة في قوات العاصفة، عام 1972، الانضمام إلى أبو حلمي الصباريني. غير أن هذا الانشقاق الجديد بدوره لم يكن ذا أهمية تذكر.

منظمة فلسطين العربية - محاولة انشقاق أحمد زعرور (1972)

كانت منظمة فلسطين العربية قد انشقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1968، واتخذت اسمها الخاص عام 1969 قبل أن تنضم لفتح.

وعندما احتدم الصراع الداخلي في إقليم لبنان عام 1972 حاولت منظمة فلسطين العربية التي سبق لها وأعلنت انضمامها إلى فتح، الانشقاق عن الحركة وأعدت بيانًا بذلك، غير أن أجهزة ياسر عرفات لم تلبث أن داهمت منازل عدد من أعضاء المنظمة واعتقلت بعضهم.

وكانت المشكلة قد بدأت قبل ذلك عندما احتج أعضاء المنظمة على توزيع مقاتليها على قواعد الحركة وطالبوا ببقائهم معًا في قاعدة واحدة. وكاد الخلاف أن يتطور إلى اشتباك مسلح ثم جرى تطويقه ببقاء عناصر المنظمة في قاعدتها.

وكان مروان مفيد، المساعد الأول لأحمد زعرور، هو الذي تولى قيادة محاولة الانشقاق التي تم اجهاضها بالقوة. وقد بلغ عدد المعتقلين من المنظمة 17 عنصرًا.

* * *

إن مجموعة هذه الانشقاقات التي وقعت بخروج الغالبية العظمى من التنظيمات التي توحدت أو انضمت إلى حركة فتح تقدم مؤشرًا مهمًا حول طبيعة النهج السائد والمهيمن في الحركة والذي يرفض استيعاب القوى والتنظيمات الأخرى نظرًا لما يمثله وجود هذه التنظيمات وقياداتها من خطر على تفرد قيادتها بالسلطة داخل الحركة . . . كما تقدم مؤشرًا واضحًا حول مدى استجابة القيادة اليمينية المتنفذة في الحركة لمسألة الوحدة الوطنية والعمل الجبهوي سواء داخل فتح أو الساحة الفلسطينية.

لقد برهنت مجموعة الشواهد السابقة على استعداد العديد من القوى

والفصائل والتنظيمات للعمل الوحدوي مع فتح بل والانضمام إليها، إلا أن عقلية القيادة المتنفذة وحساباتها الخاصة كانت تحول دون ذلك على الدوام؛ ومن دون أن يعني ذلك بالمقابل تبرئة جميع الأطراف الأخرى من مسؤولية ما حدث، إلا أن ذلك ليس هو موضوعنا.

الفصل الرابع:
دروس التجربة، آفاق الحل

إن صورة الأزمات والانفجارات والانشقاقات التي عاشتها حركة فتح منذ عام 1965 إلى العام 1983 تكشف بوضوح تام حقيقة الأوضاع داخلها وحجم الأزمات الخطيرة التي عصفت بها، وبالتالي فإن ما حاولت قيادة الحركة ترويجه في المرحلة الأخيرة حول وحدة فتح، وبأنها غير قابلة للقسمة أو الانشقاق، لا أساس له من الصحة.

فلو أضيفت هذه الوقائع المتفجرة لمجموعة الاتجاهات والتيارات والتكتلات والتنظيمات التي تشكل مجموع حركة فتح لبدا واضحًا للعيان أن الحركة ليست تنظيمًا أو حزبًا، وهي كذلك ليست جبهةً تضم عدة تنظيمات وأحزاب، ولكنها شيء خليط من هذا وذاك؛ فهي أقرب ما تكون إلى جبهة تضم أفرادًا التقوا حول مبادئ وشعارات عامة، غير أن هؤلاء الأفراد ومن خلال الممارسة العملية وأمام محكّات التجربة والمواجهة، وبفعل الجذور التاريخية لمكونات الأزمة فكريًا وطبقيًا وتنظيميًا وسياسيًا لم يلبثوا أن توزعوا شيعًا وأحزابًا سواء بقوا داخل فتح أو خرجوا منها، وسواء اتخذت الأزمات والتكتلات شكلاً عسكريًا أو شكلاً تنظيميًا أو خلافًا فكريًا وسياسيًا.

غير أن هذا الواقع الفتحاوي الداخلي لا يحول بالطبع دون رؤية بقية جوانب الصورة التي جعلت حركة فتح قائدة للنضال الفلسطيني المعاصر، والعمود الفقري لحركة المقاومة الفلسطينية، وأن تحظى الحركة على

المستوى الجماهيري الفلسطيني والعربي بأوسع أشكال الدعم والتعاطف، حتى قيل إن فتح هي حركة الشعب الفلسطيني.

وعلينا أن نسجل كذلك، أن الثورة الفلسطينية المعاصرة بقيادة فتح قد حققت مجموعة هامة من الإنجازات الكبرى التي باتت رصيدًا للشعب الفلسطيني وللأمة العربية، سواء على مستوى تكريس أسلوب الكفاح الجماهيري المسلح كخيار أساسي لمواجهة العدو، أو على مستوى بعث الشخصية الوطنية النضالية للشعب الفلسطيني، وكذلك في المكانة العالمية التي وصلت إليها الثورة الفلسطينية كطليعة لحركات التحرر العالمية.

فما العوامل الأساس التي جعلت لفتح مثل هذا الموقع والدور الهام؟.

أولاً: الموقف السياسي

لقد حدد النظام الداخلي لحركة فتح بدقة ووضوح المنطلقات والمبادئ والأهداف الأساسية للنضال الوطني الفلسطيني المعاصر، وعبرت بذلك عن مصالح الغالبية من جماهير الشعب الفلسطيني.

ولقد جاءت البرامج السياسية المتعاقبة في مؤتمرات حركة فتح وخاصة في مؤتمرها الثالث عام 1971 لتؤكد على الجوانب الإيجابية في أدبيات فتح السياسية والنظرية، وتعمق من محتواها النضالي التقدمي العروبي. غير أن ذلك لم ينعكس بنفس الحجم على المستوى التنظيمي، وتحديدًا في تحجيم وإضعاف دور وموقع الاتجاه اليميني المتنفذ في قيادة الحركة لأسباب مختلفة، ولعل في مقدمتها الدور التاريخي لهذه القيادة في تأسيس الحركة وتفجير الكفاح المسلح، واستمرار وقوفها على أرضية الموقف الوطني العام قبل أن يبدأ نهج الانحراف والتسوية في منتصف السبعينيات، ثم ليتوج بخروج صريح عن الحد الأدنى الوطني بعد بيروت، خاصة في المجلس الوطني السادس عشر في الجزائر، وأخيرًا في فك الارتباط نهائيًا بالثورة الوطنية، والالتحاق بالحلف الرجعي الأمريكي منذ زيارة القاهرة في أواخر عام 1983[1].

إن الموقف السياسي العام لحركة فتح ممثلاً بنظامها الأساسي وبرامجها السياسية شكّل الأرضية لاستقطاب أعداد هائلة من الجماهير الفلسطينية على مختلف اتجاهاتها وانتماءاتها الفكرية والسياسية. وكانت أبرز المنطلقات الفكرية الحركة:

---

(1) انظر كتابنا «البرنامج الفلسطيني بين نهجي التحرير والتسوية». دار الصمود العربي ودار الحقائق، دمشق، 1984.

- رفض الوصاية والاحتواء والعمل من خلال إرادة فلسطينية عربية مستقلة.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي مع المحافظة على أمن الثورة ومنع ضربها.
- العمل الجاد من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية على صعيد التنظيمات المسلحة وعلى صعيد الجماهير.
- الإيمان بأن تحرير فلسطين طريق الوحدة[2].
- اعتماد الكفاح المسلح وسيلة صحيحة ووحيدة لاستعادة كامل التراب الفلسطيني.
- الخروج من مصيدة النشاط الدولي الخاضع بشكل أو باخر للمصالح الاستعمارية والنفوذ الصهيوني.
- رفض كافة مشاريع التسوية السياسية والقرارات الصادرة عن أي هيئة دولية من شأنها تثبيت الكيان الصهيوني في فلسطين[3].

أما أهداف حركة فتح فكانت:

- تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً وتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا.
- إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية.
- المشاركة الفعالة في تحقيق أهداف الأمة العربية في تحرير أفكارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد.
- مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير أوطانها وتقرير مصيرها من أجل بناء صرح السلام العالمي على أسس عادلة[4].

* * *

أما على مستوى البرامج السياسية فسنكتفي بتثبيت النص الكامل لبرنامج المؤتمر الرابع لحركة فتح، كملحق، وسيبدو واضحًا وجليًا من

(2) تم تعديل هذا الشعار في المؤتمر الثالث حيث اصبح كما يلي: تحرير فلسطين طريق الوحدة والوحدة طريق لتحرير فلسطين والعلاقة بينهما متبادلة.

(3) انظر «الكتاب السنوي لحركة فتح، 1968»، ص 149.

(4) المصدر السابق، انظر أيضا النظام الاساس لحركة فتح.

- رفض الوصاية والاحتواء والعمل من خلال إرادة فلسطينية عربية مستقلة.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي مع المحافظة على أمن الثورة ومنع ضربها.
- العمل الجاد من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية على صعيد التنظيمات المسلحة وعلى صعيد الجماهير.
- الإيمان بأن تحرير فلسطين طريق الوحدة[2].
- اعتماد الكفاح المسلح وسيلة صحيحة ووحيدة لاستعادة كامل التراب الفلسطيني.
- الخروج من مصيدة النشاط الدولي الخاضع بشكل أو بآخر للمصالح الاستعمارية والنفوذ الصهيوني.
- رفض كافة مشاريع التسوية السياسية والقرارات الصادرة عن أي هيئة دولية من شأنها تثبيت الكيان الصهيوني في فلسطين[3].

أما أهداف حركة فتح فكانت:

- تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً وتصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا.
- إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية.
- المشاركة الفعالة في تحقيق أهداف الأمة العربية في تحرير أفكارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد.
- مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير أوطانها وتقرير مصيرها من أجل بناء صرح السلام العالمي على أسس عادلة[4].

* * *

أما على مستوى البرامج السياسية فسنكتفي بتثبيت النص الكامل لبرنامج المؤتمر الرابع لحركة فتح، كملحق، وسيبدو واضحًا وجليًا من

(2) تم تعديل هذا الشعار في المؤتمر الثالث حيث اصبح كما يلي: تحرير فلسطين طريق الوحدة والوحدة طريق تحرير فلسطين والعلاقة بينهما متبادلة.
(3) انظر «الكتاب السنوي لحركة فتح، 1968»، ص 149.
(4) المصدر السابق، انظر ايضا النظام الأساس لحركة فتح.

خلال قراءة هذا البرنامج، ورغم هيمنة القيادة اليمينية المتنفذة، كيف عبر عن الاتجاه الوطني التقدمي العريض الذي يمثله جسم الحركة، وكيف كان هذا الجسم الوطني بمواقفه السياسية يشكل البرنامج الحقيقي لحركة فتح، وأساس وحدتها سابقًا ولاحقًا، كما كشف أن قيادة عرفات قد خرجت بالكامل عن هذا البرنامج ولم تعد تمثل، في جوهر نهجها وممارساتها وتحالفاتها، لا برنامج الحركة ولا جسمها الوطني (انظر الملحق).

ثانياً: الأسلوب

كانت الميزة الهامة الثانية التي أعطت فتح دورها المتميز والتاريخي طرحها لأسلوب الكفاح المسلح، ومبادرتها المبكرة بانتهاج هذا الأسلوب وممارسته عمليًا.

وقد حددت فتح رؤيتها حول أسلوب نضالها كما يلي:

- الكفاح المسلح هو الطريق لتحرير فلسطين بالاعتماد على الشعب العربي الفلسطيني كطليعة وأساس، وعلى الأمة العربية تدريبًا وإعدادًا وإمدادًا ومشاركة.
- التأكيد على كون الكفاح المسلح إستراتيجية وليس تكتيكًا.
- السعي للقاء كل القوى الوطنية العاملة على أرض المعركة.
- العمل على إبراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي.
- تحقيق الترابط الفعلي بين الأمة العربية والشعب الفلسطيني بإشراك الجماهير العربية من خلال الجبهة العربية المساندة[5].
- إقامة أوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم لمناهضة الصهيونية والامبريالية ودعم كفاح شعبنا[6].

ثالثاً: الرد على الهزيمة

إلى جانب الموقف السياسي واتّباع أسلوب الكفاح المسلح لعبت مجموعة من العوامل الأخرى دورًا بارزًا في إعطاء حركة فتح دورها الرئيسي، كان من أبرزها هزيمة حزيران واتخاذ قرار مواصلة الكفاح المسلح رغم الهزيمة

(5) استبدل شعار «الجبهة العربية المساندة» في منتصف السبعينيات بشعار «الجبهة العربية المشاركة».

(6) انظر كتيب خاص لحركة فتح «كيف تتفجر الثورة الشعبية المسلحة».

التـي لحقت بالجيوش العربية. وقد أدى هذا القرار مفاعيل هامة سواء على المستوى الجماهيري أو الرسمي حيث باتت المقاومة الفلسطينـية هي الأمل الجديد لهذه الجماهير، كما كانت المخرج المؤقت لأزمة الأنظمة الوطنـية التـي لحقتها الهزيمة العسكرية فعمدت إلى دعم الثورة بصورة واسعة. أما الأنظمة المتآمرة فقد كانت آنذاك أعجز من أن تواجه حركة المقاومة، مما مكنها من الوجود والعمل في ظل حماية الجماهير ودعمها.

يضاف إلى ذلك أن التركيبة المختلطة في قيادة حركة فتح أتاحت لها، على المستوى التكتـيكي، نسج علاقات متقدمة مع غالبية الأنظمة العربية، وترجمت هذه العلاقات إلى دعم مادي وعسكري كبير، مكّن الحركة من توسيع قاعدتها العسكرية ومؤسساتها المختلفة.

وقد انسحبت هذه الشبكة من العلاقات على الوضع الدولي كذلك، في الظروف التـي كانت سائدة آنذاك، وخاصة مع الصين وكوريا، قبل أن تتطور هذه العلاقة مع منظومة الدول الاشتراكية وفيتنام وكوبا وغيرها.

وكان هناك كذلك انتباه مبكر لإقامة أوسع شبكة من العلاقات مع حركات التحرر العالمية، ومع العديد من القوى والأحزاب وخاصة في أوربة.

غير أن هذه الشبكة الواسعة من العلاقات بدأت تنحو بصورة سلبية بعد ذلك، عندما بات الثمن المطلوب لتوسيعها ، وخاصة باتجاه الدول الأوربية ، هو التراجع عن العديد من المواقف والسياسات المبدئية في برنامج الحركة. وكان قد سبق هذا التراجع السياسي، بدايةً، طرح المرحلية الفلسطينـية لتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفييتـي والدول الاشتراكية، ولكسب الأصوات في الأمم المتحدة.

وهذا المسار التراجعي انتهى إلى البحث عن قواسم مشتركة وعلاقات خاصة مع العدو الأميركي.

وبسبب ذلك كانت المسافة تتسع بين قيادة عرفات اليمينـية وبين البرنامج السياسي للحركة ومبادئها وأهدافها، كما كانت المسافة تتسع بين هذه القيادة وقواعد الحركة وكوادرها وعدد من قياداتها الوطنـية.

وكان من نتائج ذلك كله أن حدث الانفجار في أيار 1983.

دروس التجربة

إن تاريخ حركة فتح ومساراتها وخياراتها بوجهيه الإيجابي الذي عبرت

عنه برامج الحركة وجسمها الوطنـي، أو السلبي الذي عبرت عنه قياداتها المتنفذة، بحكم تكوينها الطبقي والإيديولوجي والسياسي يقدم لنا عددًا من الاستنتاجات والدروس الهامة من أجل الحاضر والمستقبل:

أولاً: لقد مثلت حركة فتح بشعاراتها الوطنـية العامة حقيقة موضوعية في الواقع الفلسطينـي كتعبير عن المصالح المباشرة والعريضة لمختلف طبقات وفئات الشعب الفلسطينـي بتحرير وطنه والعودة إليه من منافي القهر والإذلال والجوع وفقدان الكرامة والهوية.

ثانـيا: إن رفع شعار الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، والمبادرة الريادية في ممارسته منذ مطلع العام 1965، قد أحدث عملية استقطاب حقيقية لدى العديد من الوطنـيين والمناضلين للانخراط في صفوف الحركة، خاصة بعد فشل تجربة الوحدة المصرية السورية من جهة، ونجاح الثورة الجزائرية المسلحة من الجهة المقابلة.

ثالثًا: غير أن الاستقطاب الجماهيري الواسع فلسطينـيا وعربيًا قد تم في أعقاب هزيمة حزيران 1967 فجاءت انطلاقة الثورة الثانـية في أواخر شهر آب من ذات العام لتشكل الأمل الجديد لهذه الجماهير، وخصوصاً بعد معركة الكرامة في آذار 1968.

رابعًا: لقد تحولت فتح بعد الكرامة من تنظيم الخلايا الصغيرة والمجموعات السرية المحدودة التـي تمارس العمليات الفدائية المتباعدة، إلى تنظيم جماهيري واسع يتدفق عليه آلاف المقاتلين، ولم تكن تجربة فتح التنظيمية وتكوين قيادتها الفكري يؤهلها لاستـيعاب هذه الأعداد الهائلة الجديدة، فحدث تورم وترهل في جسم الحركة من ناحية، كما فشلت قيادة الحركة من ناحية ثانـية، بحكم جذورها الفكرية والسياسية والإقليمية، في طرح البرامج المنسجمة مع التطورات الجديدة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وخاصة في الأردن ولبنان، أي فشلت، ومعها القوى السياسية العربية بإيجاد العلاقة الجدلية بين النضالين الوطنـي القومي والطبقي الاجتماعي، وتوفير الشروط المادية للإسهام الجماهيري العربي الحقيقي في صياغة الثورة باتجاه مخرجها الاستراتـيجي القومي.

خامسًا: إن انتماء القيادة اليمينـية في حركة فتح لشرائح البرجوازية الصغيرة، المتذبذبة الولاء طبقيًا، قد جعل هذه القيادة تنتقل، بفعل الهزائم العسكرية التـي واجهتها، من التعبير عن مصالح الجماهير الشعبية والوطنـية

العريضة إلى التعبير عن مصالح البرجوازية الوطنـية الفلسطينـية (البرنامج المرحلي بعد أيلول 1970) ثم إلى التعبير عن مصالح البرجوازية الفلسطينـية المرتبطة مصالحها بالبرجوازيات الكمبرادورية العربية (برنامج الكونفدرالية مع النظام الأردنـي بعد أيلول 1982) ولاحقًا برنامج أو اتفاقية أوسلو، 13 أيلول 1993، فهل كان ذلك أحد النتائج المرّة لأيلول 1970؟.

سادسًا: إن النهج الذي عبر عنه اليمين الفلسطينـي ظل يسير باتجاه نهاياته الحتمية بالتحالف مع الأنظمة الرجعية العربية (الموافقة على مشروع فهد ثم قمة فاس)، وصولاً إلى الانخراط بمشاريع التسوية الأميركية على طريقة كامب ديفيد. وقد توجت زيارة عرفات للقاهرة في أواخر كانون أول 1983 هذا الانخراط بوضوح تام.

سابعًا: إن الاتجاه الوطنـي الديمقراطي العريض في حركة فتح والذي تصدى لنهج القيادة اليمينـية وممارساتها ومواقفها وتحالفاتها طوال السنوات الماضية، وصولاً إلى انتفاضة أيار 1983، ظل يلعب دورًا متفاوت الفعالية في داخل حركة فتح، للمحافظة على خطها الوطنـي العام، ولفرملة الانحرافات السياسية المتواصلة في مسيرة الحركة، ومن خلال الإطارات التنظيمية القائمة رغم هشاشتها وعدم جدواها في معظم الأحوال.

ثامنًا: غير أن الانحراف السياسي عندما اخترق البديهيات والمسلمات الوطنـية، وتجاوز العديد من الخطوط الحمراء، وخاصة في المجلس الوطنـي السادس عشر في الجزائر، كان لا بد من التصدي له ووقفه بأشكال جديدة بعد أن فشلت كافة الأساليب الأخرى المتاحة، فحدث التمرد العسكري في البقاع اللبنانـي تمهيدًا للانتفاضة في حركة فتح ثم بعد ذلك على الساحة الفلسطينـية.

تاسعًا: وإذا كانت حركة فتح الجديدة التـي انتفضت على قيادة عرفات قد أنجزت إلى حد كبير مهمة التعبير عن تمسك الحركة بخطها الوطنـي ضد الانحراف السياسي، وعن التمسك بالبندقية المقاتلة في مقابل نهج الاستسلام وإلغاء الكفاح المسلح، إلا أن مأزق فتح التاريخي لا زال قائمًا إلى حد كبير.

فالمطلوب ليس فقط إعادة إنتاج فتح جديدة وطنـية متمسكة ببرنامجها وشعاراتها ومبادئها الأساسية، وإنما المطلوب كذلك أن يتم التوجه الرئيسي نحو حل المأزق الذي تعيشه فتح والثورة الفلسطينـية أي بأن تتحول الأداة الفلسطينـية لتحرير فلسطين إلى أداة قومية لتحرير فلسطين والإنسان

العربي معًا من الاحتلال والقمع والاستغلال.

ولن يتحقق للأداة الفلسطينية لعب مثل هذا الدور الطليعي إلا إذا كانت المعبّر الحقيقي عن مصالح الجماهير الشعبية العريضة فلسطينيّا وعربيًا، وأن تنهي إلى الأبد وجود القيادة اليمينية المساومة والمتذبذبة من على رأس مؤسسات الثورة.

إن الضرورة الموضوعية لحركة فتح وللثورة الفلسطينية إنما تستمد شرعيتها التاريخية من كونها أداة تفجير وتثوير لحركة الثورة العربية، وليس بكونها أداة تحرير فلسطين. وهي تستمد شرعيتها الراهنة من خلال تمسكها بالبندقية المقاتلة، ومن خلال تمسكها بالبرنامج السياسي المعبر عن مصالح الجماهير الكادحة فلسطينيا وعربيًا. وكذلك من خلال إصرارها الحازم على مواقفها ومواقعها في الخندق التقدمي للثورة العالمية، وفي المجابهة المباشرة مع مثلث الأعداء الامبريالي الصهيوني الرجعي.

نعم نحن في مرحلة تحرر وطني وعلى برنامج الثورة أن يعبر عن هذه الحقيقة، ولكننا أيضًا في مجابهة مباشرة مع العدو الصهيوني الإمبريالي وامتداداته الطبقية العربية، وعلى أداة الثورة التنظيمية وموقفها الفكري والسياسي التعبير عن هذا الواقع، وبدون ذلك سنظل كفلسطينيين نصرخ يا وحدنا! ونحن نراوح بين انتحار بطولي ومساومات ذليلة، وربما بكليهما معًا.

دمشق، 1984

(2)
البرنامج السياسي الصادر عن المؤتمر الرابع لحركة فتح في أيار عام 1980

تعرض الوطن العربي على مر العصور لغزوات استعمارية متعددة كان أخرها الغزوة الصهيونية الاستيطانية لفلسطين، وذلك نظرًا للأهمية الإستراتيجية التاريخية التي تتمتع بها بلادنا. ولقد تعاظمت هذه الأهمية في العصر الحديث مع دخول الرأسمالية العالمية إلى مرحلة الامبريالية وما تتطلب من عمليات توسعية واستغلالية وخاصة مع اكتشاف النفط في منطقتنا وهو عصب الحياة لعجلة الصناعة الغربية.

ولما كان استمرار عمليات الاستغلال والسيطرة تتطلب تمزيق الوطن العربي وتفتيته إلى دويلات متصارعة فإن سياسة التجزئة قد باتت هي القانون الأساسي للإمبريالية.

ولهذا فقد عمدت الامبرياليات الأوربية إلى ضرب وتخريب قوى الإنتاج المحلية وإلحاقها بالسوق الرأسمالية العالمية لمنع توحيد سوقها المحلي وإقامة دولتها القومية كما عمدت إلى إقامة الكيان الصهيوني كقاعدة للعدوان

على شعوب أمتنا العربية، مما ترتب عليه أن يكون الاستيطان الصهيوني إجلائيًا، ليضمن أمن القاعدة العدوانية.

ولقد ترافق بروز الحركة الصهيونية إلى الوجود مع عملية تاريخية مزدوجة تمثلت بانهيار الإقطاعيات الأوربية وما تعنيه من تهديد لتذويب «الجيتو» اليهودي من جهة ومع حركة التوسع الاستعماري من جهة أخرى. وهكذا التقت مصالح الرأسماليات الأوربية بمصالح الرأسماليين اليهود لإقامة «الدولة اليهودية» لضمان استمرار عمليات النهب والاستغلال الاستعمارية لبلادنا، ومنذ أن بدأت الهجرة اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر هب الشعب الفلسطيني للدفاع عن أرضه والذود عنها وخاصة بعد وعد بلفور وإعلان صك الانتداب البريطاني على فلسطين في بدايات هذا القرن.

ولقد شهدت فلسطين انتفاضات عارمة وثورات لاهبة فجرتها جماهير شعبنا في وجه المستعمرين البريطانيين والغزاة الصهاينة وسجل الشعب الفلسطيني على امتداد أكثر من ثلاثين عامًا أروع صور البطولة والتضحية، غير أن موازين القوى المحلية والعالمية وفي ظل المؤامرات الخيانية للأنظمة العربية قد أدت إلى وقوع نكبة فلسطين عام 1948، وقد عانى شعبنا في منافي الهجرة والتشريد حالة رهيبة من الضياع والتمزق والشتات، وتعرض لأبشع صور الإذلال والإرهاب إلى أن جاءت الانطلاقة التاريخية لحركتنا فتح في مطلع كانون الثاني 1965 ليبدأ شعبنا وأمتنا مرحلة تاريخية جديدة.

ومنذ هذه الانطلاقة والإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية المتحالفة استراتيجيا وعضويا مع الصهيونية العالمية وقاعدتها في فلسطين تحاول القضاء على ثورتنا المسلحة سياسيًا وعسكريًا، فإلى جانب هجمات التصفية الوحشية التي وجهها الكيان الصهيوني لثورتنا وشعبنا عبر آلة حربه المتفوقة ، كانت هناك مؤامرات عدة في العشر سنوات الماضية بداية بضرب قواعد الثورة في الأردن عام 1971 وانتهاءً بالحرب على الساحة اللبنانية التي ما زلنا نخوض غمارها دفاعًا عن النفس. إضافة إلى ذلك طرحت الإمبريالية الأميركية عدة مشروعات تصفية تهدف في أساسها إلى ضرب هذه البؤرة الثورية المسلحة، ومع كل هذه المؤامرات والهجمات العسكرية والسياسية كانت ثورتنا بقيادة حركتنا تخرج بعد كل هجمة أقوى مما كانت عليه وأكثر تصميمًا على تصعيد الكفاح المسلح في كل شبر من أرضنا المغتصبة.

إن سمة المرحلة الراهنة تتحدد باشتداد الهجوم الإمبريالي على المنطقة لإعادة ترتيب أوضاعها وتثبيت السيطرة الإمبريالية وتعزيزها عن طريق الوجود العسكري المباشر والقواعد والتسهيلات العسكرية المقدمة لها من قبل القوى الرجعية في المنطقة مع ما يتطلب ذلك من تغيير في الخريطة السياسية والاجتماعية وحتى الجغرافية في الوطن العربي وضمان استمرار نهب الثروات العربية.

وتتبع الإمبريالية الأميركية لتحقيق هذه الأهداف سياسة طرح مشاريع للتسوية تكتسب في كل فترة ثوبًا جديدًا يحقق أهدافًا تكتيكية في تمزيق حركة التحرر العربي وقوى الصمود فيها وإلهائها عن المواجهة، ولذلك فإن المؤتمر الرابع لحركة فتح يعلن أن مقاومة هذه المشاريع هي مهمة ثورية لكافة فصائل حركة التحرر العربية وقواها الوطنية وقوى الصمود فيها، كما يقرر أن يحكم هذا التوجه كل خطوات الحركة المقبلة.

إن حركة فتح هي حركة وطنية ثورية مستقلة وهدفها هو تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً وتصفية الكيان الصهيوني اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا وفكريا، وإقامة دولة فلسطينية على كامل التراب الفلسطيني تحفظ لجميع المواطنين فيها حقوقهم الشرعية على أساس العدل والمساواة دون تمييز بسبب العنصر أو الدين أو العقيدة، وتكون القدس عاصمة لها، ويسود في هذه الدولة المجتمع الديمقراطي التقدمي الذي يضمن حقوق الإنسان ويكفل الحريات العامة لكافة المواطنين، ويتمكن من المشاركة الفعالة في تحقيق أهداف الأمة العربية في تحرير أقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد.

إن معركة تحرير فلسطين هي جزء من النضال القومي المشترك، ولهذا فإن واجب الأمة العربية أن تدعم هذه المعركة بكافة إمكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية ، والتحرير هو واجب عربي وديني وإنساني لهذا فإننا نعتبر أن المشاريع والاتفاقات والقرارات التي صدرت أو تصدر عن هيئة الأمم المتحدة أو مجموعة الدول أو أي دولة منفردة بشأن فلسطين والتي تهدر حق الشعب الفلسطيني بكامل ترابه الوطني هي باطلة ومرفوضة.

إن أسلوبنا لتحقيق أهدافنا هو الثورة الشعبية المسلحة كونها الطريق الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين وإن الكفاح المسلح هو إستراتيجية وليس تكتيكا، والثورة المسلحة للشعب العربي الفلسطيني عامل حاسم في

معركة التحرير وتصفية الوجود الصهيوني، ولن يتوقف هذا الكفاح إلا بالقضاء على الكيان الصهيوني وتحرير فلسطين، ونعتمد في كفاحنا على الشعب العربي الفلسطيني كطليعة وأساس وعلى الأمة العربية كشريك في المعركة والمصير، لهذا فنحن نسعى للقاء كل القوى الوطنية العاملة على أرض المعركة من خلال النضال المسلح لتحقيق الوحدة الوطنية وإلى تحقيق التلاحم الفعلي بين الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني بإشراك الجماهير العربية في المعركة من خلال جبهة عربية موحدة.

إن علاقاتنا مع الدول العربية تهدف إلى تطوير الجوانب الإيجابية في مواقف هذه الدول شرط ألا يتأثر بذلك أمن الكفاح المسلح واستمرار تصاعده، ونحن لا نتدخل في الشؤون المحلية لهذه الدول ولا نسمح لأحد بالتدخل في شؤوننا أو عرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه.

إننا نعمل على إبراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي. وهذا لا يتناقض مع الارتباط المصيري بين الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني ونعمل كذلك على إقامة أوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم لمناهضة الصهيونية والامبريالية والتي تدعم كفاحنا المسلح العادل ونعمل على الحد من الهجرة الصهيونية بشتى الوسائل في فلسطين كإسهام في حل المشكلة ونقاوم كل الحلول السياسية المطروحة كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين وكل المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية وتدويلها أو الوصاية على شعبها من أية جهة.

وإيمانًا من حركتنا بأن فلسطين هي جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني هو جزء من الأمة العربية وانطلاقا من أن الكيان الصهيوني في فلسطين هو جزء من الغزوة الصهيونية العدوانية الاستيطانية وقاعدة استعمارية توسعية فإن الثورة الفلسطينية هي طليعة الأمة العربية في معركة تحرير فلسطين وكفاح الثورة جزء من كفاحها وتمثل حركة فتح الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني الذي يمثل كفاحه جزءاً من النضال المشترك لشعوب العالم الثالث ضد الصهيونية والاستعمار والإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وضد العنصرية والفاشية.

وإيمانًا منا بكل ذلك وانطلاقًا من مبادئ وأهداف وأساليب الحركة ونظامها الداخلي يقرر المؤتمر العام الرابع لحركة فتح ما يلي:

أولاً: على الصعيد الفلسطيني:

انطلاقًا من وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة أرضه وتمثيله السياسي وتثبيتًا للإرادة الوطنية المستقلة من أجل استمرار الثورة وانتصارها.

وبما أن الثورة الشعبية المسلحة هي الطريق الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين وإن الطريق لتحريرها هو الطريق إلى الوحدة، وتكريسًا بأن الديمقراطية هي التي تحكم العلاقات في الساحة الفلسطينية وأن الحوار الديمقراطي هو الأسلوب الصحيح لتطوير هذه العلاقات يؤكد المؤتمر على ما يلي:

1) العمل على التعزيز المستمر للوحدة الوطنية الفلسطينية على كافة المستويات داخل وخارج الأرض المحتلة بقيادة حركتنا وفي إطار منظمة التحرير الفلسطينية وبما يكفل التصعيد المستمر لكافة أنواع النضال الفلسطيني.

2) أهمية تطوير مشاركة الحركة بثقل أساسي في منظمة التحرير الفلسطينية لضمان فعاليتها وبما يكفل تطوير لوائحها وأجهزتها على نحو يؤمن استقلالية كافة مؤسساتها.

3) تصعيد الكفاح المسلح داخل الأرض المحتلة وعبر كافة خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني.

4) مضاعفة الاهتمام بتنظيم شعبنا في كل أماكن تواجده وتوسيع إطار همل المنظمات والاتحادات الشعبية والمهنية وحماية وجوده المؤقت في هذه الأماكن ومنع اضطهاده واستغلاله وتذويبه.

5) دعم صمود شعبنا داخل الأرض المحتلة على كافة الأصعدة وتقديم الدعم المادي اللازم لاستمرار صموده وتصعيد نضاله وتطوير مؤسساته الوطنية بكافة أشكالها والعمل بشكل خاص على تعزيز الصلات مع جماهيرنا الفلسطينية في الأراضي المحتلة منذ عام 1948 لتمكينها من التصدي لمخططات تمزيق وحدتها وطمس شخصيتها العربية.

6) التأكيد على ضرورة استقلال القرار الوطني الفلسطيني والعمل على تطوير قدرة فصائل الثورة الفلسطينية على الالتزام بالقرار الفلسطيني المستقل.

7) انسجامًا مع الموقع القيادي لحركتنا في منظمة التحرير

الفلسطينـية وما ورد في البرنامج السياسي حول هذا الموضوع وشرعية منظمة التحرير الفلسطينـية على الساحة العربية والدوليـة، اعتبار القـرارات السـارية للمجالـس الوطنـية الفلسـطينـية لمنظمة التحرير الفلسـطينية جزءاً مكملاً للبرنامج السياسـي للحركة بما لا يتعارض مع مبادئ وأهداف حركتنا وبرامجنا السياسية".

8) تعزيـز دور المرأة الفلسـطينـية النضالي في كافة السـاحات النضالية والعمل على تعزيز مشاركتها الفعالة في كافة الأطر والمستويات.

ثانياً: على الصعيد العربي/ على المستوى الجماهيري:

لما كانت فلسطين جزءًا من الوطن العربي والشعب الفلسطينـي جزءاً من الأمة العربية وكفاحه جزءاً من كفاحها، ولما كانت الثورة الفلسطينـية هي طليعة الأمة العربية في معركة تحرير فلسطين فإن العلاقة مع الجماهير العربية إستراتـيجية تحتم مشاركة أوسع لهذه الجماهير في حماية الثورة وخوض كل أشكال الكفاح والنضال ضد القاعدة الامبريالية الصهيونـية في فلسطين وضد كل أعداء شعبنا وأمتنا، وتصفية المصالح الإمبريالية والاستعمارية في المنطقة.

لا بد من تشديد التلاحم مع حركات التحرر الوطنـي العربية والقوى الوطنـية والتقدمية العربية لأجل خوض المعركة المشتركة لتحرير فلسطين وتحقيق أهداف الأمة العربية في تحرير أقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد.

تدعيم التلاحم النضالي مع الحركة الوطنـية والقومية اللبنانـية وكافة القوى الوطنـية الأخرى التـي تقف ببسالة في خندق واحد مع الثورة الفلسطينـية ضد أعداء الشعبين الفلسطينـي واللبنانـي والأمة العربية ومشاركتها النضال من أجل حماية وحدة لبنان وعروبته وسلامة اراضيه، وهذا يتطلب حرصاً على تصفية كافة الظواهر السلبية التـي تهدد العلاقة مع الجماهير والعمل على تعزيز علاقتنا مع هذه الجماهير بكل الوسائل والسبل.

إن تلاحم الجماهير اللبنانية ووقفتها البطولية إلى جانب الثورة الفلسطينية في مواجهة حرب التصفية والإبادة ، يتطلب الدعم والحماية والتطوير ليكون مثالاً للعلاقة مع الجماهير على امتداد الوطن العربي انطلاقا من أن علاقة الدم تتطلب مزيدًا من هذا الدعم بكل طاقاتنا وإمكاناتنا.

إن الساحة الأردنية ذات أهمية خاصة للثورة تتطلب إعطائها اهتمامًا خاصاً بإعادتها قاعدة ارتكازية أساسية من قواعد النضال والكفاح ضد العدو الصهيوني ، وتوظيف طاقات الجماهير للوصول إلى هذا الهدف.

تعزيز النضال المشترك مع الشعب المصري ممثلاً بالقوى الوطنية والتقدمية لأجل إسقاط مؤامرة كامب ديفيد ونتائجها وإعادة مصر ثانية إلى الصف العربي لأخذ موقعها الطبيعي في النضال العربي.

على مستوى العلاقة مع الأنظمة العربية:

لما كانت العلاقات مع الأنظمة العربية تهدف إلى تطوير الجوانب الإيجابية معها، فإن هذه العلاقة يجب أن تكون محكومة بالأسس التالية:

- مبادئ الحركة وأهدافها وأساليبها.
- عدم تعارض هذه العلاقة مع العلاقة الإستراتيجية بالجماهير.
- موقف كل نظام من قضية فلسطين وثورة شعبها المسلحة وخصوصاً الاعتراف والالتزام بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ورفض أي محاولة للمساس بذلك من أي جهة كانت.
- عدم التدخل في شؤوننا الداخلية والتصدي لمحاولات فرض الوصاية والتبعية على شعبنا أو محاولة اضطهاده أو استغلاله، وكذلك التصدي لكل محاولة لتوطينه في أي أرض خارج وطنه فلسطين.
- ممارسة الثورة لمسؤولياتها النضالية على المستوى القومي وعبر أية أرض عربية في سبيل تحرير الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة، والعمل على تجنيد طاقات الأمة العربية البشرية والمادية خصوصاً الثروة النفطية كسلاح لتحقيق هذا الهدف.
- التصدي لأي محاولة لمنع الثورة من العمل بحرية بين صفوف شعبنا في أماكن تواجده.

- العمـل على تطويـر جبهة الصمود والتصـدي لتصبح أداة فعل رئيسية على قاعدة دعم منظمة التحرير الفلسطينـية ومواصلـة الصراع مع العدو ومواجهة كافة حلول التصفية وإسـقاطها وكذلك تصليب المواقف العربية لمواجهة وإسقاط التسـوية بكافة أشـكالها ومسـمياتها والوقوف بحزم أمام أية محاولة لإعطاء اتفاقات كامب ديفيد غطاءاً شرعيًا.
- العمل علـى خلق جبهة عربية قوية عريضة كما نصت على ذلك قرارات جبهة الصمود والتصدي لمواجهة جميع المؤامرات الامبرياليـة والصهيونـية وفي مقدمتهـا مؤامرة كامب ديفيد بكل صورها وأشكالها.

ثالثًا: على الصعيد الدولي:

لما كانت قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية في صراعها العادل ضد العدو الصهيونـي الإمبريالي، ولأن منطقة الشرق الأوسط ذات أهمية دولية إستراتـيجية ، فقد كانت قضية فلسطين ولا تزال، بالإضافة لعدالتها ونضال شعبها ذات أبعاد مؤثرة في السياسة الدولية وموضع صراع عالمي أفرز بالنسبة لقضية شعبنا ونضاله معسكرًا للأعداء وآخر للأصدقاء.

إن حركتنا جزء من حركة التحرر العالمي في النضال المشترك ضد الإمبريالية والصهيونـية والعنصرية وعملائها، ونحن نقيم تحالفاتنا مع كافة الأطراف على الساحة الدولية بما يتفق مع مبادئنا ومع الميثاق الوطنـي الفلسطينـي.

أ) المنظمات الدولية:

- العمـل من خلال م ت ف على اسـتصدار القرارات المتطورة والمتعلقة بحقوق شـعبنا العربي الفلسـطينـي في مختلف المحافل والمنظمـات الدوليـة وخاصة الأمم المتحـدة ومن ثم تعزيز عـزل العدو الصهيونـي والأمريكي في هـذه المنظمات وعلى السـاحةالدولية.
- العمـل على ترجمة قرار الجمعيـة العامة للأمم المتحدة الذي أدان الصهيونـيـة باعتبارهـا شـكلاً من أشـكال العنصرية والتمييـز العنصـري إلى إجـراءات وعقوبـات ضـد القاعدة

الصهيونية الاستيطانية الامبريالية في فلسطين، كما نص على ذلك ميثاق الأمم المتحدة.

- تكثيف العمل من أجل المحافظة على مواقف الأمم المتحدة في رفضها لاتفاقيات كامب ديفيد والعمل على تطوير هذه المواقف بما يكفل رفض كل أشكال التسوية على حساب شعبنا وقضيته.

ب) معسكر الأصدقاء:

- تدعيم التحالف الاستراتيجي مع الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي باعتبار هذا التحالف يشكل ضرورة في مجال التصدي الجاد والفعال للمؤامرات الأميركية والصهيونية على قضية فلسطين ومجمل قضايا التحرر في العالم.
- تعزيز علاقاتنا النضالية مع حركات التحرر في العالم التي نقف معها في خندق واحد ضد الامبريالية الأميركية والصهيونية العنصرية والفاشية والرجعية ، وإن فتح تدعم نضال حركات التحرر العالمية وكل مناضل ضد الظلم والاستبداد.
- تمتين العلاقات الخارجية لحركتنا وتكثيف تحركها السياسي انطلاقًا من مبادئ حركتنا وبرنامجها، مع إقامة التحالفات مع القوى السياسية الديمقراطية والتقدمية التي تقف إلى جانب نضالنا العادل وحقوقنا المشروعة.
- تعزيز العلاقات النضالية مع الثورة الإسلامية في إيران التي أطاحت بأعتى قلاع الامبريالية الأميركية في المنطقة والتي تقف معنا في نضالنا على طريق تحرير فلسطين.
- تدعيم العلاقة مع الشعوب والدول الإسلامية والإفريقية ودول عدم الانحياز من أجل تطوير مواقفها في تأييد القضية الفلسطينية ودعم نضالنا وكسب المزيد من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعيًا وحيدًا للشعب الفلسطيني.

ج) معسكر الأعداء:

تقف الولايات المتحدة الأميركية على رأس معسكر أعداء شعبنا وأمتنا، كونها تنتهج سياسة معادية لشعبنا وثورتنا وأمتنا العربية ولكافة قوى التحرر العربية والعالمية وتدعم الكيان الصهيوني وعملاءها في المنطقة وتقيم أحلافا عسكرية هدفها إخضاع المنطقة لنفوذها عسكريًا من أجل الحفاظ على نهب ثروات أمتنا، ولذلك لا بد من تعزيز الجبهة العالمية المعادية للسياسة الأميركية ، وخوض المعارك ضد هذه السياسة وإسقاطها وضرب مصالح أمريكا في المنطقة.

د) على مستوى دول أوربة الغربية (دول السوق الأوربية) واليابان وكندا:

تكثيف العمل السياسي في هذه الدول والاستفادة من تأييد القوى السياسية الديمقراطية والتقدمية فيها من أجل تقليص ومن ثم إيقاف الدعم للكيان الصهيوني وتحقيق عزلته على طريق اعتراف هذه القوى بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعيًا وحيدًا للشعب الفلسطيني، وتحقيق الحد الأقصى من الدعم السياسي والمادي لقضيتنا ونضالنا وحقوقنا الوطنية.

ومازال الكثير من الدول الأوربية الغربية وكندا تنتهج سياسة لا تعترف بالحقوق الوطنية لشعبنا وتقدم دعمًا على كافة المستويات للعدو الصهيوني وهي تتبع سياسة منسجمة مع سياسة الولايات المتحدة الأميركية ومخططاتها في المنطقة، وإن اليابان ليست بعيدة عن هذه السياسة. ومن ثم لا بد من تكثيف الجهود لمقاومة وإفشال أي مشروع أو مبادرة تتعارض مع حقوق شعبنا الوطنية.

وختامًا فإن المؤتمر العام لحركتنا يؤكد على ضرورة حماية وتدعيم المكتسبات والانجازات السياسية التي تم تحقيقها على صعيد الساحة الدولية التي جعلت من فلسطين قضية حية تحظى بأوسع تأييد دولي ما جعلها طليعة حركة التحرر العالمي وحاملة رايتها.

وثورة حتى النصر

(3)
توثيق تجربة معسكر ال99

نظرا لما أثارته تجربة معسكر ال99 من انتباه واهتمام واسعين، فقد طلب كثيرون وخاصة ناجي علوش من نزيه أبو نضال توثيق هذه التجربة، وهكذا سجلت ونشرت في مجلة «الثورة الفلسطينية» التي تصدر عن حركة فتح، كما نشرت ثانية في الكتاب السنوي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) سنة 1969.

وهذا هو النص الكامل للتجربة بكل ما كانت تحمله من طموحات وأحلام، وربما من أوهام:

لما كانت ميزة حرب العصابات الأساس أنها حرب القناعات والمعنويات، كان لا بد من أن تختفي كافة أشكال العلاقات الكلاسيكية التي تحدد طبيعة الروابط بين أفراد الجيش النظامي، وأن تقوم، بديلاً لها، علاقات ثورية جديدة تعتمد أصلاً على أن الثائر العصابي هو إنسان امتلك ميزة الاختيار، ليقاتل بالطريقة التي يؤمن بها مع رجال يلتقون معه فكريًا ونضاليًا لتحقيق الأهداف والمبادئ التي ثاروا من أجلها.

ولما كان الثائر العصابي يمثل النموذج الذي تلتف حوله آمال شعبه كمخلّص، فقد كان لزامًا عليه أن يكون المثال الأخلاقي للجماهير، منطقًا ومسلكًا ونضالاً. ولكن لما كان كل ثائر من شعبنا سيحمل معه بالضرورة إلى صفوف الثورة، ترسبات المجتمع الفاسد الذي ثار عليه أصلاً، فإن عليه

أن يمارس عملية تغيير حقيقية وجذرية لكافة الترسبات الاجتماعية التي يحملها وإلا فإنه سيتحول إلى علامة منفرة للجماهير بدلاً من أن يكون بؤرة استقطاب لها. وللوصول إلى عملية التغيير الثورية المطلوبة، ولكي تقوم روابط وعلاقات ثورية حقيقية بين جموع أفراد الجيش العصابي، جاءت تجربة معسكر ال99.

بداية نحن نؤمن بأن أي عملية تغيير في نفسية الثائر لا يمكن أن تتم إلا إذا انطلقت من مبادئ أساس ثلاثة:

1) أن يشعر الثائر بسلبياته ونقاط ضعفه وبالحاجة الماسة إلى استكمال صفاته الثورية.
2) أن يقوم الثائر نفسه بعملية تغيير حقيقية لسلوكه.
3) أن يمارس عملية التغيير هذه نتيجة قناعاته بجدوى هذا الأسلوب بالتغيير من دون إحراج أو خوف أو خجل. والنقد الذاتي هو الأسلوب الذي يستطيع الثائر بواسطته أن يمارس عملية التغيير وصولاً إلى الثائر الأنموذج.

وقد بدئ بممارسة التجربة مروراً بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى

في كل ليلة قبل أن يغمض المناضل عينيه لينام يفكر لمدة خمس دقائق في ما مر عليه من أحداث خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية مجيباً على الأسئلة التالية بصدق وتجرد:

1) ما السلوك غير الثوري الذي سلكته هذا اليوم؟.
2) ما الأفكار التي دارت بذهني في مواقف مختلفة وكان يجب ألا تدور لأنها تمثل نقصاً لي كثائر؟.
3) ما المواقف السلبية التي اتخذتها وكان يجب أن أتصرف بطريقة أكثر ثورية فيها؟
4) ما المواقف الثورية التي عشتها وقدمت خلالها مسلكاً (أنموذجاً) جيداً يخدم الثورة؟.
5) ما العادات السيئة والسلبيات المكونة لنفسيتي ولم أستطع تجاوزها حتى الآن؟.
6) ماذا سأفعل غداً لأكون ثائراً أكمل بالفكر والسلوك وفي

التكوين الداخلي؟.

حين يمارس الثوار هذا الأسلوب يبدؤون في الخطوة الأولى نحو طريق التغيير الحقيقي لأنفسهم، تمهيدًا لانتقالهم للمرحلة الثانية.

المرحلة الثانية:

إذا كانت المرحلة الأولى تمثل نوعًا من النقد الذاتي فإن المرحلة الثانية تمثل تجاوزًا يحققه الثائر في مواجهة نفسه وفي مواجهة الآخرين، حيث يقف بين رفاقه لينتقد نفسه نقدًا ذاتيًا وبصوت مرتفع، على كافة الأخطاء المسلكية التي وقع فيها خلال اليوم. ثم يفرض على نفسه، أمام زملائه، نوعًا من العمل كتكفير عن الخطأ الذي ارتكبه بأن ينجز عملاً مفيدًا للموقع الذي يتواجد فيه كأن يشارك رفاقه بأعمال غير مطلوبة منه في يومها. وهو في هذا ينطلق من اقتناع كامل بضرورة النقد الذاتي، وبضرورة التغيير إذ لا يوجد أي شكل من أشكال العقوبة الخارجية على أي مناضل.

المرحلة الثالثة:

هي الدرجة الأهم التي إذا وصلها المناضل فمعنى ذلك أنه قد استطاع أن يتجاوز كل إرث التربية القديمة والسلبيات الاجتماعية التي حملها من البيئة الفاسدة التي ثار عليها. وهذه المرحلة هي التنقية الذاتية. وعملية التنقية الذاتية تتم بعد المرحلتين السابقتين وبعد شعور المناضل بالتغيير الذي يصيبه نفسيًا وفكريًا ومسلكيًا من خلال ممارسته لعملية النقد الذاتي. ولما كان كل مناضل يحمل بالتأكيد عددًا من نقاط الضعف والسلبيات والعادات السيئة . . إلخ فإنه يقف بين إخوانه ليطرح عليهم عادة سيئة يعاني منها أو عقدة ما لم يستطع تجاوزها. ثم يبدأ رفاقه بتقديم نصائحهم وتجاربهم الحياتية للأخ الذي يشكو من قضية ما كالأنانية أو الكذب أو الكسل أو حب الظهور . . إلخ.

عبر هذه المراحل الثلاث يبدأ المناضل بتغيير وبناء نفسه بناء ثوريًا جديدًا، متجاوزًا بذلك كل السلبيات المسلكية التي تنفر الجماهير منه بدلاً من أن يكون بؤرة استقطاب لها.

ولكن عملية النقد الذاتي ما كان يمكن أن تنجح لو لم يرافقها الفعل الرديف وهو النقد البناء، وهذا يتم تبعًا لمرحلتين:

1) تمارس عملية البناء لكادر المعسكر فقط وبصوت مرتفع وأمام جميع المناضلين تجاه أي خطأ أو تقصير ارتكبه أي من كادر المعسكر وعلى كادر المعسكر أن يبرر سلوكه إذا لم يكن واضحًا، أو أن ينتقد نفسه عن خطئه إذا كان النقد الذي وجه إليه صحيحًا . . وبالتالي فإنه يوقع على نفسه عملاً ليقوم به تكفيرًا عن خطئه.

وفي هذه المرحلة يكون النقد البناء لمجموع المناضلين بصوت هامس . . . بمعنى أن أي مناضل ارتكب خطأ ما ولم ينقد نفسه عليه، فإن أحد أخوانه ينفرد به ليوجه أنظاره إلى الخطأ الذي ارتكبه على أن يراعي ما يلي:

- أن لا يوجه النقد في لحظة الفعل أو الخطأ حيث تكون أعصابه متوترة.
- أن يختار وقتًا مناسـبًا للحديث معه بحيث يكون عنده اسـتعداد للتقبل والفهم كأن لا يكون مرهقًا أو جائعًا . . إلخ.
- أن لا يكون بينه وبين أخيه خلاف سابق ربما يجعله يفسر النقد البناء على أنه تجريح.
- أن يكون بإمكانه التأثير فيه، وإذا كان لا يسـتطيع ذلك فإنه يطلـب من أخ آخر التحـدث مع الأخ المخطـئ ولفت نظره لخطئه.

ومن خلال ممارسة النقد البناء لطاقم المعسكر والنقد الهامس بين الأخوة أنفسهم يصبح بالإمكان الانتقال إلى المرحلة الثانـية . .

2) يطلب من جميع المناضلين أن من يرغب أو يستعد لاستقبال النقد البناء بصوت مرتفع فإن عليه أن ينضم لكادر المعسكر في جلسة النقد والنقد الذاتـي في اليوم التالي ليتلقى النقد البناء أمام بقية رفاقه. وهكذا خطوة خطوة حتى يصبح بإمكان الجميع تلقي النقد البناء وبصوت مرتفع، بعد استـيعاب الفكرة أو التجربة جيدًا.

وفي جلسة النقد الذاتـي تمارس أساليب أخرى لاستكمال كافة المظاهر الثورية في الموقع فيتّبع النقد الذاتـي والنقد البناء.

نقد الظواهر العامة:

لما كان هناك جملة من النواقص أو السلبيات في مجال العمل بشكل عام، ولا يتحمل فرد معين سبب هذا التقصير أو الخطأ، فقد وجب لفت نظر الجميع

إلى هذا النقص أو ذاك، في مجال السلوك العام أو العمل ثم تطرح الاقتراحات لتجاوزه.

ثم يأتي بعد ذلك تقدير المواقف أو لفت نظر المجموعة إلى عمل ثوري جيد قام به أحد الأخوة أو قامت به إحدى المجموعات كي يصبح هذا العمل أنموذجًا يحتذيه الجميع.

من خلال هذا الجو العام، ومن خلال العلاقات اليومية بين مجموع المناضلين وبينهم كادر المعسكر تَرسخُ علاقات ثورية حقيقية . . وينمو بشكل علمي وصحيح مفهوم الانضباط الذاتي من خلال القناعة الكلية بالعمل وبطبيعة العلاقات الثورية التي تسود الجميع.

إن مجموع هذه الممارسات الثورية التي قامت في المعسكر 99 ليست سوى البداية . . بداية معرفة الطريق لتستمر بعد ذلك في كافة المواقع الثورية . . . سواء في التنظيم أو المعسكرات أو القواعد القتالية أو أي موقع من مواقع العمل.

وهذا بالنتيجة سيؤثر في أعداد هائلة من شعبنا المتواجد في مختلف مؤسسات الثورة وتنظيماتها ليصبح النقد والنقد الذاتي أسلوب شعبنا كله في التعامل . . ومن هنا يمكننا القول إن شعبًا جديدًا يتم تشكيله وتكوينه مع الثورة ومن خلال ممارسة الأسلوب الثوري السليم في بناء الثوار والجماهير وهو النقد الذاتي.

كشاف . .

ثبت أسماء العلم

هـ

و

ي

كشاف . .

ثبت جغرافي

غ

ف

ك

ل

م

كشاف ..

ثبت عام

سيرة نزيه أبو نضال بقلمه

ولد نزيه أبو نضال (غطاس جميل صويص) بتاريخ 1943/1/20 في عمان/ الأردن، وفيها تلقى دروسه حتى المرحلة الثانوية.

التحق بجامعة القاهرة 1963، ولكنه غادرها في السنة النهائية، والتحق بصفوف الثورة الفلسطينية، مقاتلاً، في العام 1967.

يحمل شهادة ليسانس آداب من جامعة القاهرة/ 1972، ودبلوم ماجيستر/ جامعة بيروت العربية/ 1978.

الخبرات العملية

- محرّرا في صحيفة فتح في عمان 1970، ثم دمشق 1971.
- محرّرا فرئيس تحرير مجلة فلسطين الثورة، بيروت 1973.
- مسؤول قسم قضايا ودراسات صحيفة اللواء اللبنانية، 1978-1980.
- محرّرا أساساً في مجلات: الهدف، نضال الشعب، فتح، الثورة الفلسطينية، دمشق، (1982-1990).
- مسؤول قسم ثقافي آخر خبر، عمان، 1993-1994.
- مدير عام الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان 1993-1996.
- مدير تحرير عبد ربه، عمان (أب 1996 - حزيران 1997).
- مسؤول القسم الثقافي على موقع الإنترنت (البوابة) في العام 2000.
- مسؤول موقع الإنترنت في وزارة الثقافة الاردنية 2006.
- عضو هيئة تحرير ثم مدير تحرير مجلة تايكي، منذ العام 2002 إلى الآن 2010.

العضوية: (روابط، اتحادات، جمعيات . . إلخ)

- رئيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في لبنان 1974-1982.
- عضو لجنة الدفاع عن الحريات الديمقراطية في الأردن 1980-1990.
- عضو رابطة الكتاب الاردنيين. منذ 1991.
- مقرر اللجنة العربية لمقاومة التطبيع الثقافي، في اتحاد الكتاب العرب، 1994 - 1996.
- عضو مؤسس ورئيس منتدى الفحيص الثقافي 1994-1995.
- عضو مؤسس لمنتدى الفكر الاشتراكي، عمان، 1993.

الإذاعة

ساهم في إذاعات الثورة في: عمان، درعا، بيروت، وصوت لبنان العربي، بيروت.

المقالات والدراسات

نشر منذ بدايات الستينات العديد من الدراسات في الصحف والمجلات العربية ومنها:

في مصر: القصة، الثقافة، الأدب العربي، فصول.

في لبنان: دراسات عربية، قضايا عربية، فكر، الآداب، اللوتس، البلاغ، مجلة الرأي، مجلة الدستور، وفي صحف اللواء، السفير.

في المجلات والإعلام الفلسطيني في الأردن، سوريا، لبنان: شؤون فلسطينية، المصير الديمقراطي، الكاتب الفلسطيني، بيروت، الكاتب الفلسطيني، دمشق، السنابل، وفي صحف ومجلات: فتح في عمان ودمشق، فلسطين الثورة دمشق وبيروت، الهدف، الثورة الفلسطينية، إلى الأمام، نضال الشعب. التعميم. صدى الانتفاضة، المعركة.

في سوريا: الموقف الأدبي،المعرفة، الكاتب العربي، وقائع فلسطينية، الاردن الجديد.

في العراق: الاقلام، افاق عربية، ألف باء.

وفي مجلات: الوحدة المغربية، فكر التونسية.

الأردن: الصحف: الدستور، الراي، الشعب، البلاد، العرب اليوم، الغد.

المجلات الاسبوعية: أخبار الأسبوع، الأفق، اخر خبر، عبد ربه، المجد، العربي الديمقراطي.

المجلات الثقافية: عمان، أفكار، صوت الجيل، الفنون، الجديد، المجلة الثقافية، تايكي، البيان، جرش، أوراق، أقلام جديدة، الفحيص، المغطس، السجل.

المؤلفات

- الشعر الفلسطيني المقاتل، منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت 1974.
- جدل الشعر والثورة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979.
- الثقافة والديمقراطية، (مع فيصل دراج، الياس خوري، حيدر حيدر)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، فرع لبنان 1981.
- مواجهات سياسية، دار ابن رشد، بيروت (طبعتان)، 1978، ترجم إلى البلغارية عام 1982.
- أدب السجون، دار الحداثة، بيروت، 1981.
- المثقفون في التجربة (كراس حول حصار بيروت)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، دمشق 1982.
- في مواجهة عقلية التسوية، دار الجليل، دمشق (طبعتان)، 1982.
- تاريخية الأزمة في فتح، دار الحقائق، بيروت، ودار الصمود، نيقوسيا، قبرص، 1984، ط2 في الولايات المتحدة الأميركية، 1984.
- البرنامج الفلسطيني (مع عبد الهادي النشاش)، دار الحقائق، بيروت ودار الصمود، نيقوسيا، قبرص. ط2 الولايات المتحدة الأميركية، 1984.
- الثقافة العربية الفلسطينية في المواجهة، رابطة الكتاب الأردنيين، 1992.
- علامات على طريق الرواية في الأردن، دار أزمنة للنشر، عمان، 1996.
- روايات وروائيون من الأردن (بالإنكليزية)، ترجمة نينا جدع، وزارة الثقافة الأردنية، 2001.
- غالب هلسا، وببليوغرافيا مصادره الكتابية، وزارة الثقافة، عمان 2002.
- عبقرية البساطة، الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم، كراس، طبعة خاصة، عمان 2004.

- تمرد الأنثى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
- التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006.
- الكاشف الفلسطيني، معجم أدباء وكتاب فلسطين، (جزءان)، الكتاب الأول، الراحلون، بالاشتراك مع عبد الفتاح القلقيلي، منظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الأعلى للتربية والثقافة، رام الله، فلسطين، 2007.
- إحسان عباس الكاتب الموسوعي، دار الزاوية، رام الله، 2008.
- شهادات روائية على زمن التحولات والانكسارات، وزارة الثقافة، عمان 2008.
- حدائق الأنثى، دراسات نظرية وتطبيقية في الإبداع النسوي، دار أزمنة، عمان، 2009.
- مذكرات أبو إبراهيم الكبير (القائد الميداني للثورة الفلسطينية الكبرى 36-39). المجلس الأعلى للثقافة والآداب والعلوم، م ت ف، رام الله، 2010.

قيد الطبع

- الكاشف الفلسطيني (الكتاب الكامل).
- الكتابة الساخرة.
- الرواية الفلسطينية.
- القصة القصيرة في الأردن.

كتب مشتركة

- مناقشات حول الثورة الفلسطينية، (المساهمة: النقد والنقد الذاتي)، دار الطليعة، بيروت، 1970.
- كمال ناصر، بقلم مجموعة من أصدقائه، منشورات الناصر، 1973.
- الشهداء الثلاثة، الإعلام الفلسطيني الموحد، بيروت، 1973.
- ذكريات عن الشهيد كمال ناصر، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1976.
- نجمة صهيون، (المساهمة: حول نظام الشاه)، دار سبارتاكوس، بيروت، 1978.
- أبو سلمى: زيتونة فلسطين، (المساهمة: مقابلة ودراسة: شاعر الأجيال الفلسطينية)، (إشراف علي حسين خلف)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين،

بيروت، د ت، (1979).

- ماجد أبو شرار، بقلم عدد من زملائه، (المساهمة: ماجد)، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، دمشق، 1983.

- معين بسيسو، (المساهمة: معين بسيسو من انتفاضة غزة الى حصار بيروت)، (إشراف يعقوب حجازي) دار الأسوار، عكا، 1985.

- العلاقات الأردنية الفلسطينية (المساهمة: حول طبيعة الثورة)، منشورات الثورة الفلسطينية، دمشق، 1984.

- الرواية الأردنية، وموقعها من خريطة الرواية العربية، (المساهمة: الرواية الأردنية بين الواقعية والحداثة)، ملتقى عمان الثقافي الاول،22-24/ أب 1992منشورات وزارة الثقافة،دار أزمنة، عمان، 1993.

- الأدباء العرب في مواجهة التحديات، (المساهمة: المثقف والسلطة)، الاتحاد العام للكتاب العرب، عمان، 1994.

- خصوصية الإبداع النسوي، (المساهمة: الشرط الاجتماعي في الرواية النسوية)، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1993.

- الشعر العربي الآن، (المساهمة: الشعر والصراع)، (بحوث الحلقة النقدية في مهرجان المربد الشعري الحادي عشر، 1995)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1996.

- عالم غالب هلسا، (المساهمة: عالم غالب هلسا)، مؤسسة شومان، عمان 1996.

- المؤتمر العام العشرون للأدباء العرب، دمشق 1997، (المساهمة: في مقاومة التطبيع الثقافي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ت (1998).

- دراسات في الرواية العربية، (المساهمة: الرواية التاريخية..)، (الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر 1997) المؤسسة العربية، بيروت، 1998.

- عبد الرحيم عمر (المساهمة: عبد الرحيم عمر وحوار التراث) وزارة الثقافة، عمان، 1998.

- أفق التحولات في الرواية العربية، (المساهمة: شجرة الفهود، لسميحة خريس)، دارة الفنون، مؤسسة شومان والمؤسسة العربية، 1999.

- الكتابة والمتخيل، (المساهمة: تمرد الأنثى في القصيدة النسوية العربية)،

(الحلقة النقدية في مهرجان جرش السابع عشر 1998) المؤسسة العربية، بيروت، 1999.

- خصوصية الإبداع النسوي (المساهمة: المؤثرات السياسية والاجتماعية) وزارة الثقافة، عمان، 2001.

- خالد أبو خالد، قرى الحياة قرى الشعر، (المساهمة: ملاحظات على معجم الشاعر)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

- الرواية في الأردن (المساهمة: تمرد الأنثى في الرواية النسوية الأردنية)، منشورات اللجنة العليا لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية 2002.

- مصطفى وهبي التل (عرار) قراءة جديدة، (المساهمة: عرار قاصا)، وزارة الثقافة، عمان،2002.

- هاملت عربي، مؤنس الرزاز، (مساهمتان: ليلة عسل، والأيام الأخيرة معه). مركز الرأي، عمان، المؤسسة العربية، بيروت، 2003.

- وعي الكتابة والحياة، قراءة في أعمال غالب هلسا (المساهمة، غالب هلسا والأحلام)، دار أزمنة، عمان، 2004.

- المغترب الأبدي يتحدث: حوارات مع غالب هلسا (المساهمة: عن اغتيال مهدي عامل في حوار بين غالب هلسا واحمد فؤاد نجم: اعداد وتقديم) 2004.

- غالب هلسا مفكراً، تقديم (المساهمة: غالب هلسا مفكراً متمرداً) رابطة الكتاب الأردنيين، والبنك الاهلي الأردني، 2005.

- عمان كما يراها المثقفون، اعداد رابطة الكتاب الاردنيين، (المساهمة: عمان مكان نموذجي لبناء المدن)، وزارة الثقافة، عمان، 2005.

- د. نجم عبد الله كاظم، الفراشة والعنكبوت، دراسات في أدب ميسلون هادي (المساهمة: العالم ناقصا واحد الجانب الآخر من الحرب) دار الشروق، عمان، 2006.

- خليل السواحري - الانسان والاديب والناقد، (المساهمة: خليل السواحري هاجس الروائي وادوات القص) دار الكرمل، عمان، 2007.

- حول (بلاغة التجنيس) و(مفهوم الصورة) تحرير فخري صالح (المساهمة التجنيس الابداعي)، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

- أبحاث ومقالات وأراء بأقلام كتاب وباحثين في بعض اثار أ.د ثريا ملحس، (المساهمة: انفجار المكان: المرأة في سيرة ثريا ملحس) دار الفضيلة، توزيع دار البشير عمان، 2008.

- الرواية والتاريخ ج 2 (مشترك) ندوة عبد الرحمن منيف للرواية، 2005، (المساهمة: روايات رضوى عاشور) منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008.
- موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، لأيوب أبو دية (المساهمة: غالب هلسا) د. ن، مطابع السفير عمان، بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، 2008.
- ماجد ذيب غنما: خمسون عامًا من الإبداع، إعداد محمد مشايخ، دار الينابيع، عمان.

برامج إذاعية وتلفزيونية:

- برنامج «روايات عربية» الإذاعة الأردنية (1995-1996).
- دراما «حكايات أردنية» الإذاعة الأردنية (1997-1999).
- برنامج «كتب وكتاب» باللغة الإنكليزية، الإذاعة الأردنية (1998-1999).
- دراما وادرك شهرزاد الصباح (2000/4/6حتى2000/6/29).
- دراما شخصيات روائية: (من نيسان 2001 حتى تموز 2002).
- دراما مواقف (تموز -2003 أيار 2004).
- صحي، (دراما تعليمية) 2004.
- دراما عودة شهرزاد، 2005.
- دراما اشراقات من الماضي، بثت من خمس إذاعات عربية، 2006.
- أم سليمان (دراما تعليمية) 2007.

مسلسلات إذاعية:

- جمعة القفاري، مؤنس الرزاز (30 حلقة).
- زهرة البتراء عن شرق القمر لجمال أبو حمدان (سباعية).
- الحمراوي، لرمضان الرواشدة، (15 حلقة).
- سلطانة لغالب هلسا (30 حلقة).
- انوار لطاهر العدوان (30 حلقة).

التلفزيون:

عدد من حلقات البرنامج التلفزيوني «الحكي النا» لعروة زريقات، 2006 و 2007.

الجوائز:

نال عددًا من الجوائز وشهادات التقدير والتكريم منها:

- جائزة غالب هلسا للإبداع الثقافي، التي تمنحها رابطة الكتاب الأردنيين، 1993.
- الميدالية الذهبية لمهرجان البرامج الإذاعية والتلفزيونية، عن برنامج «حكايات أردنية دراما عن قصة نفس تنباك» لخليل السواحري - القاهرة 1998.
- الجائزة الفضية لمهرجان اتحاد إذاعات الدول العربية/تونس الدراما الإذاعية، عن قصة «بائع الانتيكة» لسحر ملص، 2001.
- الميدالية البرونزية لمهرجان البرامج الإذاعية والتلفزيونية - القاهرة، مسلسل عن رواية «جمعة القفاري» لمؤنس الرزاز 2003.
- الميدالية الفضية لمهرجان اتحاد إذاعات الدول العربية/تونس الدراما الإذاعية مسلسل عن رواية «الحمراوي» لرمضان الرواشدة.
- درع الرواد العرب، دمشق، 2008.
- درع أمانة عمان الكبرى، 2009.

لجان تحكيم

- منشورات أمانة عمان الكبرى.
- منشورات وزارة الثقافة الأردنية.
- منشورات رابطة الكتاب الأردنيين.
- الأعمال الدرامية في التلفزيون الأردني.
- رئيس لجنة تحكيم الجائزة التقديرية في الأردن للكتابة الدرامية، (وزارة الثقافة)، 2007.
- لجنة تحكيم الجائزة التشجيعية في الكتابة الدرامية (وزارة الثقافة)، 2008.
- عضو لجنة العضوية في رابطة الكتاب الاردنيين.
- عضو لجنة معجم أدباء الأردن، 2005.

- عضو لجنة معجم الفنانين الأردنيين،2007 - 2008.
- عضو موسوعة أعلام الفكر العربـي الحديث والمعاصر. (أيوب عيسى أبو دية)، الناشر: أيوب عيسى أبو دية، 2008.

مؤتمرات وندوات

شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الثقافية، الى جانب الأردن، كعضو وباحث في مؤتمرات الأدباء العرب في كل من بغداد، الجزائر، عدن، صنعاء، دمشق، عمان، الدار البيضاء، دمشق، بغداد وكذلك:

- مؤتمرات اتحاد كتاب فلسطين في بيروت، تونس.
- مؤتمر ابن رشيق للنقد الأدبي، القيروان، تونس.
- مؤتمر أبو القاسم الشابي، الشابية، توزر، تونس.
- مؤتمر المرأة العربية والإبداع (تمرد الأنثى) القاهرة تشرين أول 2002.

مؤتمرات الرواية العربية في القاهرة: الدورات:

- الأولى، شباط، 1998، (أدب السجون).
- الثانية، الرواية والمدينة، البحث: (عمان)، 2003 تشرين الأول.
- الثالثة، الرواية والتاريخ، رضوى عاشور، شباط- آذار 2005.
- ندوة معرض الكتاب في القاهرة.
- الدراما الإذاعية التعليمية والقضايا السكانية، الأمم المتحدة للسكان، العقبة، 2006.
- في توظيف المعلومات الإحصائية في الوسائل الإعلامية، دائرة الإحصاءات العامة عمان بالتعاون مع الأمم المتحدة للسكان، قاعة وكالة أنباء بترا، عمان 2007.

العديد من ندوات وورشات العمل التـي تختص بقضايا المرأة مثل:

- مؤتمر المرأة العربية والإبداع في القاهرة، 2002.
- ورشة عمل حول توعية المرأة بحقوقها وواجباتها أقامها نادي العون الإنسانـي بدعم من اليونيفم، 2007/8/1.
- ندوة نقاشية حول صورة المرأة في الكتابة بمجلة تايكي، تموز، 2006.
- المرأة والمسرح فـي الأردن، ندوة مجلة تايكي 17 يونـيو، حزيران. 2007

قضية المرأة في مسرحية خشخاش لسميحة خريس، مهرجان المسرح الأردنـي بحث مقدم في أولى جلسات النقاش حول المسرحية في قاعة الندوات،

فندق الضواحي، عمان، الجمعة 2007/11/15.

- الشرط الاجتماعي في تشكيل واقع المرأة الاردنية، جامعة الزيتونة عمان، 1995.

- تمرد الأنثى في القصيدة النسوية العربية، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السابع عشر 1998 قاعة شومان.

- خصوصية الإبداع النسوي، المؤثرات السياسية والاجتماعية، وزارة الثقافة، عمان، 2001.

- الرواية في الأردن حول تمرد الانثى في الرواية النسوية الأردنية، عمان إشراف اللجنة العليا لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية 2002.

- ورشة حول الإبداع النسوي في الأردن جامعة الزيتونة، عمان، 2009.

العنوان:

الأردن، الفحيص/ العلالي ص. ب. (3060) رمز بريدي (19153)

هاتف منزل: -4720815 009626

خلوي: 079574062

nazihabunidal@hotmail.com

بدأ التحول الحقيقي في مسيرة حياتي حين التحـ
هزيمة حزيران 1967، في صفوف حركة فتح مقاتـ
جناحها العسكري (قوات العاصفة)، قبل أن أحتل فيها مواقع متعددة. ولكن بالطبع، كانت ثمة بدايات مبكّرة أسست لهذا التحول، وسبقت ذلك بكثير، ولعل تلك البدايات تضيء الخيارات اللاحقة.

في الآونة كرر كثير من الأصدقاء السؤال: لماذا لا تكتب مذكراتك، وتسجل فيها تجربتك في صفوف الثورة الفلسطينية؟، ولسان حالهم يقول: هيا! هذه التجربة ليست ملكك. اكتبها للناس فلعل فيها ما هو جديد ومفيد.

أشدد هنا على أنه ليست لدي رغبة بتقديم ما هو خاص أو شخصي. فقط أريد أن أستلَّ من هذا الخاص ما يتصل بالعام، وأقدم شهادتي في محاولة للإجابة على السؤال: لماذا هزمنا في كل المعارك التي خضناها، قوميين وأمميين ونقابات شعبية، وخاصة، كفدائيين وثورة فلسطينية مسلحة؟ وكيف وقّعنا، في 1993/09/13 اتفاق أوسلو، فأدخلنا رؤوسنا في أنشوطة موتنا المهين، فضيعنا الثورة، وضيعنا دماء الشهداء، وضيعنا فلسطين.. لأجد نفسي، بعد 67 عاماً من تجربة حياة حافلة، في المربع الأول، أصلي مع جماعة المؤمنين بأن يهبنا الله من لَدُنَهُ نصراً!.

(نزيه أبو نضال - كانون الأول 2010).

* * *

تعليقاتي الواردة في هذا الكتاب ليس المقصود بها تأريخ حركة فتح كما عايشتها، وإنما محاولة لنقل صورة مكثفة للأوضاع التي كانت سائدة فيها في المرحلة التي عملت ضمن صفوفها متفرغًا أولاً في "الإعلام المركزي" بعمان عام 1969/1970، ثم في مكتب "العلاقات الخارجية" في بيروت 1974/1982، مع فترة قصيرة امتدت فترة ستة أشهر، كنت فيها نائبًا لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في برلين الشرقية.

الهدف إذن إعلام القراء وكذلك الأجيال الجديدة من شعبنا بالأوضاع كما كانت وعايشتها، ومساعدتهم بالتالي في إدراك أسباب الهزائم المستمرة للحركة الوطنية الفلسطينية، بعيداً عن الغوغاء الإعلامية المحيطة بتاريخها، وحملات التضليل المنسقة التي تقودها قيادة الهزائم والاستسلام في رام الله وأتباعها في مختلف بقاع الأرض، تساعدهم في ذلك حملة تضليل يقودها إعلام التكفيريين.

القصد ليس التشهير ولا الإساءة إلى أشخاص محددين، وإنما كشف عقلية سائدة قادتنا إلى ما نحن فيه من ضياع، وفضحها، بعيداً من الإيماء والإيحاء، بل عبر تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقة.